وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
جامعــة محمـد خيضـر – بسكـــرة–
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســم التاريخ

عنــوان المذكــرة

مالك بن نبي ومنـهجه الإصلاحي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب: إشــراف الأستـــاذ:

– محمد الأمين مراكشي – هشام ذياب

السنـــــة الجامعيـــــــة:

2017/ 2016

إهداء

أهدي هذا العمل:

إلى روح أخي الطاهرة

إلى أمي وأبي العزيزين حفظهم الله

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أساتذتنا الكرام

إلى أعز أصدقائي صالح والسعيد وعز دين

إلى كل من حمل على عاتقه روح الإصلاح والتغيير في البلاد

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر:

إلى الأستاذ المشرف ذياب هشام

إلى الأستاذة والأخت شلبي شهرزاد

إلى الدكتور بالقاسم ميسوم

إلى زميلاتي في الكلية وخارجها ندى وريمة ونسيمة وسلسبيلا

إلى كل من قدم لي يد العون لإنجاز هذه الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم }

سورة الرعد، أية 11.

{ ذلك بأنّ الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم و أنّ الله سميع عليم}

سورة الانفال، أية 53.

مقدمة

عرفت الجزائر عبر تاريخها العريق الكثير من العلماء والمفكرين الذين صنعوا أمجاد هذه الأمة، فكان لهم عظيم الأثر في بعث نهضتها الثقافية والفكرية وفي التصدي لمشروع الإستعمار الفرنسي الأوروبي الرامي للقضاء على هوية الشعب الجزائري وكيانه خاصة مع مطلع القرن العشرين، وعودة رواد الإصلاح من المشرق الإسلامي والغرب المسيحي، والذين تسلحوا بالروح الثورية الإسلامية سواء في الفكر أو العقيدة أو السياسة من أجل النهوض بمجتمع أهلكته الظروف القاسية التي فرضها الإستعمار .

ومن أبرز هؤلاء المصلحين مالك بن نبي الذي يعتبر مفكر وفيلسوف ومؤرخ وعالم إجتماعي جزائري، اجتهد في دراسة الأحداث التاريخية العالمية ووضعها تحت المجهر لتحليلها وتفسيرها وإعادة تركيبها وفق ما يخدم المجتمعات الإنسانية وحضاراتها .

ورغم الظروف القاسية التي كانت تحيط به الا انه إستطاع أن يشخص مشكلات راهنة في العالم الإسلامي ومشكلات الحضارة الإنسانية، فقد تمكن إلى حد بعيد من تشخيص العلل التي تسببت في نكبة العالم الإسلامي، وأنتجت حالة "القابلية للإستعمار" منتهجا منطقه العلمي والرياضي، الذي يتميز بالدقة العلمية والصرامة المنطقية، وكان يدعوا إلى الإحتكاك بالواقع المعيشي وإنتاج معرفة من وحي هذا الواقع، كما وقف ضد التكديس الفكري، وضد الحلول التي لا تؤدي إلى تغيير الواقع من جذوره، خصوصا في ظل معركة حضارية قوامها نكون أو لا نكون، و كان دائما يردد " **نُغَيِر أو نُغَيَر** ".

لم يرتبط إن فكر مالك بن نبي بموقع جغرافي معين، فرغم إنتمائه إلى الجزائر إلا أن أفكاره كانت على إمتداد خط طنجا جاكارتا، وحاول أن تكون طروحاته الفكرية بحجم التحديات المحدقة بالعالم الإسلامي وترجمها في سلسلة من الكتب تحت عنوان مشكلات الحضارة، تعرض فيها إلى قضايا النهضة والحضارة، وأبرز فيها أهم شروط النهضة

ودواعي التحضر، وعمل على كشف وحصر أسباب التخلف، والإنحطاط، وعمل أيضا على تحديد العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارات وأفولها، وإجتهد للوصول إلى منهج علمي دقيق لإصلاح الحالة التي وصل إليها العالم الاسلامي من ركود فكري، وتخلف إجتماعي وتبعية إقتصادية.

أسباب اختيار الموضوع:

- الفضول الذي لازمني منذ إطلاعي على بعض أفكاره في مرحلة البكالوريا، والرغبة في معرفة أسرار فكره وأبعادها والتي لم تتحملها الحكومة الجزائرية بعد الإستقلال.
- الإهتمام العالمي بأفكار مالك بن نبي وأطروحاته الحضارية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، وإهمال هذا الفكر في بلده الجزائر.
- التعرف على منهجه الإصلاحي المميز عن غيره من المناهج الإصلاحية.
- الإستفادة من مؤلفاته التي ليس لها تخصص معين، حيث نجد في كتاب واحد مزيج فكري من علم النفس، والفلسفة، وعلم الإجتماع، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والشريعة، فقد قام بدراسة كل ما يخدم تطور الإنسان ومجتمعه.
- حاجة المجتمع إلى تبني أفكاره وتطبيقها في الجزائر والعالم العربي.

إشكالية البحث:

ركز مالك بن نبي على تحديد الوضعيات، وطرح المشكلات بدقة، وتحليل الواقع مستخدما منهجه الإصلاحي، وقدم نظرياته حول الحضارة والثقافة، وأسباب السقوط الحضاري، والإنحطاط الإجتماعي، والإقتصادي، والسياسي، وغيرها من المشكلات لمعالجة الأوضاع التي يعيشها العالم المتخلف بصفة عامة والعالم العربي الإسلامي بصفة خاصة منتهجا أسلوبه العلمي المتميز، فالمنهج الإصلاحي لديه يستند إلى رؤية فلسفية اتجاه الإنسان، والحضارة، والتاريخ، وإلى فكر اجتمعت فيه الأصالة مع التجديد،

فكان مشروعه خطة للنهضة، وللصحوة، وللحضارة، ونموذجا من نماذج الفكر الإصلاحي لا يستهان به، يدل على نظرة ثاقبة، وقدرة عالية على الطرح، والتحليل، والنقد، والإستنتاج، مايبين أن هذا المنهج متكامل بين عناصره، ومنسجم مع ما تقتضيه مستلزمات البناء التاريخي والنهضة الحضارية، ومن هنا سنحاول معالجة الإشكال التالي:

فيما تتمثل ملامح وآفاق المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي ؟

الأسئلة الفرعية :

1- من هو مالك بن نبي ؟ وماهي أهم المحطات التي مر بها في حياته ؟

2- ما هي الأوضاع التي شهدتها الجزائر والعالم في عصره؟

3- ماهو مفهوم الحضارة والثقافة في نظره ؟

4- كيف كان موقفه من بعض قضايا عصره ؟ وماهي أهم نشاطاته الفكرية في الجزائر؟

منهج البحث :

نظرا لطبيعة الموضوع ومن أجل الوصول إلى الهدف المنشود والإجابة عن هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع، اعتمدت على بعض المناهج، أذكر منها

1.المنهج التاريخي الوصفي: اعتمدت على هذا المنهج من أجل رصد ووصف الأحداث والوقائع التاريخية و محاولة ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا خلال دراستنا للمراحل التي مر بها المفكر (1905-1973)

2. المنهج التحليلي: من أجل دراسة و تحليل و تفسير الظواهر الاجتماعية التاريخية من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وطبيعة العلاقات القائمة بينها بهدف الوصول إلى تحليل علمي متكامل.

وصف لأهم المصادر والمراجع المعتمدة :

تنوعت المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز هذا البحث وقد تميزت من حيث أهمية في علاقتها بالموضوع المطروح ما بين الدراسات، والمقالات، والكتب، ومن أهم مصادر البحث، والتي تمثل الإنتاج الفكري الرئيسي لمالك بن نبي :

1.مذكرات شاهد القرن: نشر الجزء الأول بهذا العنوان باللغة بالفرنسية، وترجمه إلى اللغة العربية السيد "مروان القنواتي" عام 1969، وأضيف على هذا العنوان في الجزء الثاني الذي نشر عام 1970، اسم الطالب لكونه يخص مرحلة الدراسة في فرنسا ابتداء من عام 1930.

ومذكرات شاهد القرن هي صورة عن نضال مالك بن نبي الشخصي في طلب العلم والمعرفة أولا، والبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية، ونتائجها السلبية المختلفة، وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وآثاره ثانيا، ماعكس الصورة الحية لسلوك المحتلين الفرنسيين أنفسهم في الجزائر ونتائج سياستهم ووجوهها المختلفة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

2.شروط النهضة: ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة وبابين، خصص الباب الأول للحضارة و التاريخ ، والباب الثاني للمستقبل ويتحدث عن العناصر الثلاثة وهي: الإنسان والتراب والزمن، وعن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة وعن توجيه الثقافة والتوجيه الأخلاقي والجمالي وعن توجيه العمل ورأس المال، إضافة إلى الحديث عن مشكل المرأة في المجتمع العربي والغربي ويعتبر من اهم كتب مالك بن نبي، صدر هذا الكتاب سنة 1948م.

3.ميلاد المجتمع: في هذا الكتاب تطرق مالك بن نبي لموضوع العلاقات الإجتماعية وكيف لها أن تبني مجتمعا في وجودها وتأدية دورها في أكمل وجه، وعلى العكس من ذلك تقوم بتهديم المجتمع وتصدع ركائزه الأساسية من خلال فقدان روحها في المجتمع.

أما عن أهم المراجع التي ساعدتنا في هذا البحث :

1.كتاب مالك بن نبي مفكر إصلاحي للمؤلف اللبناني أسعد السحمراني الكتاب الوحيد الذي استخلصت منه أسس المنهج الإصلاحي ومشكلة المرأة و الثورة في فكر مالك بن نبي.

2.كتاب مالك بن نبي مفكر إجتماعي و رائد إصلاحي للمؤلف المصري محمد العبدة الذي شرح بالتفصيل حياة مالك بن نبي منذ نشأته وأبرز أهم توجهاته الفكرية والحضارية.

3.كتاب مالك بن نبي حياته وفكره للمؤلف عبد الله بن حمد العويسي تطرق الى دراست حياته و شرح نظرياته في الحضارة والثقافة والمجتمع ...وعطاءه الفكري.

4.كتاب الحركات الإسلامية في الجزائر للمؤلف الطاهر سعود ويتضمن أثار مالك الإصلاحية في الجزائر بعد الإستقلال وتأثيره الفكري على النخبة الجامعية .

أما عن المذكرات والأطروحات الجامعية التي إعتمدنا عليها:

1. حسن موسى محمد العقبي **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، وهي مذكرة تحتوي على مجموعة كبير من أطروحات بن نبي كالشروط النهضة والاستعمار والاقتصاد في العالم العربي المعاصر

2.مذكرة الأخضر شريط **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي.**

3.بإضافة إلى المقالات في كتاب مالك بن نبي والفقه الحضاري الصادر عن جامعة قسنطينة، وبعض المجلات التي تناولت مواضيع فكرية للمفكر مثل مجلت الموافقات ومجلة السلم

صعوبات البحث:

بالنسبة للصعوبات التي واجهتني لإنجاز هذه المذكرة فهي كثيرة و لكن بعون الله وتشجيع أساتذة التخصص تمكنت من تذليلها بجمع المادة العلمية اللازمة لهذه الدراسة المعاصرة والتي مازالت قيد البحث من طرف المفكرين والباحثين نظرا لصعوبة فهم أفكارها وتشعبها، فالقارئ لكتب مالك بن بني يجب أن يتوفر لديه رصيد هام من المعلومات في العلوم الانسانية والإجتماعية كي يتمكن من فهم أطروحات وتوجهات هذا المفكر، ومن الصعب أن نستخراج منها دراسة تاريخية بحتة إذ لا يمكننا فصل العلوم عن بعضها (العلوم البينية) وهذا ما أدى بنا إلى الإستعانة بمراجع في علم الإجتماع والتاريخ والفلسفة والسياسة وكان من الصعب تحديد منهجه الإصلاحي في ظل كثافة المعلومات و تنوعها.

خطة البحث:

بعد جمع المادة العلمية ودراستها وتحليلها قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين ومقدمة وخاتمة وملاحق وفهرسة للموضوع.

- ❖ الفصل الأول: حياة مالك بن نبي و سمات عصره قُسم هذا الفصل إلى مبحثين :
  - المبحث الأول تطرقنا فيه للأوضاع السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية التي عرفتها الجزائر، إضافتا إلى الأحداث التي شهدها العالم في فترة حياته(1905-1973) ونختم المبحث ببوادر ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر.

- المبحث الثاني: درست فيه نشأة ومراحل التعليم وعناصر الثقافة التي أحاطت بالشخصية المدروسة في كل من قسنطينة وتبسة ثم سفره إلى فرنسا وله ثلاث مذكرات عرض فيها تفاصيل حياته (الطفل، الطالب،الكاتب) ثم تعرضت إلى رحلاته من أجل الدراسة والعمل في الجزائر وفرنسا ومعاناة التي صادفته، إضافة إلى أهم عوامل التي ساهمت في تكوينه الشخصي والفكري، لتأتي مرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة الإنتاج الفكري منذ 1946.

❖ الفصل الثاني هو بعنوان الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي وقُسم إلى ثلاث مباحث:

- المبحث الأول يحتوي على أهم مطالب البحث المتمثلة في دراسة القضايا التي ركز عليها مالك بن نبي حول الحضارة والتخلف والثقافة والإصلاح والتجديد و دراسة سبل معالجة واقع العالم العربي الإسلامي المتخلف وتحقيق الاستقلال الفكري والمادي عن العالم الغربي متبع في ذلك منهجه العلمي الدقيق والذي يظهر في الأسس وخطوات المشروع الإصلاحي لمالك بن نبي .
- أما المبحث الثاني فهو موقف مالك بن نبي من بعض القضايا التي شغلت باله في عصره وقدم تحليلات علمية وشواهد تاريخية وقام بتحديد معنى الثورة وأبرز جذورها وأسبابها ومنهجها الذي تعتمد عليه لتحقيق التغيير ألمنشود كما أوضح مفهوم الاستعمار باعتباره نتيجة القابلية للاستعمار ونتيجة طبيعية للإنحطاط الحضاري الذي عاشته الأمة، بإضافة إلى تحديد الشروط التي يقوم عليه المجتمع الحضاري من خلال تحوله من مجتمع بدائي إلى مجتمع تاريخي، وكذلك دراسة مشكل المرأة وتأثير الفكر الغربي على تفكيرها ولباسها وطريقة عيشها.

- المبحث الثالث يلخص الجهود الفكرية لمالك بن نبي بعد عودته إلى الجزائر ومزاولة نشاطه من مركز النخبة في الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة ودور أفكاره وتأثيرها في طلابه والذين سيواصلون نشر رسالة بن نبي بعد وفاته.
- وأنهينا الدراسة بخاتمة تتضمن حوصلة لأهم النتائج والاستنتاجات المتوصل عليها.

الفصل الأول: حياة مالـك بن نبي وسمات عصره

المبحث الأول: الأوضـاع في عصر مالـك بن نبي

المطلب الأول: الأوضاع الإقتصادية والسيـاسيـة

المطلب الثاني: الأوضاع الثـقافيـة والاجتماعية

المطلب الثالث: بوادر الإصـلاح في الجزائر

المبحث الثاني: حيـاة مالك بن نبـي

المطلب الأول: مولـده ونشـأته

المطلب الثاني: رحـلاتــه

المطلب الثالث: تكـوينـه وإنتـاجه الفكـري

المبحث الأول: الأوضاع في عصر مالك بن نبي

المـطلــب الأول: الأوضاع الإقتصادية والسياسية

عانى الجزائريون من وضع صعب عاشوه تحت الاستعمار الفرنسي، الذي مارس كافة أنواع التعذيب والقتل وضروب الإفقار والتجهيل والفرنسة ضد أي جزائري، فالمدارس مغلقة والفقر يصل لحد المجاعة و المراض تحصد الصبيان والشيوخ، أما ما يسمي بحقوق الإنسان من تفكير وقول وتقرير المصير فهي كلمات يسمعها المواطن الجزائري دون أن تحقق مدلولها.

1-الأوضــاع الإقتصاديــة:

مع مطلع القرن العشرين كانت الجزائر تعيش في حالة اقتصادية مزرية، فالإنتاج كان منخفض والمستوى المعيشي لا يوصف إلا بالمتردي، وهذا راجع إلى الحروب التي كانت تسود العالم وفي مقدمتها الجزائر.

لقد شجع الإستعمار الفرنسي منذ حلوله بالجزائر سياسة الإستيطان وجلب المعمرين من فرنسا وأوروبا من أجل خلق مجتمع أجنبي داخل الجزائر لتثبيت وجودها وفتحت أبواب الهجرة أمام الجزائريين والأوروبيين، وقامت بمصادرة الأراضي والعقارات وممتلكات الجزائريين ومنحها للمعمرين، مما أدى إلى تدهور الحالة الإقتصادية[1] بسبب إنتزاع الأراضي الزراعية والفلاحية وهناك من أرغموا حتى على بيع أراضيهم نتيجة إرهاقهم بالضرائب،[2] وممارسة سياسة الأرض المحروقة التي تبنتها الإدارة الفرنسية وتحويلها إلى أراضي الكروم لإنتاج الخمور.

---

[1] مازن صلاح مطبقاني، **جمعية علماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939**، عالم الأفكار ،الجزائر، 2011، ص41.

[2] يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية** من 1930م إلى1954م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص 45.

لقد كانت فرنسا تتبع أبشع الوسائل والإستراتيجيات لتحقيق أهدافها حتى ولو كانت على حساب الأنفس والأرواح.[1]

أما الصّناعة فلم تتطور كثيرا منذ بداية الإحتلال، فالمجتمع الجزائري كان يحتوي على نوعين نوعين من الصّناعة هما:

- ✓ صناعة تقوم بإنتاجها النساء في المنازل من المفروشات والملابس التقليدية.
- ✓ صناعة يقوم بإنتاجها الرجال الحرفيون من أواني منزلية وفخارية وأحذية وملابس.

ولكن بسبب غزو المنتجات الرخيصة للأسواق أصبح الكثير من الحرفيين يغلقون ورشاتهم ومحلاتهم.[2]

أما التجارة فقد كانت حكرا على المستوطنين واليهود، وسيطرت الرأسمالية الإستعمارية على السّوق الجزائرية،[3] وفتح المجال للبضائع الفرنسية لتحتل الأسواق، وللقضاء على الإنتاج المحلي، تحكمت الإدارة الفرنسية في الصّادرات والواردات وفي فرض الضرائب على التّجار الجزائريين، ولم يكن للمواطن الجزائري إلّا أن يعمل لدى الأراضي التابعة لفرنسا ليقتات منها، وهو أمر محتوم لأن الجزائر كانت منطوية إلى قسمين: قطاع حديث تابع لفرنسا وقطاع تقليدي محلي، هذا الإنقسام أثَّر في العائلات الجزائرية، وكانت عائلة بن نبي واحدة من العائلات التي قرّرت الرّحيل إلى مناطق أخرى.[4]

---

[1] سليمان ملوكي، **إشكالية الثقافة والسياسة عند مالك بن نبي**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1999. ص16.

[2] أحمد مهساس، **الحقائق الاستعمارية و المقاومة**، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص79، 80.

[3] يحي بوعزيز، مرجع نفسه، ص 63 .

[4] عبد الرحمن رزاقي، **سياسة التسلط والحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954**،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،2002 ،ص66.

2- الأوضـاع السيـاسيـــة:

إن الفترة التي قدر لبن نبي العيش فيها (1973.1905)، شهدت تحولا كبيرا على أصعدة عديدة، خاصة على الصّعيد السّياسي، بحيث كان العالم في هذه الفترة في حالة تغييرات عميقة مسّت النظم والهياكل الأساسية والإدارات والحكومات والتي انعكست على حياة الشعوب في الفترة الممتدة من (1973.1905)، حيث شهد العالم تحولا كبيرا تمثل في الإنقسامات التي تمخضت عن الحرب العالمية الأولى 1914، والتي استمرت وتوسعت أكثر في الحرب العالمية الثانية 1939م ولقد بلغت الأزمة حدّها، فلم يستطع العالم أن يمضي في طريقه إلى أبعد من هذه الحدود، لأنه كان قد استنفذ قدرا كبيرا من زاده في الحرب العالمية الأولى ولم يستطع أن يتقوَّت خلال الحرب العالمية الثانية في إطار تلك النظم البالية والتحولات الجغرافية والسياسية التي قسّمت العالم إلى كتلتين متميزتين:

- ✓ كتلة الشعوب المتحضرة التي تسكن أوروبا وأمريكا.
- ✓ كتلة الشعوب المستعمرة التي تسكن أسيا وإفريقيا. [1]

وفي هذه الفترة أيضا شهد العالم بروز المنظمات والمؤسسات الدولية، مثل عصبة الأمم المتحدة هذا على الصّعيد الخارجي، أماعلى الصّعيد الداخلي وفي الجزائر فقد ظهرت العديد من الحركات والأحزاب الوطنية السياسية وفي مقدمتها حركة الأمير خالد الذي أسّس وحدة النواب،وأعلن عن إصدار جريدة الإقدام، لكنها لم تدم طويلا حين تمّ حل الحركة ونفي الأمير الخالد، بعدها توالى ظهور الحركات مثل "حركة نجم شمال إفريقيا 1926م لمصالي الحاج خارج الجزائر وقد ضمّت حوالي 4000 منخرط، وتأسيس الحركة الإصلاحية على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي 1931م بنادي الترقي في العاصمة، والتي

[1] مالك بن نبي، **الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ**، دار الفكر، دمشق، 1979، ص29.

كانت تهدف إلى الدفاع عن مقومات الشعب الجزائري وإصلاح العقيدة من الخرافات(الدين الإسلامي ،اللغة العربية)، وقد سخّر الإستعمار الفرنسي كل الوسائل للحد من نشاطها الديني و السياسي، إلا أنَّ جهود الجمعية عرفت صدى واسع في الجزائر والتي انطلقت من مدينة قسنطينة نحو ربوع الوطن متخذة من المدارس والصحف والمجلات وكذلك المحاضرات والندوات وسيلة لمخاطبة الشعب الجزائري وتحضيره نفسيا وفكريا لقيادة الثورة ضد الإستعمار الفرنسي، ففي 1954/10/4م أصدرت الجمعية بيان موجه للشعب الجزائري من القاهرة بصوت محمد بشير الإبراهيمي يدعو فيه إلى الإلتفاف حول الثورة وحمايتها .

أما الإستعمار الفرنسي فكانت له إجراءاته الصّارمة والقمعية والتي من بينها تقسيم الجزائر إلى ثلاث ولايات منذ سنة 1870م (الجزائر، وهران، قسنطينة) من أجل ضرب وحدة المجتمع، وكذلك سن القوانين التعسفية كقانون الأهالي و الاندماج....وكانت تهدف إلى إلحاق الجزائر بفرنسا، لكن المجتمع الجزائري ظل محافظا على ثقافته ودينه وقاوم ضغط السّياسة الإستعمارية ولم يخضع لها، وتعتبر أحداث 8 ماي 1945م والمجازر التي حدثت فيها نقطة تحول في تاريخ الجزائر، وتأكد الجزائري بضرورة العمل العسكري وأن فرنسا لا يمكن إخراجها إلا بالقوة، وكانت 10 سنوات كافية لتكتل كل الأحزاب السياسية والحركات الوطنية تحت راية جبهة التحرير الوطني والإعداد لتفجير الثورة [1].

[1] جرامو لويزة، مرجع سابق، ص ص 57،56 .

المطلــب الثالـــث: الأوضــاع الثقــافيــة والإجتمــاعيـــة

عند احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م كان على رأس أولوياتها السّياسية القضاء على الثقافة الإسلامية وممارسة سياسة التجهيل لتسهيل السيطرة على الشعب، والعمل على برمجته بما يخدم مصالحه الإستعمارية ونشر الثقافة الفرنسية في الجزائر وجعلها مقاطعة فرنسية، وهذا ما ظهر لنا في برامج الأحزاب الوطنية الّتي كانت تدعوا إلى سياسة الإدماج، وإتبعت فرنسا سياسة تعليمية تهدف إلى تهديم الثقافة الوطنية للجزائر وإدراج اللّغة الفرنسية بدل العربية،[1] وجاء هذا المخطط لتدمير اللّغة العربية الّتي تمثل الأساس الأول للهوية الجزائرية، لأنهم كانوا على علم بأهميتها ودورها الكبير في حفظ كيان الأقوام،[2] ولأجل تحقيق هذا المخطط شنَّت حربا وحشية على اللّغة العربية من أجل إعاقة انتشارها وطمسها من خلال تعطيل التعليم وغلق الطرق المؤدية إليه بتطبيق سياسة التجهيل، والّتي تعد من أخطر السياسات في تاريخ الجزائر، حيث خلّفت نتائج وخيمة على مستقبل الشعب الجزائري، لذلك توجه الإستعمار إلى الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية الّتي كانت تموّل المدارس والمتعلمين في الجزائر، وأصدرت قرارات بغلق المدارس الخاصة بتعليم اللّغة العربية والكتاتيب، إلّا أن بعض المساجد ظلّت تمارس مهامها التعليمية بشرط حفظ القرآن بلا تفسير وإنتشر القساوسة للدّعوة إلى المسيحية بتشجيع من الإستعمار للقضاء على الدين الاسلامي حيث يقول القائد الفرنسي لافجري :[3] " **أخر أيام الإسلام هذا الركام من العقائد المنحطة والمتوحشة، قد**

---

[1] هنري كلود، **الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ترجمة محمد عيتاني**، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 2002م، ص 58.

[2] أحمد توفيق المدني،**هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص 95.

[3] كاردنال فرنسي: 1825، 1892م،عمل كأستاذ بجامعة السربون وكان من الناشطين في حركة التبشير عن طريق التعليم في الجزائر.

إقتربت الجزائر، في عشرون عاما لن يكون فيها إله غير المسيح "[1]

كما حطّمت المصادر الثقافية الموجودة في الجزائر بتخريب المكتبات وتمزيق الكتب وسرقة الوثائق التاريخية، كما يذكر أبو القاسم" **إن الوثائق والمخطوطات كانت من أول ضحايا الإحتلال والغزو**".[2]

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ الحكومة الفرنسية قامت بفتح مدارس التعليم اللّغة الفرنسية في 1883، ولم يكن للجزائريين الحظ في الدراسة فيها مقارنة بأبناء المعمرين (الأوروبيون واليهود)، وفي سنة 1955 كانت المدرسة الفرنسية تضم 150 ألف تلميذ لا يوجد فيها إلا 20 ألف مقعد للجزائريين،[3] فإن التّعليم في الجزائر لم يكن من أجل تحسين المستوى ونشر الثقافة، بل كان يهدف إلى إذابة المجتمع الجزائري في بوتقة الثقافة الفرنسية وتبديل أحوالهم الشخصية، حيث يقول أحد القساوسة "**إن الهدف بكل بساطة هو تبديل اللغة بلغة ودين بدين وعادات بعادات**"[4]، هذه العبارة تلخص مبادئ وأهداف التربية الإستعمارية وأسس التعليم في ظل الاستعمار، والنتيجة هي أنه إذا نظرنا إلى الواقع الجزائري في تلك الفترة وجدنا البلاد قد أصابها الجمود الفكري والتخلف الثقافي وفقد الناس الإتصال بالتاريخ نتيجة فقدان مراكز التعليم بالكتاتيب والمدارس الّتي كانت منتشرة في كل مكان، أما الفلاحون فقد تركوا مرتعا للخرافة والجهل والبدع وقد كانت اللّغة العربية أكثر المقاومات الوطنية معاناة.[5]

---

[1] Mahfoud kaddache، **histoire du nationalisme algèrienne questions national et politique algèrienne 1919-19**51، cnzd ،alger ،1980 ،p30 .

[2] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 89.

[3] أحمد توفيق المدني، مرجع نفسه، ص97.

[4] بسام العسلي عبد الحميد، **ابن باديس وبناء قاعدة الثورة**، ط2، دار النفائس، 1983، ص 47 .

[5] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 60.

النهضة الفكرية:

كان للمشرق العربي دور بارز في بعث بوادر الإصلاح والتجديد في الجزائر، لاسيِّما الصّحافة الّتي كانت أداة اتصال بين المشرق والمغرب، والوسيلة الأكثر نفاذا وتأثيرا في أوساط المثقفين المتحمسين للوطنية والأصالة المعادية للتغريب، خاصة بعد عودة الشباب الذين أكملوا دراستهم في جامع الزيتونة والقرويين وفي الأزهر وفرنسا و جامعات الأخرى مثل مالك بن نبي وعبد القادر المجاوي والطيب العقبي وبن شنب وأبو القاسم الحفناوي وعبد الحميد بن سماية وعبد الحميد ابن باديس وابن الموهوب، وكثير ممن سعوا إلى بث روح الإصلاح في الجزائر. [1]

وقد عُرفت بكتلة المحافظين الّذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الإصلاح في إطار الشخصية الجزائرية القديمة وإعتبروا منذ البداية أن الأمّة الجزائرية تمثل كيانا منفصلا تماما عن فرنسا وبدا واضحا تأثير الشرق في أفكار هذه الفئة من خلال ما رأوه في سياسة الأمم وثقافاتها وحضاراتها، مما أدى إلى تبني الأفكار الإصلاحية منذ مطلع القرن العشرين،[2] فبدأت تظهر التكتلات والأحزاب للمثقفين الجزائريين بهدف التغيير ونشر الوعي وتأسس جمعية العلماء المسلمين ولنشر أفكارها أصدرت صحف ومجلات منها " جريدة الجزائر، المنقذ، الشهاب، الإصلاح، صدى الإصلاح ، السنة، الشريعة، الصراط، البصائر" وأنشأت المدارس العربية الإسلامية إلى ما يزيد عن 170 مدرسة تحت إشراف الجمعية[3]. وظهرت كذلك النوادي والجمعيات الثقافية "الجمعية التوفيقية 1911" " نادي صالح باي" و"الجمعية الراشدية"، حيث كانوا يسعون إلى تثقيف وتطوير الأفكار العلمية والإجتماعية وعقد محاضرات علمية وأدبية والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون،[4]

---

[1] رابح تركي، **ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، ط2، الجزائر، 1981، ص 106 .

[2] Ali merad ،**les réformistes musulmans en Algérie de 1925 à 1940** ، ed motion et co la haye ، paris 1967، p 160.

[3] ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 138.

[4] أحمد المدني، مرجع سابق، ص144.

ومنه فإن هذه الأحزاب والجمعيات هي الّتي كانت تقوم بتعليم وتثقيف الشّعب الجزائري، وزرع بذور مناهضة الإستعمار في عقولهم ورفضه .

الأوضـــاع الاجـتـماعيـــة:

1 – تفكـك الروابـط الاجتماعيـة:

حرص الإستعمار الفرنسي على القضاء على القبيلة (العرش)، وقامت على أنقاضها القرى والمداشر والبلديات والدواوير بسبب خلق الملكية الفردية وانفصال الفرد عن الجماعة وتحول المجتمع من نمط الحياة الجماعية القائمة على الوحدة العشائرية ذات التماسك والتضامن القرابي إلى جماعة اصطناعية قائمة على الفردية وظهرت مجموعة من الدواوير المتباعدة والمستقلة عن بعضها البعض تتحكم فيها الإدارة الفرنسية.

2 – الهجــرة:

عندما فشلت المقاومة الشعبية في صدّ العدوان الفرنسي على الشّعب الجزائري، ولم يصبح للقبائل الجزائرية القدرة على مقاومة الظلم والاستبداد، توجّه جموع الجزائريين نحو الدّول المجاورة (تونس، المغرب وطرابلس ثم إلى المشرق) احتجاجا ورفضا للإستعمار وازدادت الهجرة خاصة عام1867م–1868م بسبب المجاعة والفقر، وهذه الصّورة تلّخص الحالة الّتي وصل إليها المجتمع الجزائري حيث لم تكن له القدرة حتى على تأمين احتياجاته الضرورية.[1]

3 – البـطالــة:

بعد تفكك القبيلة و ضرب وحدتها و نزع الأراضي الّتي تمثل القاعدة المادية لأي نشاط في الريف ،ظهرت اليد العاملة البطّالة و أصبح الراعي مترحل بلا مواشي و الفلاح بلا محراث ولا أرض [2]و طرد الفلاحون إلى شعاب الجبال المحيطة بالمدن أو العمل

[1] الطاهر سعود، **الحركات الإسلامية في الجزائر**، ط1، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2012، ص 216.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر،1986 ، ص 82.

كخماس بالأرض الّتي كان سيّدا عليها، إضافة إلى فرض الضرائب الثّقيلة ،[1]هذه السياسة المنتهجة من قبل الإستعمار الفرنسي أدّت إلى النزوح الريفي نحو المدن والتجمعات الحضارية بحثا عن العمل والعيش الكريم والهجرة إلى أوروبا وخاصة فرنسا.

4 – الأمــراض و الأوبئــة :

من بين المشكلات الإجتماعية المختلفة الّتي عانى منها الجزائريون ظاهرة الأوبئة والأمراض الّتي تفشّت بسبب تكديس السّكان في المناطق الضيّقة والنائية، حيث أصبح أكثر من نصف مليون يسكنون الأكواخ في حالة إجتماعية يرثى لها .[2]

إن الجزائر عرفت الكثير من الأوبئة مثل وباء الطّاعون الّذي ظهر في القبائل وإقليم العاصمة (1888م–1893م) والكوليرا 1884، والملاريا [3] 1904، التيفيوس 1867م–1920م وتزامن هذه الأوبئة مع هجمات الجراد والقحط والجفاف .[4] وأمراض أخرى لم يعرفها المجتمع الجزائري إلّا بعد احتلاله من طرف فرنسا والّتي لم تحرك ساكنا تجاه هذا الوضع ولم تتخذ أيّ إجراء للحدّ من انتشارها أو القضاء عليها بل استغلت الفرصة لإحداث الخلافات والفتن بين الطّرق الصّوفية وتشجيع النعرات المذهبية وممارسة المهمّة التبشيرية والتّنصيرية.[5]

---

[1] Abdallah laroui ،**l 'histoire du Maghreb** ، tome II ، FRANCE ،1970، P 124 .

[2] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 44.

[3] كمال كاتب، **أوروبيون أهالي ويهود الجزائر1830–1962**، ترجمة رمضان زيدي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2011، ص ص 187، 188.

[4] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص46.

[5] بسام العسلي، مرجع سابق،ص 37.

المطلب الرابع: بـوادر الإصـلاح فـي الجـزائـــر

يرجع أغلب المؤرخين البداية الحقيقية لظهور حركة الإصلاح الدّيني في الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عند زيارة الشيخ محمد العبدة للجزائر سنة 1903م[1]، وإذا اعتبرنا هذا التاريخ كبداية للحركة الإصلاحية في الجزائر، فإننا نجد أنها ظهرت في وقت متأخر جدا بالمقارنة مع تاريخ الحركات الإصلاحية في المشرق العربي الإسلامي، ويرجع هذا التاريخ إلى الظروف الّتي كانت تعيش فيها الجزائر في ظل الإستعمار الّذي منع عنها جل الموجات الثقافية والعلمية الحضارية، فتسببت في الجمود الفكري والتخلّف الثقافي وفقد الناس اتصالهم بماضيهم نتيجة لغلق المدارس والكتاتيب الّتي كانت منتشرة في كل البلاد، أما الفلاحون فقد تركوا مرتعا للخرافات والبدع الجهل، وكانت اللّغة العربية أكثر المقومات الوطنية معاناة.[2]

لقد أثرت زيارة الشيخ محمد عبده وخلقت جوا حماسيا للجزائريين، ذلك بنصائحه وتوجيهاته للعمل على إصلاح الأوضاع المتردية في الجزائر وإرجاع فعالية الدّين الإسلامي فيها، خاصة مع وجود نخبة مثقفة عادت من المشرق متحمّسة للوطنية والأصالة معادية للتغريب، فقد كان لهم برنامج وطني متكامل قوامه المساواة بين المواطنين ومعارضة التجنيس و حرية التعليم ورفض القوانين التعسّفية الّتي فرضت على الشّعب الجزائري، وساهم هؤلاء المصلحون في بعث اليقظة الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين عن طريق التدريس في الكتاتيب وفتح المدارس من جديد، ومن أشهر هؤلاء المصلحين عبد القادر المجاوي،

[1] علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية**، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد بحناني، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 37 .

[2] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1900**، ج 2، مرجع سابق، ص 60.

ابو القاسم الحفناوي[1] وعبد الحليم سماية [2]وحمدان بن لونيسي ومولود بن الموهوب وغيرهم ممن تحمّسوا لأفكار الأفغاني ومحمد عبده[3] ورشيد رضا،[4]وعرفت هذه الفئة بالكتلة المحافظة الّتي حملت على عاتقها مسؤولية التغيير وإصلاح المجتمع الجزائري والنهوض به.[5]

لقد مثّلت هذه الكتلة اللّبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر، فدعت إلى إصلاح العقيدة الدينية والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية ونشر العلم والمعرفة، ورغم تصدّي الإستعمار الفرنسي لهؤلاء المصلحين والعمل على اضطهادهم وإفشال مخططاتهم، إلاّ أن الحركة تمكنت ولو بشكل نسبي من نشر الوعي واليقظة، وهذا ما خلق نوعا من الإستعداد النفسي للتغيّر ومناهضة الأفكار الإستعمارية الّتي تسبّبت في تخلف المجتمع ومهد الطريق لظهور الأحزاب السياسية.

ومن بين العوامل التي أدّت إلى ظهور العمل الإصلاحي في الجزائر هي تلك الهجرات الّتي تعرف من خلالها روّاد الفكر الإصلاحي على ما يجري خارج الجزائر خاصة

---

[1] **أبو القاسم الحفناوي 1852م/1942م:** ولد بقرية الديس ببوسعادة، تقلد منصب التدريس 1897م، ثم صار عضوا في هيئة تحرير (جريدة المبشر)، يعتبر من العلماء التأثرين بالنهضة العربية في المشرق، كما اهتم بإحياء التراث العربي القديم، اشتهر بتنوع معارفه الدينية والدنيوية، كما كان باحثا محققا وأستاذا وإماما مفتيا، من أشهر كتبه، تعريف الخلف برجال السلف، (بصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق ن ص 56.)

[2] **عبد الحليم سماية 1866م/1939م:** من عائلة تركية عريقة في الجزائر العاصمة تنتمي إلى أتراك بلدة أزمير، ترجع في نسبها إلى حسن خوجة، نشأ تنشئة دينية، تتلمذ على يد الشيخ حسن بوشاشية، كما اخذ العلوم العربية والفقه والتوحيد على يد والده، واخذ علوم الحساب والفرائض والفلك على يد أبي القاسم الحفناوي، ومن أثاره " حضارة الإسلام و فلسفته " " الكنز المدفون و السر المكتوم ".(بصفصاف و آخرون، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 149.

[3] **محمد العبده 1849م/ 1905م:** داعية و مجدد إسلامي مصري، وأحد ابرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث ومن دعاة الإصلاح وأعلام النهضة الإسلامية، ومن أهم كتبه رسالة التوحيد والعروة الوثقى.

[4] **راشيد رضا 1865م/1935م:** ولد بلبنان توفي بمصر، مفكر وصحفي وأديب لغوي ومن أهم رجال الصلاح في العالم الإسلامي واحد تلاميذ الشيخ محمد العبدة.(المرجع نفسه، ص185.)

[5] زرمان محمد، **فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ بشير الابراهيمي)**، دار الصحوة، القاهرة، 1999، ص25.

في المشرق لأنها كانت في فترة برزت فيها الحركات الإصلاحية والتحررية نتيجة التأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني.[1]

عرفت الجزائر بفعل هؤلاء المصلحين انتشارا كبير للأفكار التجديدية والمناقضة لما كان الإستعمار يروّجه لتضليل الأمّة، ومن الشخصيات البارزة الّتي كان لها وزن كبير في الفعل النهضوي الإصلاحي في الجزائر وخارجها عبد الحميد ابن باديس والذي هو يمثل رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، فمنذ عودته من المشرق عمل على إحداث نهضة فكرية وعلمية واسعة في الوسط الإجتماعي الجزائري الّذي كان يعيش في ظلام الجهل والبدع والطرقية،[2] واستطاعت حركته الإصلاحية في الجزائر أن تصنع جيلا كانت له الرّيادة في المحافظة على مقومات الأمّة لتثور ضد الإستعمار وعملائه، وركّز على تثبيت التعاليم الإسلامية في نفوس الجزائريين ودعا إلى النهضة الّتي تقوم على أساس التربية والعلم، مع ضرورة إصلاح التعليم "**ومحاربة الجمود والأوضاع المزرية، وبهذا المنهج يمكن ترقية الإنسان المسلم في حدود إسلاميته الّتي هي حدود الكمال الإنساني**"[3]

تأكد ابن باديس بأن التغيير يبدأ من داخل الفرد وينعكس ذلك على السلوك، ثم يظهر التغيير في العلاقات وسائر النشاطات الاجتماعية، وإصلاح النفوس والأعمال هو شرط إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري ومن أجل تحقيق أهدافه أسّس في سنة 1931م جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكانت أول مؤسسة ثقافية اجتماعية تسعى إلى الإصلاح والتغيير وإيقاظ المجتمع من ضعفه وركوده، حيث يقول الإبراهيمي: "**ورأيت بعيني النتائج**

[1] سامية جفال، منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، جامعة قسنطينة ، 2001م، ص19.

[2] جمعية علماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب الجزائرية، نادي الترقي الجزائر، ص ص48.47.

[3] عمار طالبي، أثار ابن باديس، ط1، مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص62.

التي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم ابن باديس ...وأن هذه الخطوة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في جزائر"[1]

[1] محمد بشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة**، دار الأمة، الجزائر، 1994، ص 216.

المبحث الثاني: حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: مولده ونشأته

تزامنت ولادة مالك بن نبي مع التطورات الحاصلة في الجزائر والعالم العربي الإسلامي المعاصر، فبعد سقوط الدولة العثمانية سيطر الاستعمار الأوروبي على معظم الدول التي كانت خاضعة لها كاالجزائر، مابين حربين عالميتين، ففي سنة 1905م كانت معظم الدول العربية تعاني من ظاهرة الاستعمار والتبعية له، مما نتج عنه ظهور مقاومة في شكل حركات جهادية وأخرى إصلاحية في الجزائر والعالم العربي، سعت إلى رفع الظلم والجهل، فمنهم من توجه لحمل السلاح والجهاد، ومنهم من اتخذ من القلم وسيلة لرسم مسار التغيير والإصلاح، كل حسب رأيته ومنهجه ومنهم المفكر الجزائري مالك بن نبي وككل المفكرين الثائرين كانت المحنة فرصة بن نبي كي يكتب عن المحن كلها ،عن الثقافة التي ضاعت والمستقبل الذي يبدوا مجهولا ، وتزوير التاريخ وتحريفه، وأفق المقاومة وشروط النهضة.

ولد المفكر مالك بن ساعد بن نبي بمدينة قسنطينة مساء الأول من جانفي 1905م[1]، وهو ابن الحاج عمر بن الحضر بن مصطفى بن نبي واشتهر باسم "مالك ابن نبي "،[2] في كنف عائلة فقيرة كأي أسرة جزائرية في فترة الاستعمار الفرنسي، وانتقل مع عائلته إلى تبسة، حيث كان للاستعمار أثره البارز على الشعب الجزائري من خلال مظاهر الفقر والبؤس والدمار، حيث يذكر بن نبي في مذكرته أنه لما بلغ السادسة والسابعة من العمر، وكان وضع

[1] إستنادا إلى نسخة من شهادة الميلاد صادرة من بلدية قسنطينة تحت رقم 09،محرر في 2003/04/20م.

[2] مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته و عطائه الفكري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2007، ص 11.

عائلته قد ساء ماديا، فجده لأبيه باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب.[1]

وكانت قصص جدته هي المدرسة الأولى والتي كانت تروي له القصص من الواقع المعيشي آنذاك، حيث تعلم منها القيم الفاضلة والأخلاق الإسلامية وما كان يمارسه الاستعمار الفرنسي من جرائم حيث يقول: "**تعلمت من جدتي أن الصدقة والعطف على الفقراء من أهم الأخلاق التي اعتنى بها الإسلام** "[2]

زاول دراسته الابتدائية في وسطه الجديد بتبسة بالمدرسة الفرنسية وفي ظل الظروف القاسية التي كانت تعيشها الأسرة، اضطرت الأم أن تخرج إلى العمل لتوفير قوت العائلة ، وأدخل مالك إلى الكتاب من أجل حفظ القرآن الكريم، ويذكر أن نفقة معلم القرآن لم تكن متوفرة للأسرة، مما جعل أمه تقدم سريرها الخاص لتغطية نفقات تعليمه القرآن آنذاك حيث يقول:" **ولا أزال أذكر أنها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص ".**

كان لعائلة مالك اتصال بالصوفية حيث كان عمه يأخذه معه إلى الزاوية العيساوية، ما أثَّر على تكوينه الديني منذ نشأته، حيث لاحظ أنه بعد صلاة العشاء في المسجد يتفرق الأهالي إلى فئات، فئة تتجه نحو المقهى إلى القصاص الذي يروي قصص ألف ليلة وليلة وفئة أخرى تبقى في المسجد لتستمع إلى درس الإمام، وقد كان وعيه يتكون تحت تأثير التيارين.[3]

---

[1] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن(الطفل و الطالب)**، ط 2، دار الفكر للطباعة والنشر، سوريا، دمشق ، 1984، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص 16-19.

[3] المصدر نفسه، ص ص 32، 33.

استغرق تعليمه بلكتّاب أربع سنوات فقط ثم دخل المدرسة الابتدائية بتبسة، وبعد تفوقه رجع إلى مسقط رأسه قسنطينة سنة 1920 لإتمام دراسته الثانوية، وبدأت مرحلة جديدة من خلال تنقلاته بين قسنطينة وتبسة واتسعت مدركاته وحبه للإطلاع والثقافة واتصاله بالشيخ عبد المجيد[1]، أستاذه في اللغة العربية والنحو والذي غرس فيه حاسة النقد الاجتماعي كما تأثر بالسيد مارتن في إثرائه بالمفردات اللغوية وغرس فيه روح التعبير وحبب إليه المطالعة.[2]

وتميزت هذه الفترة بإطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي وشعراء العصر الأموي والعباسي وكتاب أم القرى ومقدمة ابن خلدون، ولكن أكثر ما أثّر فيه هو كتاب "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا ورسالة التوحيد لمحمد العبدة حيث يقول مالك: " أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري منذ تلك الفترة".

لقد تأثر مالك بن نبي في هذه المرحلة بالمناخ الثقافي الذي كان سائد في الشرق الجزائري وبالحركة الإصلاحية التي كان يقودها الشيخ ابن باديس[3] والشيخ العربي التبسي والطيب العقبي[4] وبدأ الناس يلتفون حول هذه الحركة التغيرية الجديدة وتركوا أماكن اللهو والمقاهي، وقد تعرف بن نبي على بعض تلاميذ ابن باديس **"لقد شعرت بأنني وهؤلاء في اتجاه فكري واحد"**،[5] ورغم أنه من أشد المعجبين بفكر ابن باديس إلا أنه لم يسبق له وأن

---

[1] **الشيخ عبد المجيد:** مدرس في معهد تكوين المعلمين مختص في قواعد اللغة العربية والنحو والصرف والشعر

[2] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص48.

[3] **عبد الحميد ابن باديس:** ولد 1889م بقسنطينة إمام ومصلح ومجدد ، رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر أسس جمعية العلماء المسلمين واصدر العديد من الصحف باسم الجمعية كالشهاب والصائر وإقدام توفي في سنة 1940م.(المصدر: منتدى فيض القلم، الأعضاء المؤسسون لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر،http://9alam.Com ، 2016/05/20، 00:30)

[4] **الطيب العقبي:** من مواليد سيدي عقبة ببسكرة1889م، من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، كان له دور كبير في نشو الوعي الثقافي والعلمي في المقاهي والنوادي وفي المجال الصحافي ونشر مقالاته في جرائد الجمعية، توفي في سنة 1960.(المصدر السابق)

[5] محمد العبدة، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي 1905-1973**، ط1، دار القلم، دمشق، 2006، ص ص 26، 27.

حادّثه بل اكتفى بالنظر إليه وهو ينتقل إلى مكتبه، تخرج مالك بن نبي من المدرسة الثانوية كعون إداري سنة1925 وقرر البحث عن العمل أو نشاط يمارسه ولكن بدون فائدة، فتوجه رفقة صديقه إلى فرنسا، فكانت أول رحلة يقوم بها المفكر في حياته العملية والاستكشافية لمعرفة ثقافة المجتمع الغربي.[1]

[1] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص 131.

المطلب الثاني : رحـــــلاتــه

أولا: رحـــلاته الداخليــة1927م:

1. رحلته إلى تبســة:

عين مالك بن نبي كموظف في محكمة تبسة، وكان القانون الداخلي للمحكمة يقضي بالقيام برحلات حول المناطق التابعة لها، وهذا ما خلق الفرصة الملائمة لمالك بن نبي للتعرف عن كثب على الريف وطبيعة سكانه، وكانت سعادته كبيرة عندما يستلزم الأمر المبيت في تلك القرى والمداشر، فقد شاهد الإنسان الجزائري وهو على فطرته وطيبته ولم تصل إليه يد الاستعمار نظرا لما وجد في أهلها من الصفات الفاضلة والإيمان بالقضاء والقدر ومكارم الأخلاق وانتشار البساطة في جميع مظاهر الحياة في مجتمعه.[1]

2. رحلتـــه إلى أفلــو[2]:

تم تعيين مالك بن نبي في محكمة آفلو بعد أن تم تخييره من طرف النيابة العامة بين ثلاث مناطق اختار منها منطقة آفلو، وعند وصوله إليها اكتشف كرم وطيبة سكانها وحسن معاملتهم، الأمر الذي ساعده على التأقلم في فترة إقامته، حيث كان في ضيافة ابن غرور وفرح كثيرا بتواجده في هذه المنطقة التي لم تصل إليها أيادي الاستعمار، ويصفها في قوله: **"في زاوية لم يقتحمها الاستعمار بعد كأنما قد لاذت بها البلاد لتضع في حرزها الأمين كنوزا من لطف المعشر والكرم والإخلاص وحب الخير والبراءة".**[3]

---

[1] عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته و فكره**، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، بيروت، 2012، ص 82.

[2] تقع أفلو في جنوب العاصمة الجزائرية وهي قريبة من منطقة الأغواط

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 172، 173.

ومن أهم الخصال التي يتميز بها سكان هذه المنطقة الجود والكرم، فعندما تمر رحلة من رحلات المحكمة ونتفادى مضربا من مضارب هؤلاء القوم كان صاحب المضرب يغضب غضبا شديدا ويصر على النزول عنده ويقدم الغذاء "**والناس في المدن لا يستطيعون فهم هذه العقلية أو ذلك النبل الذي يجري في عروق البدوي**"،[1]وخشي بن نبي من وصول الاستعمار إلى هذه المنطقة وتخريب هذا المتحف الجميل في الغرب الجزائري، فكان يحذر من الاستعمار ويستحث الأهالي على امتلاك الأراضي وزراعتها.[2]

وما عاب المنطقة الروح المرابطة التي سيطرت عليها، إلا أن مالك بن نبي قد استاء من المظاهر الجاهلية من ممارسات الطرق الصوفية التي كانت تستغل جهل وسذاجة السكان الذين يستقبلون المرابطون، ويقدمون لهم أموال طائلة من زكاة وأتوات وقرابين، فالمرابطون يجمعون زكاة سائر المنطقة التي هي كثيرة الغنى والكرم معا، وفي تلك الفترة 1927م لم يصل إلى آفلو صدى الإصلاح والذي كان منتشرا في الشرق الجزائري، وأول من أدخل جريدة الشهاب إليها هو مالك بن نبي والتي كانت تصل من المشرق. [3]

وعندما أخذ مالك بن نبي إجازة من عمله أراد الذهاب إلى تبسة، وعند عودته قرر المرور بقسنطينة والاتصال بالشيخ عبد الحميد ابن باديس ليحدثه عن مشكلة الأراضي في أفلو، وقد كانت المرة الأولى التي يقابل فيها ابن باديس ويتحدث إليه، ولكن هذا الأخير لم يكترث لكلامه ولم يدعوه إلى الجلوس في مكتبه ولم يمنحه الاعتبار والاهتمام الذي كان ينتظره، وربما هذا راجع إلى زي ولباس مالك بن نبي الأوروبي، فعاد بن نبي محبطا ويشعر

[1] محمد العبدة، مرجع سابق، ص ص 30، 31.

[2] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 74، 75.

[3] المصدر نفسه، ص ص 180، 181.

بخيبة أمل كبيرة و لكن هذا الموقف لم يكن ليجعله يتوقف عن التفكير والتساؤل في كل ما يحيط به من أمراض المجتمع ومشاهدة الواقع في المدن والقرى الجزائرية.[1]

3. رحلته إلى شلغوم العيد[2] :

تعتبر منطقة شلغوم العيد مركز كبير للاستعمار ويخضع سكانها لقانون المستعمر، إلا أن مالك لم يجد الترحيب الذي وجده في آفلو، فقد كان يقيم في قاعة وثائق المحكمة ويأكل في مطعم يهودي، أما عن سوء الأخلاق والآفات الاجتماعية فقد كانت منتشرة في هذا المجتمع، حيث أن الثقافة كانت تتجلى في شرب الخمور ولعب الورق وحكايات القصص الخرافية وخلو المنطقة من المظاهر الإنسانية.

بعد فترة من تعلمه في محكمة شلغوم العيد توترت العلاقة بينه وبين كاتب المحكمة الذي كان يحتقره ولا يرد عليه حتى السلام مما أدى بمالك إلى تقديم استقالته والعودة إلى تبسة. [3]

[1] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص 184.

[2] وهي قرية جزائرية تقع جنوب غرب قسنطينة وتتبع دائرة قسنطينة.

[3] المصدر نفسه، ص ص 190-193.

ثانيا: رحلاتـــه الخارجية 1930:

1. رحلته إلى باريس 1930:

كانت هذه رحلته الأولى للتعرف على العالم الخارجي في سنة 1925م، فبعد عودته إلى الجزائر وفشله في الحصول على عمل مناسب قرر في سبتمبر 1930م السفر إلى فرنسا، فوجد نفسه في وسط الحضارة الغربية وبدأ يتأمل في هذا المجتمع ويكتشف جوانبه الإيجابية والسلبية ومعرفة الغرب من الداخل، وزار متحف الفنون والصناعة حيت رأى الجانب التقني للحضارة وجانب الفاعلية عند الفرد الغربي.

تقدم بن نبي للمشاركة في معهد الدراسات الشرقية، لكنه رُفض لأسباب سياسية لا لأسباب علمية كونه جزائري مسلم وعربي، ومن هنا بدأ يدرك خفايا اللعبة الاستعمارية، [1] وتعرف في باريس على منظمة سياسية تدعى منظمة الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين[2] ، فانتسب إليها، وكان أول عضو مسلم في هذه المنظمة، تعرف من خلالها على الثقافة الفرنسية وأدرك أبعادها السلوكية، وكان لها دور في التنمية الفكرية للمفكر مالك ابن نبي.[3]

كانت له الرغبة في دراسة العلوم التطبيقية والرياضيات فأشار إليه أصدقائه أن ينتسب إلى مدرسة اللاسلكي لدراسة الهندسة الكهربائية، فتقدم للمدرسة بطلب الانخراط ووافقت على انتمائه لها بدرجة مساعد مهندس وفتح له عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف ويتسم فيه الفرد بميزات الضبط والملاحظة، ورغم انشغاله بدراسته إلا أنه

---

[1] عبد اللطيف عبادة، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، ط1 ، دار الشهاب، باتنة، 1984، ص35.

[2] **جمعية الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين:** والتي كان يديرها هنري نازيل وزوجته والتي تضم شباب مهتمين بالتبشير المسيحي، هذا الاحتكاك بالجمعية المسيحية سمح له بالاطلاع على هذه الديانة وأثرها على الإنسان المتدين المسيحي. (المصدر: نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص58)

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 218، 219.

لم ينسى مشكلات العالم الإسلامي، خاصة بعد اندماجه في **الحي اللاتيني** الذي كان يتواجد فيه مجموعة من الطلبة العرب منهم دعاة الإصلاح من شمال إفريقيا والناشطين في العمل السياسي والتحرري، وتعرف آنذاك على طالب اسمه "حمودة بن ساعي"،[1] الذي كان يعد رسالة الدكتوراه حول الغزالي، وقد كان لهما نفس التوجه الذي يخص دور الإسلام في النهوض بالشعوب الإسلامية، واطلع مالك بصحبته على الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ وكانت تعقد جلسات بينهما وتناقش فيها مواضيع في علم السياسة والدين والاجتماع.[2]ويقول بن نبي بأنه مدين لحمودة بن ساعي باتجاهه ككاتب مختص في شؤون العالم الإسلامي.[3]

أراد مالك بن نبي تحصين نفسه في الوسط الغربي لأن الحياة في باريس لم تكون مأمونة العواقب من الناحية الأخلاقية وهو ما زال شاب أعزب يقول " **هكذا استقبلتني باريس بوجه بناتها الطائشات الكاسيات العاريات العارضات لزينتهن**".[4]

تعرف على فتاة مسيحية وتزوجها في 1931م وهداها الله إلى اعتناق الإسلام وسمّت نفسها خديجة، وقد كان لها دور في تهيئة الأمور النفسية والمادية لمالك ليتفرغ للدراسة والمناقشات الطويلة مع ابن ساعي، ويصف مالك زوجته أنها كانت نعم الزوجة ونعم العون له، ووفرت له كل سبل الراحة، مما جعله يتفرغ للنشاط مع زملائه الطلبة، ويتابع عن كثب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر، وتعمل على مؤازرته، كما كانت تشجعه على

---

[1] **حمودة بن الساعي**: تعرف عليه مالك عندما كان طالب في قسم الفلسفة بجامعة السربون واحد تلاميذ المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسنيون ، يتميز ابن الساعي بذكاء كبير واطلاع واسع على الثقافة والسياسة وقضايا العالم الإسلامي(المصدر: نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص101)

[2] البشير قلاتي، **هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي و البعث الحضاري**، ط 1، منشورات مكتبة اقرأ، 2007، ص 19.

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 235، 236.

[4] المصدر نفسه، ص 204 .

مواصلة عمله في المنزل وتتابع خطواته في ذلك وتسر بما تراه من إقباله ونشاطه في مواصلة تحصيله العلمي. [1]

بدأ مالك ابن نبي بإلقاء المحاضرات، وأول محاضرة له كانت بعنوان " لماذا نحن مسلمون " كان لها صدى كبير في أوساط الطلبة لدرجة أن نشاط مالك لفت انتباه الأوساط الأمنية الإستعمارية.

وفي عام 1932 تعرف عن قرب على " المهاتما غاندي"[2] الزعيم الهندي أثناء زيارته لفرنسا وأعجب بأفكاره التحررية وكذلك تعرف على فكر" شكيب أرسلان" الإصلاحي. [3] كان واثقا تماما من أن كل إصلاح اجتماعي هو أصل وأساس كل تغيير وصب جهوده في بث روح الوعي الفكري و الثقافي في أوساط الطلبة. وأطلق عليها اسم الفاعلية والتي يعتبرها جوهر كل نشاط حضاري، وكانت هذه نتيجة حياته في تلك المنظمة المسيحية والمجتمع الفرنسي الذي شاركت فيه زوجته وأمها الريفية، كما انتقد تلك الخطب والمظاهرات المطالبة بالحقوق كأسلوب سياسي للعمل التحرري واعتبره ثرثرة وسذاجة لأنه كان ينادي بتحقيق الوحدة المغاربية وأولوية الواجب على الحق[4].

وفي صيف 1932 زار مالك الجزائر، والتي لاحظ فيها تحولات في مستوى الوعي والفهم والأفراد، وقد جلب معه زوجته خديجة، وازداد إعجابه لما رأى الناس تتكلم العربية بطلاقة، وأن الحّمال الذي كان يخدّمه ينتمي إلى نادي الترفيه، فأدرك أن موجة الإصلاح

---

[1] الطيب بن براهيم، **مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون**، دون طبعة، دار مداني، الجزائر، 2002، ص ص28، 29.

[2] **لمهاتما غاندي**: سنة 1869-1948موهو زعيم هندي اشتهر بالمقاومة السلمية وفلسفة اللاعنف ووقف ضد التمييز العنصري ضد الأفارقة.(أنظر:عيسى الحسن، أعظم شخصيات التاريخ دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفية،ط1، الاهلية، الاردن، 2010م، ص314.)

[3] **شكيب أرسلان**: 1946/1869، كاتب وأديب ومفكر عربي لقب بأمير البيان من مؤلفاته الحلل السندسية، لماذا تأخرا المسلمون و تقدم غيرهم.(أنظر:عيسى الحسن، نفس المرجع، ص155)

[4] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص22 .

للشيخ العقبي قد وصلت الجزائر "**أيقنت أنَّ هذا التغيير البسيط ستتلوه تغييرات جذرية لا محالة ولو لم أكن أتصورها بعد، ولم تكن تتصورها في ذلك الحين الإدارة الفرنسية**"[1]

شاهد مالك بن نبي تغييرات اجتماعية لم يعتدها من قبل، وتيقن أنَّ موجة الإصلاح قد انتقلت من قسنطينة إلى الجزائر ومنها إلى كافة ربوع الوطن، ومنه فإنَّ جهود الشيخ ابن باديس بدأت تأتي ثمارها، ولاحظ أيضا الحلقات الدراسية التي كان يقدمها الشيخ الطيب العقبي، والتي كان يحضرها أهالي مدينة الجزائر من عمال ميناء وصغار صيادي الأسماك والتجار.... [2]، إضافة إلى أن مظاهر الطرقية فقدت مكانتها في المجتمع.

ظل مالك بن نبي ينتقل بين الجزائر وفرنسا لاستكمال الدِّراسة، مكثفا مجهوداته وفي نفس الوقت راصدا للتطورات الفكرية والسياسية الحاصلة في أوروبا والعالم الإسلامي والجزائر.[3]

وفي صيف 1934م فُجع مالك بوفاة أمه قبل تخرجه بسنة واحدة، إلا أنَّ هذا لم يؤثر على إرادته فأتم دراسته وتخرج في عام 1935م مهندسا كهربائي، ولكن السلطات الفرنسية حرمته من استلام شهادته الجامعية.

كانت رغبته كبيرة في الحصول على عمل والسفر إلى بلاد الشرق، قاصدا الحجاز التي كانت تعاصر الحركات الإصلاحية والتي ترسخت فيها الحركة الوهابية وإلى مصر وإيطاليا وألبانيا لكن محاولته باءت بالفشل، وسعَت فرسا إلى إغلاق كل سبل العيش في وجهه سواء في فرنسا أو الجزائر أو المستعمرات وأصبح العمل حلما مستحيلا لدى شاب مثقف ومولع بالعلم ومثقل بهموم وطنه وأمته وأصبح همه الوحيد هو العمل في أيِّ مجال لتأمين رغيف العيش،[4] فاشتغل ككاتب في بلدية Drue ومدرسا في تعليم الكبار في السن من العمال

---

[1] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص256 .

[2] محمد العبدة، مرجع سابق، ص 35.

[3] المرجع نفسه، ص 37 .

[4] زكي ميلاد، **بن نبي ومشكلات الحضارة**، دار الفكر، دمشق، 1998، ص45.

الجزائريين وتعليمهم مبادئ اللغة وبعض شؤون الدين الإسلامي فمنعته فرسا، وككل المفكرين الثَّائرين كانت المحنة فرصة بن نبي كي يكتب عن المحن كلها، عن الثقافة التي ضاعت والمستقبل الذي يبدوا مجهولا، وتزوير التاريخ وتحريفه، وأفُق المقاومة وشروط النهضة.

في هذه الفترة إندمج مالك في العمل السياسي بعد أن ظهر حزب نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج، وقد حضر بن نبي اجتماعات الحزب وكان يهاجم في كتاباته التدخل السياسي وخاصة في الجزائر، حيث تحولت الانتخابات إلى زرْدة[1] بتعبير مالك يحوم فيها الأتْباع حول الزعيم ويحوم الأهالي حول الزعيم الصوفي. [2]

بعد نجاح رواد الإصلاح في الجزائر في نشر الوعي داخل الأمة الجزائرية، وعقد المؤتمر الجزائري الإسلامي بالعاصمة سنة 1936م، بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين، وقد توجه وفد من أعضاء الجمعية وسياسيون وطنيون إلى باريس للمطالبة بالحقوق، وهذا ما أثار حفيظة مالك بن نبي، حيث توجه إلى فندق إقامتهم وخاطبهم سائلا: **ما جدوى إقامتكم في ذلك الفندق الفخم وما الهدف من التفاوض مع المستعمر؟** لأنه لم يستوعب فكرة المطالبة بالحقوق لأنه يرى أن الإصلاح يكمن في الواجبات وفي ضمير الأمة.[3]

تمكن مالك من الحصول على عمل في دار باريسية للنشر وأرسلته إلى الجزائر من أجل نشر مطبوعاتها وترويجها، ولكنه وجد في الجزائر بيئة استعمارية سيئة في كل جوانب الحياة وجزئياتها، فتوجه إلى تبسة وظل فيها لمدة عام بجانب الشيخ العربي التبسي يساعده في نشاطات الشبيبة الإسلامية.[4]

---

[1] **الزردة** : وهي الوعدة أو الإطعام والاحتفال وهو نوع من التراث الشعبي القديم (م:منتديات الضيافة العربية، الزردة ثقافة جزائرية، http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=199986، 2016/05/20، 00:15)

[2] الجزيرة الوثائقية، **مالك بن نبي** ،https://www.youtube.com/watch?v=h9pTc-BqqO، 2016/05/11، 00:30.

[3] محمد العبدة، مرجع سابق، ص ص 36،37.

[4] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص 102.

وفي سنة 1938 توجه مالك للعمل في نادي مرسيليا، وهو نادي يقوم فيه بتدريس الكبار وتعليم قواعد اللغة العربية وبعض الشؤون الدينية الإسلامية، حيث يقول: " **لو طلب مني في تلك الفترة أن أدخل لتعليم الحروف في حفرة إسطبل جمع فيها أبوال الحمير لدخلته بلا تردد فرارا من واقع مرير**".[1]وحاول تعليم طلابه من أميين وكبار السن بطريقة ذكية، حيث ركز على جانبين هما الجانب الفكري والجانب النفسي، وتلقينهم الدروس في أسرع وقت ممكن، حيث كان لديه احتمال بتوقيف النادي من طرف السلطات الفرنسية لأنه كان تحت الرقابة، وبالفعل تم توقيفه بحجة أنه ليس لديه شهادة تأهله للتدريس، كما أن المكان لا يصلح لهذا الغرض.

1) زيارته للجزائر في1939م:

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر لاحظ بأن موجة الإصلاح قد غزتها وانتشرت خلاياها في تبسة واندمج معهم من خلال المشاركة في إلقاء محاضرات في نادي الإصلاح بتبسة، ولكن من دون جدوى، وبدأ نجم الإصلاح في التخلي عن الساحة للأحزاب السياسية نتيجة اتصالهم بالحركات الحزبية وسيطر على الموقف الزعماء السياسيون الذين أخمدوا ثورة الإصلاح. [2]

وفي 1939/09/22م غادر الجزائر لسوء الأوضاع في تبسة وعدم تمكنه من إيجاد عمل، إضافة إلى ارتفاع الأسعار واختفاء البضائع بسبب الحرب العالمية الثانية وتعفن الوضع السياسي والإصلاحي في الجزائر وتوتر علاقته بالشيخ العربي التبسي حيث يقول: "**فأصبح الجو لا يحتمل.. فقررت السفر وودع الجزائر بقوله يا أرض عقوقا!...تطمعين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع أنني لن أعود إليك إنْ لم تصبحي حرة** ".[3]

---

[1] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص ص 108،109.

[2] مرجع نفسه، ص ص 113،114.

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق ، ص 428 .

وبقي مالك بن نبي في فرنسا حتى عام 1956م، وركز فيها على الكتابة والعمل الفكري وعمل صحفيا في **جريدة لومند**، [1] وكان هذا تحت مراقبة وضغط الأمن الفرنسي حيث اتهم بالعمل لصالح النازية وأودع السجن في أوت 1944 إلى غاية أفريل 1945م، وفي السجن ألف كتاب" الظاهرة القرآنية" الذي كان له التأثر الواضح على الكثير من الفرنسيين أنفسهم وعند خروجه واصل نشاطه السياسي والفكري وأصدر عدد من الكتب، تضمنت رؤيته الفكرية الشاملة تجاه المشكلات في العالم الإسلامي تحت عنوان القضايا الكبرى ومنها الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلام، الفكرة الأفروآسيوية.[2]

2) رحلته إلى القاهرة :

توجه مالك بن نبي إلى مصر1956م، وبدأ اتصاله بالعالم الإسلامي في البلد الذي كان مركزا للحركات التحررية ولبعض قادة الثورة الجزائرية، وقد اتصل بهم ووضع نفسه تحت تصرفهم حيث يقول: " **بمجرد وصولي إلى القاهرة وضعت نفسي تحت تصرف من يتكلم بإسم الثورة الجزائرية** "[3]

كان يرغب في الالتحاق بجبهة القتال كممرض ليتمكن من كتابة تاريخ الثورة الجزائرية عن طريق المشاهدة، ولكنه لم يجد تجاوبا من المسؤولين الجزائريين[4] بل لقي الترحيب من قبل جمال عبد الناصر، الذي كان معجبا بكتابه الفكرة الأفرواسيوية، وعينته الحكومة المصرية مستشارا في المؤتمر الإسلامي الذي أُطلق عليه إسم " مجمع البحوث الإسلامية"، واندمج بن نبي في المجتمع المصري ومفكريه وطلبة العلم، حيث أن مصر كانت قبلة الثقافة في العالم العربي خاصة بوجود جامعة الأزهر، مما ساعده على تعلم اللغة العربية وترجمة كتبه إلى

[1] زكي ميلاد، مرجع سابق، ص 46.

[2] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 23.

[3] مالك بن نبي، **في مهب المعركة** ، ط3، دار الفكر، سوريا، دمشق، 2002، ص 80.

[4] مولود عويمر، مرجع سابق، ص 26.

اللغة العربية ونشرها، إضافة إلى الندوات والحلقات العلمية التي كان يحضرها في منزله بالقاهرة، والتي كان لها تأثير كبير على الطلبة، بحيث قام بتوضيح مشكلات العالم الإسلامي بشكل دقيق وعلمي ورياضي. [1]

وتعتبر فترة تواجد مالك في مصر من أغنى مراحل عطائه الفكري من حيث إنتاج الكتب وإلقاء المحاضرات والمناقشات التي كانت تطرح بينه وبين المفكرين والمؤرخين مما زادته علما معرفة وكذلك تتميز هذه الفترة بظهور المفكر والفيلسوف مالك بن نبي إلى الساحة العربية الإسلامية بأفكاره وأطروحاته المناهضة لواقع العالم العربي، يقول عمار الطالبي[2] الذي كان طالبا في جامعة القاهرة في نفس الفترة التي كان فيها مالك بن نبي في مصر: "**إستيقظ ذهني على المشكلات الجوهرية واتجه اتجاهها، لم توجه إليها الجامعة التي كنت أدرس بها، فكانت تجري المناقشات الحية والتحليلات الدقيقة وتوضح المشكلات على أُسس علمية**".[3]

3) العودة إلى الجزائر:

في سنة 1963م عاد مالك بن نبي إلى الجزائر، وكله أمل كبير في رسم معالم بناء مجتمع متحضر، وعين مدير عام للتعليم عالي وكلف بإنشاء مركز للتوجيه الثقافي ولكن الظروف التي أحاطت به حالت دون ذلك خاصة البيروقراطية المتفشية في الإدارة واللامبالاة في التوجيهات الثقافية، وفي1967م استقال من منصبه ليتفرغ للعمل الفكري وتنظيم الندوات وألقاء المحاضرات وبث الثقافة الحية تحت مايسمى الفعالية في العمل لأن السلوك أساس كل مشروع للتغير الحضاري، فكان يعقد في بيته ندوات للتوجيه الفكري من أجل تصفية

---

[1] نورة خالد السعد، **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الرياض، 2007، ص 28.

[2] **عمار طالبي**: ولد بخنشلة في سنة1934م درس بجامعة الزيتونة،وبعد اندلاع الثورة توجه إلى جامعة مصر لإكمال الدراسة، من المعجبين بفكر مالك بن نبي (أنظر الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 608.)

[3] عمار الطالبي، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، مجلة الثقافة**، العدد 38، الجزائر، 1977، ص 11.

الاستعمار من العقول في مرحلة ما بعد الاستقلال،[1] حيث يقول عمار طالبي "**واصل الكفاح في جبهة الفكر وميدان الكلمة وما لبث أن أصبح منزله منتدى للتوجيه ومجلس لأيقاظ العقل والبعث الفكري** "،[2] وقام بتأسيس أول مسجد طلابي في جامعة الجزائر، وفي نفس السنة قام بن نبي بأداء فريضة الحج، وفي طريق العودة أقام بدمشق وألقى فيها محاضرة بعنوان " دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن 20 "، طبعت فيما بعد في كتاب وشكلت أفكاره فيه وصاياه الأخيرة للشباب المسلم.

منذ أن استقال مالك بن نبي من منصبه، عكف في بيته على بذل المزيد من الجهد والعطاء الفكري، فنظم الندوات في بيته للأساتذة والطلبة، وشارك مشاركة فعالة في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تنعقد في الجزائر سنويا، وبقي مواصلا جهاده وكفاحه بالفكرة والكلمة والقلم إلى أن وافته المنية وفي سنة 1973م توجه إلى المدينة الأغواط لإلقاء محاضرات، لكن أثناء إقامته فيها اشتد عليه المرض فسافر إلى باريس وأجريت له عملية البروستات (سرطان) وتوفي رحمة الله عليه في الجزائر العاصمة 31 أكتوبر 1973.[3]

[1] مولود عويمر، مرجع سابق، ص17.

[2] عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي، مجلة الثقافة**، العدد 18، الجزائر، 1973، ص 11.

[3] نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص29.

المطلب الثالث: تكوينـــــه وإنتاجه الفكـــري

إن البناء الفكري والتكوين العقلي لأي مفكر لا يبدأ من فراغ بل تتحكم فيه مؤثرات ثقافية واجتماعية وسياسية، ومن أجل فهم أراء مالك وأفكاره يجب إلقاء نظرة على مسار حياته الذي يصفه في مذكراته، كما كان هناك العديد من الأعمال الفكرية التي تركت بصماتها في فكره، فقد كان غزير القراءة في كل مجال منذ صغره، ومن أهم المصادر التي أثَّرت في تكوين فكره:

1) **أسرته المحافظة:**

- ✓ نشئ في أسرة بسيطة وفقيرة متدينة ومتمسكة بالأخلاق والفضائل والدين، فتركت فيه هذه الصفات منذ الصغر، كما ساهمت أمه وجدته بدور كبير في تكوينه الفكري، حيث كانت تروي له قصص عن جرائم الاستعمار الفرنسي وتحثه على مساعدة الآخرين وفعل الخير، حينها أدرك خطورة المستعمر على بلاده، والاستعداد له منذ الصغر.
- ✓ زوجته خديجة الفرنسية وما تركته في عقل مالك من خلال الكشف عن البعد الحضاري للمجتمع الغربي وثقافته وما كان يراه في زوجته من تفنن في تنظيم وترتيب البيت مما يجعله يضفي جمالا في أعين بن نبي. [1]

2) **التنوع الثقافي العربي والغربي:**

كان شغوفا بالمطالعة منذ صغره وكثير القراءة للكتب في علم النفس والاجتماع والأدب ككتاب رسالة التوحيد وكتاب أم القرى ومقدمة ابن خلدون وتأثَّر بالفكر الإصلاحي لعبد الحميد بن باديس، كما إطَّلع أيضا على الكثير من المجلات كمجلة الإقدام، الإنسانية، الشهاب، الإصلاح، صوت الشعب..ألخ.

[1] جرامو لويزة، **الإشكالية الثقافية في فكر مالك بن نبي**، رسالة ماجستير، المركز الجامعي عباس لغرور، خنشلة 2010،2011، ص67 .

وفي فترة دراسته في فرنسا قرأ للمؤرخ البريطاني "توينبي"،[1] كما قرأ للفيلسوف "نتشه" وعدة مشاهير في أوروبا، و لكنه أعاد صياغتها من جديد على ضوء القرآن الكريم في كتابه "ميلاد مجتمع"،[2] إضافة إلى أن رحلاته للبحث عن عمل في الجزائر ومختلف البلدان العربية والغربية أثرت في دقة ملاحظته وتوسع معارفه للمجتمعات وآليات قيامها وأفولها، وكان يقوم بإخضاع هذه الظواهر إلى العلوم التطبيقية وإلى مناهج دقيقة كاستخدام الرياضيات ومعادلاتها في توضيح بعض القضايا الفكرية .

إلا أن تأثير التيار الفكري الإصلاحي في تكوينه الفكري كان له نصيب كبير حيث تأثر بأساتذة وعلماء التيار الإصلاحي وخاصة الشيخ "المولود بن الموهوب"[3] أستاذ التوحيد و الذي ركز على إصلاح النهج التعليمي وربط النهضة ببناء الإنسان وكذلك الشيخ عبد القادر المجاوي[4] والشيخ صالح بن مهنة[5] الذي ركز على نشر الوعي الديني ومحاربة البدع والخرافات والصوفية، التي كانت سائدة في الجزائر نتيجة الجهل الذي فرضه الاستعمار،

---

[1] **أرلوند توينبي:** مؤرخ انجليزي ولد في لندن 1889و توفي عام 1975م، من أهم أعماله "دراسة التاريخ "ويعتبر من أشهر المؤرخين في القرن العشرين .(الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 333.)

[2] نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص31.

[3] **المولود بن الموهوب:** هو المولود بن العيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود الموهوب، ولد عام 1866م، وتوفي 1930م، أديب وهو من رجال الإصلاح الاجتماعي في الجزائر ولد بقسنطينة ،وولي بها إفتاء الملكية التدريس في الجامع الكبير 1895م، من كتبه " مختصر الكافي في العروض، نظم الاجرومية، وشرح منظومة التوحيد المجاوري، (المصدر نفسه،ص 334.)

[4] **عبد القادر المجاوي 1914/1848م:** مصلح سلفي وعالم نحوي، من كبار علماء تلمسان، درس بالمدرسة الكتانية بقسنطينة، ودرس بالمدرسة الثعالبية، تخرج على يده العديد من العلماء والقضاة والائمة والمدرسين والوعاظ، من أثاره : اللمع في إنكار البدع، إرشاد المعلمين في مبادئ العلوم .(بصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في قرنين 19و 2، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة متنوري قسنطينة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص 297.)

[5] **الشيخ صالح بن مهنا** : ولد في الجزائر 1840م وحفظ القرأن منذ صغري ودرس في جامع الزيتونة لتحصيل العلم، رجع إلى الجزائر في 1887م وعرف بتوجهه الإصلاحي وتولى إمامة الجامع الكبير بقسنطينة من أثاره :" السر المصون على الجوهر المكنون، الرحلة الأزهرية، توفي في 1910م.(بوصفصاف و آخرون،المرجع نفسه ص300.)

وكذلك كتاب " أم القرى " لعبد الرحمن الكواكبي[1] الذي قرأه في ليلة واحدة وعرف من خلاله كيف أن الإسلام ينظم الحياة من أجل حركة بعث جديدة.[2]

[1] **عبد الرحمن الكواكبي 1902/1849**: مفكر وعلامة سوري رائد من رواد التعليم والحركة الإصلاحية العربية، كاتب ومؤلف ومحامي وفقيه شهير، ترك تراثا أدبيا كبير مثل طبائع الاستبداد، أم القرى، وتوفي بالقاهرة. .(بوصفصاف وآخرون، المرجع السابق، ص330)

[2] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 33.

إنتاجه الفكري :

مؤلفاته حسب الترتيب الزمني والتاريخي ومكان الإصدار: [1]

المرحلة	عنوان الكتاب	تاريخ الإصدار	مكان الإصدار
مرحلة الجزائر.باريس 1956–1930	الظاهرة القرآنية	1946	الجزائر
	2 - لبيك (رواية)	1947	الجزائر
	3 - شروط النهضة	1947	الجزائر
	4 - وجهة العالم الإسلامي	1954	باريس
	5 – الفكرة الآفرواسيوية	1956	الجزائر
في مصر 1963–1956	6 – النجدة الشعب الجزائري	1957	القاهرة
	7 – مشكلة الثقافة.	1959	القاهرة
	8 – حديث من البناء	1960	بيروت
	9– الصراع الفكري في البلاد المستعمرة	1960	القاهرة
	10 – الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل.ا	1960	القاهرة
	11 – فكرة كومنولث الاسلامي	1960	القاهرة
	12 – تأملات في المجتمع العربي	1961	القاهرة
	13 – في نهب المعركة.	1962	القاهرة
	14 - ميلاد مجتمع	1962	القاهرة
مرحلة الاستقلال	15 – أفاق جزائرية	1964	الجزائر
1973–1962	16 – مذكرات شاهد على القرن "طفل"	1965	الجزائر
	17–إنتاج المشرفين وأثره في الفكر الحديث	1969	القاهرة
	18 – مذكرات شاهد على "الطالب"	1970	القاهرة
	19 – مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي	1972	القاهرة
	20 – المسلم بين عالم الاقتصاد	1972	بيروت
	21 – دورا لمسلم ورسالته من ثلث الأخير	1978	دمشق
	22 – بين الرشاد و الدين	1978	دمشق

[1] نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص ص38، 39.

الفصل الثاني: الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي

المبحث الأول: المشروع الإصلاحي الحضاري عند مالك بن نبي

المطلب **الأول**: مشكل الحضـارة

المطلب **الثاني**: مشكل الثـقافــة

المطلب الثالث: أسس المشروع الإصلاحي

المطلب الرابع: خطوات المنهج الإصلاحي

المبحث الثاني: موقـفــه من قضايا عـصره

المطلب الأول: الثـــــــورة

المطلب الثاني: الاسـتعمـار

المطلب الثالث: المـــجتمع

المطلب الرابع: المـــــرأة

المبحث الثالث: أثـره في الجزائر بعد الاستقلال

المطلب الأول: مالك بن نبي و العمل الطلابي الجامعي

المطلب الثاني: تأسيس مسجد الجامعة المركزية

المطلب الثالث: تأسيس جماعة البناء الحضاري

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
جامعــة محمـد خيضـر – بسكـــرة–
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســم التاريخ

عنــوان المذكــرة

مالك بن نبي ومنـهجه الإصلاحي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب: إشــراف الأستـــاذ:

– محمد الأمين مراكشي – هشام ذياب

السنـــــة الجامعيـــــــة:

2017/ 2016

المبحث الأول: المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي

المـطلـب الأول: مشـــكل الحضـــارة

إجتهد مالك بن نبي في سلسلة من مؤلفاته لتقديم مفهوم شامل للحضارة ومشكلاتها، لأن الحضارة يجب أن ينظر إليها من عدة زوايا، وأن أي تعريف قد لا يفي بالتعريف الشامل لمعناها الحقيقي من حيث جوانب تركيبها وتكوينها ووظائفها وتطورها التاريخي والثقافي والاجتماعي. [1]

تعريف الحضارة : يعرف مالك بن نبي الحضارة بأنها " **مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده المساعدة الضرورية له**"، ويقصد مالك بالشروط الأخلاقية تلك الإرادة التي تدفعه إلى تحديد أفكاره ومهامه الاجتماعية وتحقيقها، أما الشروط المادية فهي توفر الوسائل الضرورة للقيام بمهامه ووظائفه،[2] فالحضارة هي أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة من أجل وظيفتها التاريخية.[3]

وركز في دراساته لمشكل الحضارة على الإنسان كونه ذاتي واجتماعي له دوره وأهميته داخل المجتمع، ومن خلاله تنشأ شبكة العلاقات الاجتماعية التي تحافظ على ثقافة المجتمع وتماسكه، والتي تقوم في إطارها التاريخي على المحافظة على معطيات الماضي وتفاصيل الحاضر وأبعاد المستقبل، من أجل القضاء على الجمود الفكري وتحقيق النهوض الحضاري والتحول من تكديس الأفكار والوسائل إلى القدرة على البناء والخلق والإبداع، بعد

---

[1] أمنة تشيكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي واولوند تونتي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 111.

[2] مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط1، دار الفكر المعاصر، سوريا، دمشق، ص43.

[3] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص39.

تحديد الأسباب والوسائل والأهداف بإتباع منهاج دقيق وواضح، توظف فيه نقطة الانطلاق والوصول، ويؤكد مالك أن التكديس يولد التبعية وأن كل حضارة يجب أن تلد منتجاتها لأن الحضارة لا تبيع نفسها بل تبيع منتجاتها ووسائلها.[1]

فالحضارة ليست مجرد ثقافة ومعارف لدى فرد أو مجموعة من الأفراد داخل مجتمع، ولا هي منتجات تباع وتشتري، بل هي طموح و إرادة يتشارك فيها أفراد المجتمع الواحد وتتوفر فيه العوامل والشروط الاجتماعية والروحية والمادية التي تهيئ المناخ لبروز شبكة علاقات اجتماعية لها القدرة على إبداع المعارف وإنتاج الأشياء لاستغلالها في خدمة الإنسان.[2]

أماالحضارة المزيفة فهي التي تكتفي باستيراد المنتجات الفكرية والثقافية والمادية، أما الحضارة الحقيقية هي التي تصنع منتجاتها بنفسها، ولا تستورد إلا الأشياء التي تساعدها على التطوير والإنتاج مع مراعاة خصوصية المجتمع في حالة استيراد الوسائل" إن المقياس العام للحضارة هو أن "**الحضارة هي التي تلد منتجاتها وسيكون من السخف والسخرية حتما أن تعكس هذه القاعدة بحيث نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها** " وأن القصور والجامعات والطائرات وتلك الأشياء لا تمثل العناصر الأولية للحضارة. [3]

توجه مالك بن نبي إلى تحليل ودراسة مشكلات العالم الإسلامي وأسباب خروجه من الحضارة والتاريخ، فاستنتج أن بلدان هذا الأخير تتشارك في الأسباب والعوامل، وأن الداء فيها واحد، إذ أن هناك من يعاني من الجهل والفقر والبؤس، وهناك من يخضع للاستعمار والحماية والانتداب، وهناك من فشل في استغلال الثروات والموارد والطاقات .....وكلها يطلق عليها مشكل حضارة [4] حيث يقول: " **إن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة**

---

[1] محمد عبد السلام الجفائري، **مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984م، ص 125.

[2] مرجع نفسه، ص 126.

[3] محمد العبده، مرجع سابق، ص60.

[4] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص40.

حضارة ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها.[1]

ويرى بن نبي أن رواد الفكر الإصلاحي فشلوا في تحديد الداء، وذهبوا لمعالجة أعراضه، لذلك باءت كل محاولاتهم بالفشل، فذهب رائد الإصلاح جمال الدين الأفغاني لحل مشاكل المجتمع بوسائله الثورية والسياسية، بينما تلميذه محمد العبدة توجه لإصلاح العقيدة والتربية، وغيرهم من المفكرين الإصلاحيين، إلا أنه اعتبر منهجهم يسعي إلى حلول سطحية مؤقتة لا جذرية " **على أن هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه** ".[2]

ويستنتج بن نبي أن كل المشاكل التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي من استعمار واستغلال وتبعية وركود في كافة الميادين لها بعد واحد هي أزمة حضارة، إن هذه الأمة أصبحت تعاني الأزمات المتنوعة التي قد نجمعها في تسمية واحدة نسميها الأزمة الحضارية وهي بالفعل أزمة حضارية لا غير.[3]

هكذا عرف بن نبي الحضارة بكل جزئياتها من المنظور الوظيفي والذي يبنى على أساس العناصر الثلاث المهمة في التركيبة الحضارية من أجل دخول التاريخ وهي (الإنسان التراب، الزمن) وتبقي هذه العناصر مجردة من الفعالية حتى يتم ربطها بالدين(الأخلاق)" **إن الدين وحده هو الذي يمنح الإنسان هذه القوة، فقد آمن بها أولئك الحفاة العراة من بدُو الصحراء الذين إتبعوا محمد صل الله عليه وسلم**[4] " ويستنتج أن صناعة الحضارة تتم تبعا لثلاث عوالم :

[1] محمد العبدة، مرجع نفسه، ص 56.

[2] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر نفسه، ص 41.

[3] مالك بن نبي، **دور المسلم في الثلث الاخير من القرن العشرين**، دار الفكر، دمشق، 1986، ص46.

[4] مالك بن نبي، **المصدر نفسه**، ص 68.

- **الإنسان:**

وهو أهم عنصر باعتباره هو الذي ينتج الحضارة بالإصلاح والتغير ولا يغير الإنسان التاريخ إلا إذا غير نفسه" **غير نفسك تغير التاريخ** " و قال تعالى{**أن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}[1]، فالشرط الأول في عملية التغيير المطلوب لأي حركة أو فعل نحو التحضر هو تغيير عالم النفس بإزالة كل ما فيها من اعوجاج وأمراض وفساد في التصورات والمفاهيم، وما فيها من جهل الأمور وغموض في الفهم، وتنويرها بالحقيقة، وتهذيبها على مكارم الأخلاق، وتحفيزها على الأخذ بالإيمان الصادق والعمل الدءوب والعلم النافع، فتمكين النفس من هذا المطلب هو أصل التجديد الحضاري، لينعكس فيما بعد على الواقع الاجتماعي والطبيعي، حيث يتجسد في منتجات حضارية دينية، فكرية، أخلاقية، علمية، وتكنولوجية.

إن الإنسان في رأي مالك هو العنصر الأساسي في تشيد أو قيام أي حضارة، غير أن هذا الإنسان هو الذي يؤثر في سير التاريخ، فهو منبع وأساس المشكلة الحضارية كلها وأي تفكير في مشكلة هي في الأساس تفكير في مشكلة حضارة، ويركز مالك على الفرد كونه إنسان اجتماعي، وعلى تأثيره الفكري والعملي والمالي في المجتمع المنتج للحضارة والصانعة للتاريخ، ويجب على الإنسان معرفة كيفية التعامل مع التراب والوقت وتوظيف المواهب والخبرات من أجل تحقيق أهداف كبرى.[2]

---

[1] القرآن الكريم، سورة الرعد، أية 11.

[2] موسى لحرش، **إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي**، الجزائر، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص106.

وما يلاحظ أن الإنسان يؤثر في المجتمع بفكره وعمله وبماله، لذلك فمن الضروري توجيهه إلى ثلاث نواحي وهي:

- **التوجيه الثقافي:** لا يقصد به المعارف والعلوم بل يقصد تأثير الوسط والبيئة الاجتماعية في سلوك وطباع وشخصية الفرد والتي تنعكس عليه سلبا أو يجبا وبالتالي فإن المحيط هو الذي يحدد طبيعة الفرد والمجتمع (متحضر أو متخلف).[1]

فالثقافة عند مالك بن نبي هي التي يكتشفها الفرد داخل المجتمع الذي يعيش في نطاقه من عادات وتقاليد وقيم، والتي تؤثر فيه منذ ولادته والتي تربطه بطريقة لا شعورية بالمجتمع، وعلى هذا الأساس جعل بن نبي من الأخلاق جوهر للثقافة، لأن في أساسها فكرة دينية، ويوضح أن أول خطوة للتوجيه الثقافي هو تعليم الناس التخلق والتعايش فيما بينهم ثم التوجيه للعمل الجماعي.[2]

- **توجيه العمل** : وهو إقصاء الأفكار التي تقوم على مبدأ العمل من أجل لقمة العيش، بل من أجل أداء الواجب واستخراج الكم الأكبر من الفائدة من وسائل الإنتاج المتوفرة، ويستدل بن نبي في هذا الطرح بالحضارات التي قامت على سواعد العبيد والرقيق وأننا أحوج إلى هذا المنطق في العمل لأن في جوهره إرادة والرغبة في البناء والتشييد، وهو المنطق الذي غاب عن بلادنا لأنه يعتمد على العقل التطبيقي لا العقل المجرد.[3]
- **توجيه رأس المال:** يفصل مالك بن نبي بين الثروة ورأس المال، إذ يعتبر أن الثروة هي ملك للفرد مثل عقاراته ومسكنه وما يملكه لنفسه ولا ينتفع به المجتمع، أما رأس

---

[1] سعاد سطحي، **عرض كتاب شروط النهضة**، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، جامعة قسنطينة، 2006م، ص 158.

[2] مالك بن نبي،**مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1984م، ص74.

[3] الأخضرشريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، مقال من رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد الفلسفة، 1988-1989، ص128.

المال فهو المال الذي ينمو ويتحرك ويساهم في البناء والتشغيل، وينتفع به الاقتصاد والفرد، وهو توجيه المال وترشيده بدل تخزينه وتكديسه، ونادى بضرورة إنشاء مجلس لتوجيه الثروة وتحويلها إلى رأس مال توجه لخدمة الأهداف الاقتصادية[1].

فإذا كانت مشكلة الحضارة الأولى هي الإنسان فإن المشكلة الثانية هي الأرض التي يعيش عليها، أو ما عرّفه مالك بالتراب الذي لا يقصد به تلك المادة من الطبيعة بل من حيث قيمته ووظيفته الاجتماعية، فقيمة التراب تكون غالية أو منخفضة حسب الأمة التي تعيش عليها.

- **التراب:**

ترتبط مشكلة التراب بالإنسان الذي يعيش عليه ويملكه وكيف يستغله وهو العمل الحاسم في البناء الحضارة، فالتراب يستمد قيمته من الإنسان المتحضر أو المتخلف، فاليابان استطاع أن يتحدى الأرض رغم ضعف تربتها فهي جزر وجبال وصخور وتتعرض للكوارث الطبيعية وغيرها، إلا أنها لم تُعِق تقدمه وتطوره لأن هناك أفكار تشحنه بالطاقة لمواصلة البناء الحضاري،[2]

ويذكر بن نبي عن أهمية استغلال التراب أنه في بلده الجزائر أثناء عملية التصحر التي كانت تزحف من الجنوب إلى الشمال فقدت الكثير من الأراضي الخصبة دون أي اهتمام من طرف السلطة أو الشعب الذي استطاع أن يحقق الاستقلال على أكبر قوة استعمارية، ولكنه فشل في انتهاج مسلك لإستصلاح أراضيه واستغلالها.[3]

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص ص 112، 113.

[2] موسى لحرش، مرجع سابق، ص 32.

[3] مالك بن نبي، مصدر نفسه، ص142.

ولتنفيذ المخططات التنموية في أي بناء حضاري يجب استغلال الوقت وتحديد المشاريع في إطارها الزماني.

- **الزمن:**

إن الوقت إذا لم يفهم كعامل مساهم في البناء الحضاري لا يمكن أن يفهم كقيمة إجتماعية تساهم في هذا البناء، وضرورة العمل به جد ضرورية ضمن العمليات الاقتصادية والصناعية والثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر عمليات البناء الحضاري، وأن موقف الإنسان من الزمن هو الذي يحدد قيمته الاجتماعية ويجعل منه عامل للبناء والتشييد أو عامل هدم وتدمير، فإذا أحسن كل عامل استغلال الوقت وعمل بجد وشعر بوظيفته الاجتماعية، فإنه بذلك شارك في بناء المجتمع وتحريك التاريخ والتكوين الحضاري.

وعشر سنوات من توقف الحرب والدمار في أوروبا كانت كافية لإسترجاع ألمانيا مكانتها الاقتصادية والحضارية بين الأمم، ذلك أنها اتخذت التدابير اللازمة، ومن أهمها نبذ التهاون في الشغل ومضاعفة العمل وتقديس الوقت والتزام أفرادها بدفع الضرائب،[1]" **لذلك يجب أن ننشئ إنسان يمشي في التاريخ مستخدما التراب والوقت والمواهب من أجل تحقيق أهدافه الكبرى**"، ومن هنا فإن الحضارة تترتب على ثلاث عناصر مهمة يكون فيها الإنسان هو العنصر الأساسي لأنه يؤثر على عنصري التراب والوقت وهو الذي يحدد فاعليتهما أو ركودهما، وكما قلنا سابقا تبقى هذه العناصر مجرد كلمات حتى يتم ربطها بالعامل الديني لأن له دور كبير في تفعيل مركب الحضارة. [2]

[1] جيلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص ص 66، 67.

[2] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 114.

إذا كانت الحضارة بناءً لا تكديسا واستيرادا فهي فاعلية إنسانية تقوم على تغيير الإنسان في عالمه النفسي أولا ثم تغيير محيطه ثانيا، وتحصل هذه الفاعلية بتوفر جملة من الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية والروحية والمادية، وبتوفر الإرادة والقدرة على إبداع المعرفة وإنتاج الأشياء، واستغلال ذلك لخدمة الإنسان وضمان راحته، ولفصل الحضارة الحقيقية عن الحضارة المزيفة، فالأولى تلد منتجاتها أما الثانية فهي من صنيع منتجات حضارات الغير، والتجديد الحضاري ظاهرة إنسانية ترتبط بالحضارة وبشروطها وعناصرها وأطوارها وازدهارها، وتكون سابقة على الحضارة فتصنع النمو والتحضر والازدهار، كما تكون ملازمة لها فتستمر في تنميتها وتطويرها، وقد تكون سببا في انهيارها وأفولها، والمقصود هنا عندما تبلغ الحضارة طور العقل يضعف سلطان الروح وتسترد الغريزة نفوذها فتهوي بالإنسان إلى حضيض الحيوانية حيث شريعة الغاب.

المطلب الثاني: مشكلة الثقافة

إن الثقافة في المنظور التاريخي هي جوهر الحضارة لأنها المسئولة عن التأثير في فكر الإنسان فيحدث التفاعل بينه وبين الزمن والتراب، وإن أي تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة حضارته و ثقافته،[1] حيث يعرفها مالك "**أنها مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال في الوسط الذي ولد فيه والثقافة هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته**".

ومن خلال التعريف نرى مفهوم جديدا لمصطلح الثقافة حسب مالك بن نبي، فهي مركبة من صفات خلقية وقيم اجتماعية يكتسبها الفرد من خلال المجتمع الذي نشأ فيه والتي تلازمه منذ ولادته، ويعتبر هذا الوسط الاجتماعي هو المسئول عن تكوين شخصية الفرد وطبيعة سلوكه[2]" **إن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموع من القواعد الأخلاقية و الجمالية....**"[3]

ولا نستطيع أحيانا أن نميز بين الثقافة والحضارة لأنهما مصطلحان مترادفان، لكن يوجد ما يفصل بينهما على أساس أن الثقافة تمثل الجانب المعنوي والحضارة تمثل الجانب المادي داخل المجتمع، فالثقافة علاقة متبادلة وهي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي للفرد بأسلوب الحياة في المجتمع[4]، ويضيف بن نبي أنه لا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي فقد ثقافته فقد تاريخه حتما، فالثقافة هي التي تمثل العنصر الرئيسي

[1] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص94.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص 94.

[3] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية**، دار الإنشاء للطباعة والنشر، لبنان، 1974، ص29.

[4] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص47.

لأن في جوهرها الأخلاق التي تجمع وتوحد بين مركب الحضارة وتضع المجتمع داخل التاريخ، [1]والدليل على ذلك أن فرنسا حاولت نشر الدين المسيحي في الجزائر من خلال الدعوات التبشيرية التي كانت مسلطة على الشعب، بحيث كانت الجمعيات التبشيرية الفرنسية تقوم بجمع الأيتام والمشردين والفقراء وتعليمهم على ضوء الدين المسيحي، من أجل تدعيم مكانتها في الجزائر والقضاء على الثقافة الإسلامية، ولكنهم فشلوا نتيجة التنشئة الإسلامية الصحيحة التي قام عليها الأطفال الجزائريون، فعند خروجهم من تلك المدارس عادوا إلى حالتهم الإسلامية ولم يتأثروا بتلك الدعوة التبشيرية. [2]

قام بن نبي بتحليل الثقافة من خلال قراءاته في التراث الغربي والإسلامي إضافة إلى تأملاته في المجتمع الجزائري والفرنسي ليتوصّل إلى أربع عناصر أساسية تكوّن الثقافة وهي:

- **المبدأ الأخلاقي:** وهو من أهم العناصر لأنه منبثق من العامل الديني الذي يجمع بين أفراد المجتمع الواحد في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعبر عن شبكة الصلات الثقافية لمجتمع معين، ففكرة الدين والعقيدة هي التي تقوم ببناء عالم الأشخاص، والدليل على ذلك هو حرص الرسول صل الله عليه وسلم في عملية بناء المجتمع الإسلامي هو التأليف بين المهاجرين والأنصار عن طريق ترسيخ مبدأ المأخاة، وهو ما يشكل مجتمع تاريخي متماسك يهدف إلى بناء حضارة.
- **الذوق الجمالي:** وهو العنصر النابع من الأخلاق والذي يضفي ويجسد على الأشياء الصورة الجميلة من حيث الشكل والألوان التي تأثر في نفسية الفرد وتبعث فيه روح العمل والتفاؤل بالمستقبل، أي أن هذه الصورة تأثر في الفكر والسلوك معا، ويعتبر هذا العنصر من أهم العناصر الديناميكية.

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص86، 85.

[2] مالك بن نبي، **تأملات**، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1978، ص 146.

فلما تولى مصطفى كمال أتاتورك الحكم في تركيا كانت كافة جهده تسعى إلى مسخ هوية الشعب التركي وإبعاده عن دينه، وأول ما ركز عليه هو تغيير اللباس الخارجي للشعب التركي من أجل تغيير الأنفس والقيم وأفكار المجتمع.[1]

- **المنطق العملي:** ويقصد به الفاعلية الفردية والجماعية في العمل والإنتاج وذلك باستغلال الوسائل المتاحة من أجل استخراج الأقصى للفائدة، وهذه الفعالية تنبع من العقل التطبيقي الذي يتكون من الإرادة والانتباه، وهو أكثر ما ينقص المسلم، وبهذا يبني المجتمع عالم أشيائه ليكتمل عالمه الثقافي، ويذكر بن نبي أن العالم الإسلامي اليوم لا يعيش وفق المبادئ القرآنية، وإنما يتكلم عنها فقط ، لذلك ساد العبث والتبديد الزمني والمالي وكثرة الكلام والإسراف في الوعظ والخطب دون فائدة، وكثرة الدروس والمواعظ دون الإمتثال لها، كل هذا يؤكد أن منطق الفكرة موجود ولكن ينقصنا منطق العمل والحركة والتطبيق.
- **الفن الصناعي:** ويقصد به كل عمل إنتاجي وكل النشاطات التي يمارسها الأفراد، إذ أنه يمثل وسيلة لكسب القوت ووسيلة للمحافظة على كيان المجتمع واستمرار نمو، فهو يهدف إلى تحقيق المصلحة العامة والخاصة في إطار تحقيق الفعالية التي يحتاج إليها المجتمع.[2]

وتحتل الثقافة المرتبة الرئيسية في تكوين الفرد والمجتمع فهي الرحم الذي ينمو فيه فكره وتطلعانه والذي تتحدد فيه قيمته وأهدافه الثقافية المؤسسة من منطلقات إسلامية فهي التي تحقق التوازن في العالم الداخلي للإنسان وتعلمه كيفية الانخراط في الجماعة ليؤدي دوره من خلالها.

[1] مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص 150 إلى 148.

[2] موسى لحرش، مرجع سابق، ص ص 123، 125.

المطلب الثالث: خطوات المنهج الإصلاحي

يجمع أغلب المنظرين في علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد أن التنمية تبدأ بالإصلاح وعملية التغيير الموجهة والمعقدة والشاملة تضم كافة جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، تستهدف إحداث تغييرات بنائية ووظيفية في المجتمع قصد تحقيق طموحات البشر وما إلى ذلك من رفاهية واستقرار للحياة الإنسانية ومن خلال هذه الدراسة سنقدم وجهة نظر أحد أبرز مفكري العالم العربي الإسلامي الذي تبناه في مشروعه الإصلاحي.

انطلق مالك بن نبي في دراسة مشكلات العالم العربي وسبل معالجتها في إطار (مشكلات الحضارة) من تشخيص فكرة التخلف وربطها بالاستعمار، وصولا إلى بناء الحضارة على أساس مرجعيتها وأسسها وثقافتها المنبثقة من عامل الدين الذي يتوافق وطموحات الاجتماعية، معتمدا في ذلك على عاملين أساسيين هما دراسة النفس البشرية ودراسة الأحداث التاريخية، خاصة فيما يتعلق بالمبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية من قبل، وباستقراء بن نبي للتاريخ ورصده للواقع وفهمه للإسلام، يطرح تصوره لمنهج التجديد مستلهما روح القرآن الكريم، وسنعرض أهمها فيما يلي:

1) **الاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي:**

وهو العنصر والخاصية التي يتميز بها دول العالم الثالث المتخلفة وهو العيش في بحبوحة مالية تعتمد على الاستهلاك وإستراد المنتجات الأجنبية،[1]بعد أن اعتمدت هذه الدول على اقتصاد ريعي يعتمد على المال دون الاستثمار في الموارد البشرية التي أصبحت عنصر مهم في العالم الأخر(خط واشنطن، موسكو)، إذ ركز هذا الأخير على

[1] مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ط3، دار الفكر، دمشق، 1987، ص73.

تنمية الإنسان وتكوينه والاستثمار فيه بالإضافة إلى أنها تستقطب الكفاءات من الدول الأخرى (الأدمغة)، من أجل تطوير ذاتها واقتصادها، حيث أن المال لا يبني الدولة بقدر ما يبنه المجتمع بما يملك من استعدادات ذهنية وعقلية ويعطي بن نبي مثال عن الولايات المتحدة الأمريكية أنها لا تستطيع بأموالها شراء مدينة نيويورك ولكن بإمكانها اجتماعيا بناء أو إعادة بناء مئات المدن.[1]

وكيف استطاعت المجتمع الألماني الخروج من نكسة الحرب العالمية الثانية التي دمرت البنية التحتية للأمة الألمانية، ولكنها لم تدمر عالم الأفكار الذي سيقود المجتمع الألماني في فترة وجيزة إلى إعادة بناء نفسه، وفرض مكانته بين الدول القوية اقتصاديا، كما درس التجربة الصينية ليس من الناحية المذهبية، بل من حيث قدرتها على تجنيد الطاقات الظاهرة والكامنة في المجتمع الصيني، وتمكنت من إحداث ديناميكية تقوم على مبدأ معروف "**لقمة عيش لكل فم و كل السواعد يجب أن تعمل**"[2]، فاستطاعوا **أن** يغيروا الاستثمار المالي العقيم والخاضع لشروط المؤسسات الدولية إلى استثمار اجتماعي مستقل وفعال اعتمد على القدرات والإمكانيات الذاتية، وهكذا تمكنت الصين من الاستثمار في الإنسان والتراب والزمن المتوفر في كل ارض.

2) خصوصية المعادلة الاجتماعية:

ركز بن نبي على التفريق بين الإنسان ككائن حي ويبن الفرد كعنصر اجتماعي وأعطي مثال عن الإنسان الألماني والاندونيسي من خلال مشروع الدكتور شاخت[3] الرامي إلى تحقيق النهضة والتطور، فنجح تطبيق المشروع في ألمانيا واثبت فشله في اندونيسيا،

[1] مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، مصدر سابق، ص74.

[2] نور الدين خندودي، بعض أراء مالك بن نبي و نظرياته الاستشراقية في التطورات العالمية، مالك بن نبي و الفقه الحضاري....، ص 144 .

[3] يالمار شاخت: عالم اقتصاد ألماني، شغل منصب رئيس البنك المركزي في برلين ووزير الاقتصاد في الحرب العالمية الثانية، له الفضل في نجاح اقتصاد ألمانيا، واستعانت به أندونيسيا لمساعدتها على لتطوير اقتصادها والنهوض به.(المصدر:مولود عويمر، أندونيسيا في فكر مالك بن نبي،www.binnabi.com،2016/05/20،00:00.)

وهذا ما يفسر التحليل الذي قام به بن نبي لأن هذا المشروع مستمد أساسا من أرض ألمانيا من جهة واستعدادات الفرد الألماني الذهنية والثقافية من جهة أخرى، ونجاح الخطة سببه تحقق المعادلة الاجتماعية، فكل مجتمع يتميز عن غيره من المجتمعات من حيث معطيات الزمان والإنسان والتراب، فتعثر التجربة الأندونيسية كان سببه الخطأ في تقدير المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي، والتي حاول فيها شاخت أن يسقط التجربة الألمانية على الواقع الأندونيسي، بينما أن الواقع لا يفسر على أساس معادلة أو بعد واحد بل حسب معادلتين :

- معادلة اجتماعية: تختلف من مجتمع إلى أخر، ومن عنصر إلى أخر حسب درجة النمو والتخلف.
- معادلة بيولوجية: أي المساواة بين الفرد وأخيه في كل مكان إلا فيما فضل فيه بعض الأشخاص عن غيرهم. [1]

لقد دمرت الحرب العالمية الثانية عالم الأشياء لألمانيا ولكنها سرعان ما إعادة بناء كل شيء بفضل رصيدها من الأفكار،[2] ولذلك فإن الاستثمار في الموارد البشرية عامل مهم في كل مجتمع، فهو العامل الوحيد لإنجاح خطط المشاريع الاقتصادية.

3) التكتل لتحقيق الاكتفاء لذتي:

تتمثل في فكرة الاتحاد الدولي الإفريقي الأسيوي التي أوضحها في كتابه الفكرة الأفرواسيوية التي تضمنت ضرورة التكتل في إطار محور طنجة جاكرتا، فهي فكرة سياسية واقتصادية واجتماعية بناءة، الهدف منها إقامة نظام عالمي جديد يعيش فيه العالم الإسلامي بسلام خاصة في العالم العربي، وهو نفس المشروع الذي قامت به أوروبا من خلال السوق الأوروبي المشترك أو الإتحاد الأوروبي، أو كما كانت عليه أوروبا الشرقية في إتحادها لخدمة الاتحاد السوفيتي، وعلى المجتمع العربي أن يأخذ فكرة التكتل بعين

[1] مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، مصدر سابق، ص ص 77، 78.

[2] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 34.

الاعتبار من خلال العمل على الاستقلال الفكري عن الغير وتحديد الإمكانيات الفردية لمواجهة الضروريات الداخلية و الخارجية والاستفادة من تجارب المجتمعات الأخرى، هذا ما يحقق للمجتمع العربي شروط الاقتصاد التكاملي، أي أن نستهلك ما ننتج دون الحاجة إلى الغير كما هو الحال في أمريكا الصين و روسيا،[1] وكان مُصِّرا ومؤمنا كذلك بضرورة التكتل لدول العالم الإسلامي في شكل " كمنويلث إسلامي " للتحقيق التنمية والتطور بغض النظر على تلك الصراعات الداخلية والنزاعات التي اعتبرها عقبات النمو والتقدم،[2] فبن نبي يؤكد على أنه من الضرورة تنظيم الحياة الاقتصادية من أجل تحقيق حلقة تنموية كاملة داخل حدود أي وطن من خلال الاستثمار الاجتماعي للفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية.

4) بناء شبكة العلاقات الاجتماعية:

يعرفها مالك بن نبي شبكة العلاقات الاجتماعية بأنها "مجموع العلاقات الاجتماعية التي توفر الصلات الضرورية داخل العوالم الثلاث من أجل تحقيق أي عمل تاريخي" وتتمثل هذه العوالم في:

- عالم الأشخاص
- عالم الأفكار
- عالم الأشياء

هذه العوالم الثلاث تعمل بشكل مشترك، لتأتي في صورة إيديولوجية من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص، بمعني أنه لا يمكن أن يتم عمل تاريخي، إذا لم تتوفر صلات بين هذه العوالم لتربط أجزائها في مجالها الخاص.[3]

---

[1] عبد المجيد قدور، **مالك بن نبي والفكرة الافروأسيوية، مالك بن نبي و الفقه الحضاري.....**، ص 121.

[2] مالك بن نبي، **فكرة كمنولث إسلامي**، ترجمة الطيب شريف، ط2، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 13.

[3] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص ص 23، 24.

ويعد بناء شبكة العلاقات الاجتماعية أول عمل تاريخي يقوم به المجتمع، إذ أن ميلاده مرهون بإكتمال وتلاحم هذه الشبكة داخل النسق الاجتماعي في إطارها الاقتصادي والسياسي والثقافي وتخضع فاعليته الأفكار في أي مجتمع لشبكة العلاقات الاجتماعية حيث يقول بن نبي " **فإذا تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كمًا وكيفًا في شبكة علاقاته...أما إذا تفككت الشبكة نهائيا ، فذلك إيذان بهلاك المجتمع** "[1] هذا العمل يؤدي إلى تحويل الإنسان من مجرد فرد تسيطر عليه غرائزه المختلفة إلى فرد ملتزم بواجباته تجاه مجتمعه.[2]

فإنشاء هذه الشبكة باعتبارها نقطة الانطلاق نحو مشروع إصلاحي تنموي تكون فيه اللبنة الأولى لاستئناف البناء الحضاري، فعندما تكون السيطرة لصالح النزعة الاجتماعية على حساب النزعة الفردية فتلك هي بداية الطريق الموفق والصحيح اتجاه التغيير والنهضة والتحضر.[3]

5) أولوية الواجب والتنمية السياسية:

يجب على المجتمع أن يركز في مبادئه الاجتماعية والسياسية والثقافية على القيام بالواجب أكثر من تركيزه على الرغبة في نيل الحق،[4]بحيث أن نؤسس لنهضتنا على أساس الواجب عن قناعة والشعور بروح المسؤولية وتجنب ما عرف به " الحقوق المهضومة " لننطلق في السعي الجاد وراء الوسائل الممكنة والفعالة، التي نواجه بها التحديات التي يطرحها بن نبي فالمجتمع المتحضر هو الذي يكفل حقوق الفرد مهما كانت قيمته، ومن جهة أخرى يجب تحقيق الانسجام بين جهود الفرد وعمل الدولة من خلال تقليص الهوى وتقريب الحاكم من المحكوم وتوجه كل منهما في اتجاه موحد تتجانس في

---

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر نفسه، ص 39.

[2] محمد العطاف، **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي**، ط1، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2009، ص127.

[3] أسعد السحمراني، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، دار النفائس، بيروت، 1984، ص 161.

[4] مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص 30.

الجهود وتتكامل، فالفعل السياسي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تبناه المجتمع في إطار تعاون بين عمل كل منهما (الدولة والمواطن) ومن اللازم ربط السياسة بالأخلاق والعلم وبقواعدها العلمية التي تراعي الجوانب الفكرية والاجتماعية والتي تعبر على خصوصية كل مجتمع .[1]

6)إعادة الدور الاجتماعي للدين :

إن العامل الديني له أهمية خاصة في بناء المجتمع وتطوره من خلال بثه للطاقة الروحية التي تدفع إلى تفعيل دور الفرد والمجتمع لتحقيق نشاط اجتماعي مشترك والذي يساهم بدوره في تنمية روح العمل الجماعي، فالفكرة الدينية هي أساس التنمية في كل مجتمع، فهي التي تهدف إلى تغيير الفرد من الداخل وتقوي عقيدته للعمل على الأفكار التي يؤمن بها ويسعى من اجلها وتقوم أيضا بضبط وإخضاع الغريزة وليس بإزالتها بل بتنظيمها وفق نظام يضمن انسجامها مع الفكرة الدينية.

وقد اهتم مالك بن نبي بالدين من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الإنسان الحضاري، وتحثه على بناء شبكة العلاقات اجتماعية قوية تحمي نفسها من أي تأثير غربي قال صل الله عليه و سلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا "متفق عليه، وكذلك ربط العوالم الثلاث عالم الأشخاص والأفكار والأشياء.[2]

كما أن الميلاد الأول للحضارة مرهون بالفكرة الدينية في إحداث التاريخ بعد دخولها في الأنفس التي آمنت بها،[3] حيث يعتبر بن نبي أن العلاقة الروحية بين الله والإنسان هي المسئولة عن العلاقات الروحية المجسدة بين الإنسان وأخيه الإنسان وكلما كانت العلاقة الدينية قوية كلما قلت درجة الفراغ الاجتماعي.[4]

---

[1] محمد العطاف، مرجع سابق، ص 138.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص 46.

[3] المصدر نفسه ،ص 55.

[4] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص28.

إن الفكرة الدينية دائما هي التي تقوم بالتركيب الاجتماعي في شكل قيم أخلاقية وعادات وتقاليد وقواعد إدارية ومبادئ شرعية ....وغيرها فالدين هو مركب هذه القيم الاجتماعية، كما انه العامل الذي يربط بين المركب العضوي للحضارة (الإنسان والتراب والزمن)،[1]وله القدرة في التغيير على مستوى الفرد والجماعة، أي أنها تأثر في كافة الأبعاد الحضارية الفردية والمجتمعية والتاريخية.[2]

7) بناء الإنسان الجديد الغير قابل للاستعمار:

من أهم العناصر التي اهتم بدراستها في كتبه مشكلات الحضارة هو الإنسان لذلك نجده يركز على خصائص بناء الإنسان، إذ أن حركة التاريخ وركوده مرتبط بحركة الجهاز الاجتماعي الأول المتمثل في الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك معه المجتمع والتاريخ وهذا ما تدل عليه الدراسات الإنسانية ،[3] " **الإنسان هو نقطة البدء في التغيير ومهما جرت محاولات تحديثه بواسطة الاستعارة أو الشراء للمصنوعات ومنتجات التقنية فإن هذه المحاولات تكون عميقة طالما لم تبدأ من حيث يجب** "،[4] وأن أي محاولة للتغيير لا يمكنها أن تحقق نتائج ايجابية على أرض الواقع ما لم تستطع تغيير نفسية الإنسان وميولاته، فجوهر النهضة هو التحديد الذي يتم على مستوى النفسي للإنسان وينتشر هذا التجديد في شبكة العلاقات الاجتماعية، خصوصا أن بناء الإنسان لا يتم بمجرد تصفية عقله من القابلية للاستعمار، بل يجب متابعته للتخلص من ذلك التلوث الفكري نتيجة جرائم الاستعمار ومخططاته العلمية ذات الأبعاد النفسية والاجتماعية، وأصبحت تصفية رواسب

[1] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 51.

[2] Bariun fawzia ، malik **bin nabi's life and theory of civilization** ،phd ،the university micchigan ،1988 (un published) ،P160.

[3] مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص129.

[4] عبود العسكر، **مشكلات الحضارة بين مالك وخلدون**، مجلة رؤى فصلية، ع 20، 2003، ص56 .

الاستعمار أهم عمل ثوري، فالمجتمع لا يستطيع الوصول إلى أهدافه ما لم يغير الإنسان بطريقة لا رجعت فيها من حيث سلوكاته وأفكاره.[1]

8) تحقيق الفاعلية:

تتحقق الفاعلية من خلال ربط الفكر بالعمل بدل الجدل العقيم والخطابات الجوفاء، والعمل على الجمع بين العلم النظري والعقل التطبيقي، أي ربط العلم بأهداف عملية معبر عن طموحات ومتطلبات الواقع، وإذا أردنا فعالية منتجة يجب أن يعرف الإنسان قدراته وإمكانياته الذاتية ويعرف واجباته نحو مجتمعه ومعرفة دينه لأنه هو الذي يمده بالقوانين والإرشادات اللازمة لكسب القدرة على الفعالية .

ويؤكد بن نبي أن الفاعلية لا يمكن أن تجسد على أرض الواقع إلا إذا فرض الإنسان نفسه، وأكد وجوده العقلي والفعلي مستفيدا مما سبق من أحداث تاريخية ومؤمنا بإنجازات ومشاريع مستقبلية يسعى من أجل تحقيقها .[2]

[1] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه** ،ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص54.

[2] عائشة يوسف المناعي، **مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي**، مجلة المسلم المعاصر، عدد 100، لبنان، 2001، ص134.

المطلب الرابع: أسس المشروع الإصلاحي

تسعى دول العالم العربي اليوم إلى القيام بالتغيير والإصلاح والنهضة العلمية والفكرية والاقتصادية....ولكن تأثير العالم الغربي على الفكر العربي الإسلامي حال دون ذلك ، بسبب التبعية له في الفكر والاقتصاد والسياسة وحتى في النظريات الاجتماعية.

هذه الأمة المغلوب على أمرها اتخذت العالم الغربي قدوة لها، فتبعت النظم الغريبة لمجرد نجاحها في الدول الأجنبية، وأهملت دور الأخلاق والدين الذي هو أساس قيام النهضة،[1] فيرى بن نبي في هذه الظاهرة المنتشرة في سياسة الدول العربية أن من الخطأ نقل مشاريع ونظريات غربية ومحاولة تطبيقها في العالم العربي، فلكل مجتمع خصائصه وثقافته وآلياته المتحركة النابعة مما يسود داخل مجتمعه من قيم، فتكون محاولاتهم ضربا في المجهول ومضيعة للوقت، وليست لها قاعدة للقيام بالنهضة[2]

لذلك فإن أي مشروع غير صادر من الأراضي الإسلامية فهو غير مقبول على المستوى الشعبي وليس له أية قاعدة عملية، لأنه تقليد فاشل فلا يمكن شراء نهضة بل يمكن صناعتها من طرف المجتمع الواحد، فكل مجتمع تتميز نهضته عن مجتمع أخر نتيجة اختلاف الثقافات[3]،فالثقافة هي جوهر الحضارة [4]، هذا ما يخلق الضعف في البلاد الإسلامية مما جعل الأيادي الغربية الخفية تتحكم في كل شيء، فتتعمد نشر الفتن والثورات والانقلابات وتستغلها لصالحها وتفتح أبواب أسواقها لتروج منتجها وأشياءها، لذلك من

[1] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 50.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص 47، 48.

[3] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص 300.

[4] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص 104.

الضروري إعمال العقل وترشيده تثقيفا وتخطيطا وفهما للواقع قبل البدء في صنع التاريخ والحضارة.

فلقيام أي أمة بنهضة يجب عليها أن تحدد أهدافها اعتمادا على فكرة التخطيط لحمايتها من دعاة التغريب، الذين يصورون للمجتمع أن الحضارة تكمن في الآلات التي يصنعها العالم الغربي التي أثبتت نجاحها، في إطار الجهود الغربية لإبقاء الجمود الفكري والعطل الحركي، لأنهم يعلمون أن العرب لهم كل السبل لبناء حضارة عربية إسلامية ويخشون لأن يعيد التاريخ نفسه وتقود الأمة الإسلامية العالم من جديد.

لهذا فلا يمكن للحضارة أو أي نهضة أن تقوم على أشياء ومنتجات حضارة أخرى لأن كل مجتمع يقوم بإنتاج تقنيات لتحقيق أهداف ومشاريع تخدم مجتمعه وتتطابق مع ثقافته، لذا من الضروري تهيئة القاعدة الرئيسية للانطلاق في عملية البناء الحضاري حسب واقعنا الثقافي العربي الإسلامي،[1]حيث يؤمن بن نبي بفكرة أن الأمة الإسلامية يمكنها أن تقوم لأن التاريخ يثبت أنها قادت العالم من مركزها القاهرة، بغداد، قرطبة في حين أن العالم الغربي كان تحت ظلام الكنيسة وجهل مجتمعه وكثرة الحروب والصراعات، بينما الحضارة الإسلامية كانت مزدهرة بالعلوم والثقافة الراقية والفن والهندسة ....

ويشير مالك إلى أن الروح الإسلامية هي مركز الإشعاع الذي يبني حضارة الأمم الإنسانية الاتجاه والشاملة النفع، فإن الطريق إلى النهضة ليس باستيراد النظم الغربية وإنما بإتباع التعاليم الثقافية والسياسية والاقتصادية التربوية التي نزلت من السماء " **يجب أن نتعامل مع الآيات القرآنية وكأنها نزلت لتوها**"[2] الله عليه وسلم **{لا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها}.**[3]

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص 182.

[2] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق ، ص261.

[3] المرجع نفسه، ص 265.

وتنطلق خطوات مالك بن نبي نحو الإقلاع الحضاري للعالم العربي من الإسلام تعاليمه المتمثلة في خطوتين:

1. دراسة تاريخ الأمم وحضارتها وفهم منتجاتها والاستفادة من الماضي والالتزام بايجابيته وتجنب سلبياته في الواقع الثقافي والفكري العام.
2. التوجه إلى بناء المستقبل بإتباع الأحكام القرآنية والسنة ومن خلفهم من السلف الصالح وتحديد آليات التطور الاجتماعي في كل مجال من اجل صناعه الحضارة ودخول التاريخ من جديد.[1]

إن أهمية التاريخ تعتمد على إلغاء سلبيات الماضي والأخذ بايجابياته التي تأثر في الحاضر من أجل بناء المستقبل وطموحاته، اعتمادا على التوجيه الإنساني الذي مصدره الشريعة الإسلامية، التي تسعى إلى صنع مستقبل الأمة وضمان كرامة وسعادة البشر

بعد توجيه الإنسان يأتي دور إصلاح المجتمع بالتخلص من العادات والتقاليد المسيئة للإسلام والتاريخ، ومعرفة إطارنا الخلقي والاجتماعي، وتصفية العوامل التي لا تعود على الفرد بفائدة، حتى يخلو الجو الاجتماعي للأفكار الحية والداعية إلى الحياة وذلك بالالتزام بقاعدتين:

1. التخلص من سلبيات ورواسب الماضي.
2. ايجابيات تصلنا بالحياة الكريمة ومستقبل أفضل.

ويتبادر إلى الأذهان العربية أن أمر الإصلاح سيأخذ وقت طويلا وأن الاستعانة بنظريات أثبتت صلاحياتها في تحقيق النهضة في بلاد أخرى هو الحل للخروج من الوضع الحضاري السيئ التي تعيشه الأمة العربية، وهذا ما تروج له بعض المدارس الاستعمارية وأجهزتها، حيث يقدم بن نبي تحليلا مفصلا لخطر هذا الفكر على العقول العربية ويتوجه

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص183.

إلى أن هذه النظريات والقوانين العلمية التي أثبتت جدارتها في المختبرات الغربية لا تتكيف مع تطلعات العقيدة ومنهجها في كل عائلة حضارية، وهنا المطلوب هو الأصالة في التفكير وإنتاج الفكر من الواقع المعاش وتحقيق الاستقلال الحضاري في الثقافة والسياسة والاقتصاد والتربية، وتبني أهداف نابعة من ضمير الأغلبية الشعبية، وليس من السياسة والعقائد المستوردة،[1]"**لا نستطيع أن نقرر بصفة عامة مخاطر أن نقتبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا كي نطبقه على مشكلة تواجهنا في العالم العربي الإسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها وتختلف اتجاهاتها وأهدافها** "[2] ومن ناحية أخرى فإن مالك لا يعترض عن مقتضيات العصرنة أو رافضا للتحديث والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى الناجحة في بناء حضارتها، فالحضارة هي توّجه وأهداف وقيم وأحكام تسيير عملية البناء، فالاستقلالية ليست في رفض آلة وقبول أخرى، وإنما في توجيه كل الآليات والطاقات في خدمة الوجهة الحضارية ذات الشخصية المنسجمة، ولإيجاد حلول لمشكلات أي واقع يجب:

- فهم الأرضية و القاعدة التي تنطلق منها أي مشروع إصلاحي
- دراسة دقيقة لخصوصية الثقافة والسياسة والاقتصاد
- دراسة الحلول وتحديد الأهداف للخروج من الواقع المتردي

لذا يجب أن تراعى مكانة الأمة ومركزها قبل سن الحلول والمناهج التي من الضروري أن تنسجم مع أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي تعيشها أمته، أما أن تستورد حلول من الشرق والغرب فذالك مضيعة للوقت ومضاعفة المشاكل.[3]

---

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

[3] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص 47، 48.

يشكل الإسلام الجسم الأساسي للمشروع الإصلاحي والموجه والضابط لحركة التحضير للنهضة في العالم العربي، بفعل تعاليمه ومناهجه المتفهمة للواقع الاجتماعي، والحاملة لتطلعات المستقبل، وذلك بالعمل على التثقيف والتوجيه بمختلف الوسائل المتاحة، بهدف إطلاع القاعدة الشعبية بمختلف قطاعاتها على جوهر المشروع الإصلاحي الشامل لكافة الميادين، ليتبادر في فهمه والالتزام به وشحن عزائم الشعب المتحفز للتغيير، حتى يحصن نفسه من تأثير الأيادي الاستعمارية الخفية الساعية إلى تعطيل أي نهضة وتكتل داخل البلدان العربية " **إن أي فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا فانه ينتظر أفكارا معادية لنا**".[1]

وحتى يتبين لجميع العاملين في المشروع الإصلاحي أنهم في سباق مع الاستعمار الذي يريد بث ثقافته وسياسته واقتصاده ومنتجات حضارته داخل الدول المتخلفة المغلوبة على أمرها .

لذا فإن أي محاولة للنهضة والإصلاح هي بمثابة الإنذار الذي يهدد مصالح الدول الأجنبية بالتراجع والرحيل، لهذا تسعى هذه الدول إلى القضاء على أي نهضة من أي نوع في البلاد العربية المتخلفة حضاريا، رغم أنها تحتل المناصب الأولى في إنتاج مصادر الطاقة والمعادن... و ليست بالدول الضعيفة بل المستضعفة نتيجة ركودها الفكري والعقلي وتبعيتها للعامل الغربي .

إن تطبيق الأفكار وتحويل الأقوال إلى أفعال من شروط نجاح الإصلاح وهي مفاهيم أساسية في نصوص الشريعة الإسلامية قال تعالى:{**يَأَيُهَا الذِيْنَ أَمَنُوا لِمَا يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونْ كَبُر مقتًا مِنْ عِنْدِ الله أنْ يَقُولُوا مَا لا يَفْعلُونْ** } [2]هذه الآية تمثل السند الإلهي وتدفع الإنسان في عمله إلى الالتزام بالفكرة وتطبيقها لأنها ستشكل ما سميناه

[1] مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي**، مكتبة عمار، القاهرة، 1971، ص 58.

[2] القرآن الكريم، سورة الصافات، أية 2، 3.

" المشروع الإصلاحي "، وإقتران الفعل بالعمل هو أساس أي تقدم تاريخي، فمفتاح المشكلة يكمن في توجيه ثقافة الأفراد توجيها يتفق مع أي مشروع إصلاحي مع التأكيد على إعادة التوازن فيما يخص ثقافة الكم والكيف وتجنب التكديس كي تتحول الأفكار إلى عمل وتسخر القدرات المادية والغير مادية، وينتقل هذا التوازن من الفرد إلى الجماعة، فيتحرك المجتمع فعليا نتيجة تكتل الأفكار والأهداف المرتبطة بمسألة التوجيه، ليترجم الأفكار إلى أعمال تدل على السير الحسن للمنهج الإصلاحي ،كل هذه الجهود من أجل الإنسان صنع الحضارة والتاريخ وتحريره من الركود الفكري وحالة التسلط في عمله ونهب ثرواته دون قدرته على الاعتراض.[1]

ونعود إلى أهمية الإسلام ومنهجه الذي يمثل الهوية الوحيدة القادرة على فتح مجال الإبداع والحركة في النشاط الفكري والعملي لبث روح الجهاد ضد النفس وضد المنكر في المجتمع وضد الطبيعة واستغلالها فيما يخدم الجماعة، لأن الفرد لا تحدد قيمته في الحضارة العربية الإسلامية إلا من خلال الجماعة، فالإسلام يأمر في كل أحكامه (عبادات ومعاملات) على إلتزام الجماعة حتى في الصلاة.

إن التطلع إلى حياة جديدة في كنف المشروع الإصلاحي يتطلب تضافر الجهود الجماعية لا الفردية من أجل تحقيق النهضة وبعد تهذيب الذات بالروح القرآنية واستغلال الطبيعة وإخضاع التراب الذي ستقوم عليه الحضارة العربية الإسلامية وحتى يستطيع المسلمون نشر السلم والأمن مجدد إلى البشرية وحمل لواء القيادة بعد أن فقدته في عصر ما بعد الموحدين[2] كما يقول مالك بن نبي.[3]

---

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص 187.

[2] وهي فترة أفول نجم الحضارة الإسلامية بسبب استعاد الغرائز سيادتها على الإنسان ساد وما يزال . ما يسميه مالك بن نبي مجتمع ما بعد الموحدين وإنسان ما بعد الموحدين.(المصدر: مجلة الموافقات ،المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر، العدد 3 جوان 1994، ص15).

[3] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص189.

بعد تغيير الإنسان وحل مشكلاته يأتي دور إقامة شبكة من العلاقات الاجتماعية لبناء الجماعي للمجتمع وحضارته على قاعدتي الإيمان والعلم تمهيدا لبدء الحركة الاجتماعية لتحرير كل إنسان استعبدته الآلة الأوروبية فالثورة والنهضة والإصلاح لا تكون إلا بإصلاح صادر من ثوابت صلح بها أول هذه الأمة (الحضارة الإسلامية).[1]

يظهر منهج "مالك بن نبي" في تطبيق إستراتيجية إصلاحية تجديدية تستهدف تغيير الواقع الإنساني عامة وواقع العالم المتخلف، العالم الإسلامي جزء منه بصفة خاصة، بحيث تضع بين يديه آلية فكرية نظرية للخروج من التخلف وبلوغ مستوى الحضارة، فهي مشروع منهج وضعه صاحبه للقضاء على ظاهرة التخلف بعدما درسها، وكشف عن عوامل وأسباب وجودها، ولغرض الوصول إلى الحضارة بعدما درسها وكشف عن قوانينها وآلياتها الروحية والمادية، تميّز هذا المنهج بالقوة والمتانة لارتباطه بالعلم والدين والتاريخ، وبقوانين هذه الأطر الفكرية والروحية باعتبارها مصدر توجيه وقيادة في حياة الإنسان، ولإرتباطه بالفكر الإنساني القديم والحديث وبواقع الإنسان المعاصر في العالم المتقدم بما له، والعالم المتخلف بما عليه، وخاصة في العالم الإسلامي الذي لا ينقصه سوى تطبيق المناهج الكفيلة بإخراجه من عالم الانحطاط وتمكينه من الحضارة، وهو أمر ليس بعسير على إنسان بين يديه كافة شروط التحضر.

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 106.

المبحث الثاني: موقفه من بعض قضايا عصره

المطلب الأول: الثـــورة

بعد انهيار الدولة العثمانية خطط الدولة الاستعمارية لاستخلافها في مناطق العالم العربي "سد الفراغ"، وتعرض هذه الدول إلى الاحتلال بأشكاله وسيطر الاستعمار ومارس سياسته على أرضه بالقوة، مما عجل في ظهور مقاومات شعبية وحركات تحررية بذلة جهد كبير في سبيل التغيير والبناء لنيل الحرية والاستقلال، إلا أنها بعد رحيل الاستعمار ظلت تعاني من انعكاسات الظاهرة الاستعمارية وأثارها السلبية بقية حاضرة على الأوضاع الاقتصادية والثقافية والسياسية، وبقية هذه الدول ومنها الجزائر تعاني عقبات وتحديات ومشاكل لم تجد لها حلول بعد.

مفـــهوم الثـــورة:

إن أول ما يؤكد عليه مالك بن نبي هو أن ثورة الشعب لا تستورد ولا تُتعلم من كتاب و لا تنشأ بمجرد اجتماع حزبي فهي محاولة تغيير للأوضاع السائدة السياسية والاجتماعية و الثقافية..."**إنها أطراد طويلة تحتوي ما قبل الثورة والثورة نفسها وما بعدها والمراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيه لمجرد إضافة زمنية بل تمثل فيه نموا عضويا وتطورا تاريخيا، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور قد تكون النتيجة زهيدة تخيب الآمال**".[1]

فالثورة تنطلق بشكل سلمي وسليم نحو الإصلاح والتغيير وإقلاع جذور الاستعمار ورواسبه، لكن الاستعمار إذ شعر بخطر العمل الثوري فسيبادر للقضاء عليها بشتى الوسائل القمعية والإجرامية وتوجيه العملاء أو الذين تخرجوا من الدراسة الفرنسية ليوجه عملهم إلى تخريب أهداف الثورة من الداخل وهذا ما عانت منه الثورة الجزائرية.[2]

---

[1] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، مصدر سابق، ص ص 11 ،12.

[2] مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، دار الفكر، دمشق، 1979، ص 33.

وما هو معروف عند مالك بن نبي أن انطلاق أي ثورة سيصاحبها ما عرفه بالثورة المضادة، ذلك ما دفع الثورة الجزائرية لمواجهة المضادات الداخلية والخارجية التي هي أخطر من قوة السلاح والعمل على البحث عن عملاء فرنسا الذين باعوا ذمتهم لأنهم يمثلون السوس الذين ينخر جسم الثورة من الداخل « **إن كل ثورة ملزمة بأن تحمي نفسها من سائر المحاولات التخريبية** »[1]، وقد تنشأ ثورة مضادة أثناء اندلاع ثورة أصلية وتتخذ إسم وصورة ووسائل لإجهاض هذه الثورة وحَل محَلها، ويبقى مصير الثورة متوقف على مدى محافظة الثورة على محتواها وضرورة اليقظة الثورية والرقابة لأن تتحول الثورة إلى لا ثورة أو ثورة مضادة،[2] "**نجاح ثورة ما أو فشلها هو بقدر ما تحفظ بمحتواها أو تضيعه في الطريق فهذا كله خاضع لقانون فالثورة لا ترتجل**". [3]

فقد لاحظ بن نبي الكثير من الثورات التي قامت بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولم تنجح في تحقيق التغيير بل وجدت نفسها في حالة مزرية أكثر مما كانت عليه، وبذلك تقع الفوضى في البلاد وتحدث الفتن وتتدخل الأيادي الأجنبية للاستفادة من سوء الأوضاع.[4]

ويؤكد مالك أن الثورة لا ترتبط بالعنف إلا في مرحلة ما قبل الاستقلال والعمل على تصفية الاستعمار من النفوس حتى بعد إخراج جيوشه وهي المعركة الأصعب لأن الاستقلال نسبي شكليا والأرض مهيأ له للعودة ما لم تحرر النفوس والعقول من القابلية للاستعمار،[5] والثورات الداخلية والفتن والفوضى ما هي إلا انحراف الثورة على مسارها وإطارها التاريخي، لأن زعمائها سعوا وراء السلطة والمناداة بالحقوق بدلا من الحرص على أداء الوجبات وتصفية مظاهر القابلية للاستعمار.

---

[1] مالك بن نبي، **الفكرة الأفريقية الأسيوية**، مصدر سابق ، ص93.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع تونس، 1985، ص120.

[3] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، مصدر سابق، ص124.

[4] عبد اللطيف عبادة، **فقه التغيير عند مالك بن نبي**، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص285.

[5] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 219.

ويدعوا بن نبي إلى صياغة فكرة الواجب ضمن مشروع تربوي تغرسه في ضمير كل مواطن وهو العنصر الذي يحقق التفاهم والوحدة بين الحاكم وشعبه،[1]وهو ما تراه فلسفته الثورية وكلامه الموجه إلى قادة الثورة الجزائرية بروح الخائف على انحراف مبادئها نتيجة الصراعات الداخلية بين المناضلين.

لقد وصف مالك بن نبي الثورة الجزائرية على أنها من صنع الجماهير الشعبية الواسعة وليس من صنع طبقة خاصة أو نخبة "ومهما يكن من الأمر، فإن الشعب الجزائري هو الذي صنع الثورة وكان الفلاح هو الذي تحمل عبئها".

وانطلقت الثورة الجزائرية بإيديولوجية بسيطة تتلخص في كلمة واحدة هي الاستقلال[2]، وقد ربط بين عالم الأشياء وعالم الأفكار من خلال الوصول على مرحلة "الفاعلية" التي تبناها جيل الشباب آمنوا بضرورة العمل الثوري، وتم نشر وثيقة أول نوفمبر لنشر الوعي داخل المجتمع الجزائر حيث يقول العربي بن مهيدي " **ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب** " فالهدف الذي كان مرسوم هو التغيير المرتبط بالأوضاع الاجتماعية و الثقافية،[3] هذا الجيل الذي تتلمذ على يد رواد الإصلاح في الجزائريين وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس "، إن رأس المال الذي كان متوفر عشية الواحد من نوفمبر 1954م، كان في الأساس ثمرة هذا التطور الذي قامت الحركة الإصلاحية فيه بدور رئيس"[4].

[1] بشير قلاتي، مرجع سابق، ص220.

[2] عبد اللطيف عبادة، **صفحات مشرفة في فكر مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص 94.

[3] عبد العزيز رأسمال، **مالك بن نبي وتصوره للثورة التحريرية**، مالك بن نبي و الفقه الحضاري.....، ص132.

[4] مالك بن نبي، **من أجل التغيير**، دار الفكر، دمشق، 1995، ص47.

المطلب الثـاني: الاستعمــار

لقد دخل الاستعمار في كل ميدان حتى لا يتركك فرصة لأي بعث إسلامي وهو يدَّعي نقل الحضارة إلى الشعوب المتخلفة ولكن في الواقع نجده قد أفقر المستعمرات بنهب الأموال واستغلال الخيرات، ولذلك من الضروري دراسة الحركة الاستعمارية من جذورها كعلماء اجتماع لا كرجال سياسة،[1] فالاستعمار ظاهرة من طبيعة العالم الأوربي، ولهذا فإن أي اتصال بين رجل أوروبي وغير أوربي خارج أوربا هناك موقف استعماري، حيث يقول أحد الكتاب المتخصصين بدراسة نفسية الاستعمار: أن الأوربي يحب عالما دون بشر، ولو قال: إن الأوروبي يحب عالما دون شهود على جرائمه لكان هو الصواب[2].

قام بن نبي بدراسة الظاهرة الاستعمارية من جذورها وتحليلها نفسيا واجتماعيا من أجل معرفة الاستعمار وتأثيره على الإنسان والمجتمع.

الاستعمار عند مالك بن نبي:

1. الاستعمار:

يُعرف بن نبي الاستعمار على أنه نكسة في التاريخ الإنساني، ويعود أصوله إلى روما، حيث وضعت طابعها الاستعماري من سجل التاريخ ولكننا نرى في العهد الإسلامي وفتوحاته نوع جديد من العلاقات بين الشعوب إذ لم يمارس المسلمون مفهوم الاستعمار على الدول التي سيطرت عليها بل لِضمها فقط داخل الحضارة الإسلامية في الشام والعراق مثل

[1] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامية**، مصدر سابق، ص 85.

[2] محمد العبدة، مرجع سابق، ص 92.

فتحها لجنوب فرنسا وإسبانيا وشمال إفريقيا، ولا يختلف المؤرخون في أن الحضارة الإسلامية كانت تنتشر كحضارة وليس كدين.[1]

2. معامل الاستعمار:

وهو كل ما يفرضه الاستعمار على حياة الفرد بحيث يعمل على تحطيمه بوسائل ظاهرة بوضع عراقيل أمام المُستعمَر وبذلك فهو تهديم لجوهر الفرد ومحو شخصية وعبقرية بالانتقاص من قيمته وامتصاص قواه الكامنة[2] وتحوله إلى كائن مغلوب على أمره، عاطل عن العمل، ومشلولا من التفكير والحركة وجاهلا لواقعه، كي يصبح خادما للاستعمار وجعله فردا متدني أخلاقي يساهم في انتشار الرذيلة لتشتيت المجتمع وتفريق أفراده، وتعريضهم للذل والمهانة والاحتقار حيث يقول مالك " **وبذلك تكون العلة مزدوجة فكلما شعر بالداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج ،فإننا في الوقت نفسه معاملا باطنيا للمعامل الخارجي ونحط من كرامتنا بأيدينا**"[3].

ويؤثر هذا المعامل على الفرد منذ صغره عندما لا يجد التعليم والدراسة ومن يؤمن له قوة عيشه فإنه سيلجئ إلى التسول أو العمل لدى الفرنسي أو اليهودي ويكبر وينمو تحت ظل المهانة والذل، أما الذي حالفه الحظ وأكمل دراسته الجامعية بشق، الأنفس في الأخير فإنه لا ينال إلا المناصب الحقيرة مثل ما جرى مع مالك بن نبي، فالمستعمر دائما حريص على قهر وإخماد الأفكار والنفوس وجعلها تابعة له في كل شيء.[4]

وقد وضع الجنرال الفرنسي بيجو[5] أساسا لتخطيط سياسة الفرنسية الرمية لدعم الاستيطان وإقرار التوازن بين المعمرين والجزائريين والعمل على الإنقاص من القيمة الأهالي

---

[1] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، مصدر سابق، ص 48.

[2] حسن موسى محمد ، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، جامعة إسلامية غزة، 2005م، ص79.

[3] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 126.

[4] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص 147.

[5] **بيجو**: (1784-1949)قائد فرنسي ومؤسس المكاتب العربية في الجزائر مارس سياسة القهر والاضطهاد والتدمير خلال فترة حكمه للجزائر1940.(المصدر:محمد سيف الاسلام، البصائر،www.albassair،2016/05/20، 00:10)

وتحطيم قواهم الداخلية بطرق فنية حيث يقول مالك " **كأنه معامل جبري وضع أمام قيمة كل فرد يقصد التنقيص من قيمته الإيجابية** ".[1]

3. القابلية للاستعمار:

وهو تأثُّر الفرد نفسيا بسياسة المستعمر والشعور بالهزيمة ووجوب التوجه لخدمة الغالب بحيث يصبح الإنسان قابلا للاستعمار وخادما له وهو من أشهر المفاهيم لدى مالك بن نبي فهذا المعامل ينبعث من داخل الفرد الذي يقبل على نفسه تلك الصورة ويسير وفق القانون الذي يضعه له المستعمر وحدد له حركته وأفكاره وحياته والدليل على ذلك قبول الجزائريين مصطلح الأهلي الذي ألصقته فرنسا على الجزائريين منذ استأهلتم على شؤونهم وظل هذا المصطلح متداولا بين رجال السياسة وحتى في الكتب التاريخية.[2]

تمثل القابلية للاستعمار عائقا حضاريا داخليا ويمثل الاستعمار عائقا حضاريا خارجيا يسعى كل منهما إلى إعاقة العالم الإسلامي، ومنع ظهور أي بعث حضاري من خلال السيطرة على العقول وشل الأفكار، حتى لا تستطيع تجاوز مصاعبها النفسية والاجتماعية إضافة إلى طمس قيمته وإمكانياته وممارسة سياسة الاستبداد والقهر كما هو الآن في شمال إفريقيا[3]

إن الاستعمار أخطر شيء ابتلي به الشعب الجزائر لفترة 130سنة، والعالم العربي الإسلامي حيث شلت الطاقات وخربت العقول واستنزاف الثروات لكن لم تكن الظاهرة الاستعمارية صدفة بل كانت نتيجة الانحطاط الحضاري الذي كانت تعيشه الأمة، حيث يقول مالك " **فإن جميع الظروف الاجتماعية التي تحيط بالفرد تدل على قابليته للاستعمار وفي هذه الحالة يصبح الاحتلال الأجنبي استعمارا وقدر محتوما**".

---

[1] المصدر نفسه، ص 146.

[2] حسن موسى محمد العقبي، مرجع سابق، ص 80.

[3] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 126.

ويصف مالك القابلية للاستعمار بأنه مرض يصيب الإنسان فيفقده مناعته الذاتية وهذا ما أصاب حضارتنا الإسلامية كما حدث مع الخلافة العباسية بعد غزو التتار للعالم الإسلامي وانتصار المسلمين وكما حدث للألمان واليابان في الحرب العالمية الثانية حيث سرعان ما استعاد كل منهما قوته بعد الحرب مباشرة إذ لم تكن لديهم هذه القابلية.[1]

فهناك فرق بين بلد مغزو وبلد مستعمر، فالأول كان فيه تركيب حضاري وتكامل بين عوالمه الاجتماعية فهو غير قابل للاستعمار، أما الثاني فتوجد فيه مجرد تجمعات إنسانية تتميز باختلال ثقافي فهو مجتمع مؤهلا نفسيا للاستعمار.

فلا سبيل إلى الحضارة أمام مجتمع سيطرت على عقله فكرة القابلية للاستعمار فهو يسير وفق ما يرسمه له الاستعمار ويشعر بأن كل ما يقوم به و يقوله هذا الأخير هو الصواب.

ولكي نتخلص من الاستعمار الآثم على قلوبنا علينا أن نتخلص أولاً من القابلية للاستعمار" أمام ضرورة ملحة ألا وهي تصفية الاستعمار من العقول قبل كل شيء، فتصفية الاستعمار من العقول تتطلب معرفة مفهوم الثقافة والحضارة، فهي لا تتحقق بمجرد انسحاب الجيوش الاستعمارية"[2].

فإن السبيل إلى تحقيق النهضة وتصفية الاستعمار إنما يتم من خلال تصفية القابلية له، إذ هي التي تهيئ للاستعمار و تدعوه، ففي الحركة التاريخية لا تبدأ الظاهرة بالاستعمار بل بالقابلية للاستعمار الناتجة عن عجز الناس وخمول عقولهم خاصة في بلاد الإسلام وما ينتج عنه من تخلف فكري وانحطاط أخلاقي والتبعية للعالم الغربي في كل شيء.[3]

[1] كمال لدرع، **مسيرة التغيير من الثورة إلى الاستقلال**، مالك بن نبي و الفقه الحضاري....، ص110.

[2] مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، مصدر سابق، ص33.

[3] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص461.

المطلب الثالث: المجتمع

إن مشروع مالك بن نبي الحضاري ركز على الإنسان أولا كونه المؤثر على ما حوله، ومبرزا أن قوة الإنسان تكن في الجماعة وليس في الفرد، فقام بتقديم دراسة شاملة حول شبكة العلاقات الاجتماعية التي تؤسس لميلاد مجتمع في مسيرة التاريخ.

يعرف مالك بن نبي المجتمع الحقيقي على أنه الجماعة التي تغير دائما خصائصها بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير[1]، فالمجتمع لا يقصد به تجمع أفراد على أساس الاشتراك في العادات والتقاليد والمحيط الواحد والخضوع لقوانين مشتركة بل هو تحديد الأهداف والعمل الجماعي على تحقيقها وهو يشبه الفرق بين رأس المال والثروة(الرأس مال متحرك والثروة مكدسة وساكنة).[2]

وهنا يكمن الفرق بين مفهوم المجتمع وسائر أشكال الجماعات الإنسانية أي أن المجتمع يجب أن تخضع لمبدأ الحركة مع الالتزام بتغيير الذات للوصول إلى غايتها.[3]

ينقسم المجتمع حسب مالك بن نبي إلى قسمين:

1. المجتمع الطبيعي(البدائي):

وهو مجرد تجمع أفراد في مرحلة ما قبل الحضارة و يعرف بأنه لا يملك أهداف أو غايات واضحة سوى تلبية متطلبات العيش كالمجتمع الجاهلي وبعض المجتمعات في أدغال إفريقيا.

---

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص17.

[2] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 105.

[3] عمر كامل مسقاوي، **في صحبة مالك ب نبي**، ج1، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2013، ص 882.

2. المجتمع التاريخي:

وهو المجتمع الذي نشأ على أساس فكرة أو عقيدة كالمجتمع الإسلامي أو الأوروبي أو السوفيتي...، وهو المجتمع الذي ولد في ظروف معينة لذا قام بتعديل بعض صفاته البدائية في إطار عملية التغيير تأخذ الإنسان محور لها وهو تعديل قابل لفكرة الاجتماع والانخراط في شبكة علاقات اجتماعية متجاوز بذلك عالم الأشياء إلى عالم الأفكار في عملية خلق الفكر الذي يساهم في تحديد الأهداف والإبداع.

ويؤكد مالك بن نبي أن المجتمع التاريخي ينشأ بطريقتين:

- المجتمع الذي يولد عن طريق الظروف الطبيعية الخاصة بالوسط الذي يعيش فيه سواء تعرض لتنوع المفاجئ أو أن العناصر المكونة له قد واجهت ظروف وسط طبيعي جديد وهذا هو النموذج الجغرافي الذي ينتمي إليه المجتمع الأمريكي والذي تشكل من خلال الهجرات الأوربية التي شكلت إرهاصات مجتمع يتكيف مع الظروف الطبيعية في القارة الجديدة.
- المجتمع الذي يولد تلبية لأفكار (نموذج الإيديولوجي) وهو المجتمع الذي ينتمي إليه المجتمع الإسلامي والمجتمع الأوروبي والسوفيتي، فما أن يتشكل هذا المجتمع التاريخي حتى يكتسب خاصية الحرية والمسؤولية تجعله يدافع على كيانه الجديد[1] بحيث نجد هذا المجتمع في سعادة لأداءه الوظيفة الحضارية، ويقول مالك " **فإن دفاعه عن أسلوب حياته هو دفاع عن شخصية وعن مبدأ إدماج أفراد في نطاقه... كما يصبح المجتمع بمثابة المعرف بهم**"،[2] ومنه فإن وجود روابط اجتماعية قوية داخل المجتمعات الإسلامية أمر ضرورية في البناء الحضاري.

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 12.

[2] مالك بن نبي،**القضايا الكبرى**، مصدر سابق، ص 84.

إن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده،[1]وهو أننا نصنع التاريخ حينما نقوم بنشاط مشترك والذي يعني تقسم الأدوار من جهة وتكاملها من جهة أخرى أي بناء شبكة العلاقات متينة وقوية ولن تتحقق هذه الفكرة إلا بتغيير نفسية الأفكار للإنسان وتحول فكره من مجرد كائن طبيعي إلى كائن اجتماعي أي من حالة البدائية إلى حالة الاجتماعية، أن تحول الإنسان من فرد تسيطر عليه غرائزه المختلفة إلى شخص ملتزم بواجباته تجاه غيره من البشر،[2] وتنمية القدرة على الانسجام الاجتماعي وإدماج الفرد في جماعة والمشاركة في الأعمال الجماعية كل حسب طاقته من أجل ترقية المجتمع وتأسس شبكة اجتماعية قوية تتحكم في تطور المجتمع،[3]بشرط أن تضمن الجماعة حق الفرد "**فالبنية الاجتماعية لا تبلغ كمالها الخلقي والحضاري إلا بهذه العلاقة التبادلية بين طاقة حيوية مندفعة وضمانات اجتماعية يكفلها المجتمع لأبنائه** "[4]

فالروح الجماعية من المقومات الأساسية لبناء علاقات إجتماعية وهي أهم سمة فقدها المجتمع الإسلامي وغيابها كان السبب في نكسة المجتمع و حضارته وعودة هذه الروح الجماعية شرط جوهري لأية نهضة حضارية [5]

---

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر نفسه، ص28.

[2] محمد العطاف، مرجع سابق، ص 127.

[3] الطيب البرغوت، **موقع المسألة الثقافية من إستراجية التجديد الحضاري** عند مالك بن نبي، ط1، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر، 1993، ص 25.

[4] مولاي الخليفة مشيشي، **مالك بن نبي**، ط1، دار النايا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2012، ص 126.

[5] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، مصدر سابق، ص 225.

عوامل بناء المجـتمع:

تكون مجتمع و ظهوره لحظة انبثاق الحضارة كما يقول مالك وإذا حلت مشكلة الإنسان فإننا وجدنا الحل للمجتمع والحضارة، لأن بداية تكون أي مجتمع تأتي عن طريق تبني فكرة دينية كونها جوهر أي تغير فهي معتقد قوي يحرك الإنسان بها ولها، فيشكل التركيب العضوي التاريخي بين الإنسان والتراب والزمن تربط وتوجه هذا التركيب الفكرة الدينية فهي طاقة روحية قد تكون سلبية وإيجابية تعمل على التأثر على أشخاص وعالم الأشياء والأفكار وبذلك يشكل آليا عالم ثالث هو شبكة علاقات اجتماعية.

تتسابق هذه العوالم لتبني مجتمعا في إطار الحضارة، فالأشخاص بأهدافهم وغاياتهم والأفكار بتوجهها الإيديولوجي والأشياء بوسائلها التنفيذية وشبكة العلاقات الاجتماعية لتطوره و تحفظ كيانه وحركته،[1] ولذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية العالم الرابع ووجوب تضييق مبدأ المآخاة «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعض» وهو حديث يعطي الصورة الدقيقة التي كان عليها المجتمع الإسلامي في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فرغم قلة الإمكانيات المادية من الأشياء إلا أن الروح الإيمانية هي التي كانت تغذي النفوس فتحققت أعظم الفتوح والانتصارات نتيجة تأثير الفكرة الدينية في عقول الناس و نفوسهم.[2] وبتطور الفرد ستتطور الجماعة وإذا تطورت الجماعة سيظهر لنا مجتمع راق في جميع الميادين بفعل الأفكار التي تقوده إلى التحضر والبناء.[3]

فقد كانت الفكرة الدينية بمثابة الوقود، فليس المهم في تغيير الإنسان أن يغير نمط عيشه أو لباسها أو نوعية الأثاث بل المهم أن تحدد له إطاره الحضاري في مجال الثقافة والأخلاق والاقتصاد وكافة المجالات كي يكون مجتمع قوي.

---

[1] البشير قيلاتي، مرجع سابق، ص106.

[2] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 10.

[3] مصدر نفسه، ص16.

المطلـب الرابع: المـرأة

اهتم مالك بن نبي بمشكلة المرآة ورفض دراستها منفردة عن الرجل لأنهما في الحقيقية يعيشان مشكلة واحدة مشكلة الفرد في المجتمع، ودرس هذه المشكلة من خلال النظرة والواقع الاجتماعي للمرأة في بلدان العالم الثالث انطلاقا من أنها لها دور أساسي في تكوين الفرد الفعال والغير فعال وتنسج برعايتها وعاطفتها شبكة العلاقات القومية بين أفراد الأسرة وأنها المؤشر على نجاح أو فشل أعداد الأشخاص[1] وتكوينهم التربوي.

ويدعو إلى الإستفادة من التجربة الأوربية التي قامت بتحرير المرأة ودخولها المجتمع دون تخطيط أو توجيه وقذف بها إلى المكاتب والإدارات في بيئة يمكن أن تكون خطيرة على أخلاقها وكرامتها وتركها في حرية مشئومة ليس لها ولا للمجتمع أي فائدة، مما انعكس سلبا على مستوى العلاقات الإجتماعية، وفقد المجتمع هذا العنصر المهم في بناء الأسرة وجنَت أوربا ثمار هذه الحرية في مشكلات أخلاقية من نوع جديد نتيجة الانحلال الأسري ، وأصبحت المرأة سلعة تجارية تستخدم في الدعايات والأفلام والمجلات من أجل جلب الزبائن.[2]

أما المرأة العربية المسلمة فقد عانت من تسَّلط المجتمع والرجل ومن العادات والتقاليد المجحفة لحقوق المرأة، كان هذا نتيجة لمجتمع سقط حضاريا وحصل فيه سوء فهم وتطبيق للشريعة الإسلامية التي أعطت للمرأة حقوقها ودورا أهم و أخطر من دور الرجل في بناء المجتمع.[3]

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص114، 115.

[2] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص231.

[3] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مصدر سابق، ص ص98، 99.

يقول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن بر الوالدين فقال" أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبيك" وقام بتكريم الأم على الأب لفضلها وتعظيما لدورها في تكوين المجتمع لأنها تتمتع بدور هام في مراحل بناء الحضارة.

وركز الاستعمار الجديد على إفساد المرأة بشتى الطرق والوسائل كمقدمة لإفساد المجتمع وذلك ما ساعدت عليه نفوس المجتمعات المتخلفة والمستضعفة من تقليد أعمى للمرأة الأوربية في مظهرها إذ أصبحت المرأة العربية المسلمة نموذج للمرأة الأوربية في ملبسها ومظهرها وطرق عيشها "**المغلوب دائما مولع بالغالب** "[1]، وبربط المرأة بقيم الجسد المستخدمة في الإعلام بهدف إغراء النفوس الضعيفة وهذا ما أدى إلى احتقار المرأة للعمل الأسري التربوي وتفضيل إمضاء الوقت في الشارع أو العمل بدل البيت، لذلك يرى مالك بن نبي أنه " **يجب أن نعيد للمرأة الكرامة التي وهبها لها الإسلام عندما أنفذها من عادات الجاهلية القاسية، ولكن فلنعد لها كرامتها لنجعل منها السيدة التي توحي إلى الرجل العواطف الشريفة لا الفارسة التي تسيطر عليه** "، فالمرأة هي رباط وحدة المجتمع ومخزن الحنان والحب والعواطف التي ينشأ عليها أي فرد في المجتمع.[2]

ولإصلاح التربية في العالم العربي الإسلامي يجب أولا أن تتغير نظرة المرأة إلى نفسها وتغير نظرة المجتمع لها، وتعطيل دورها في التربية والرعاية هو تعطيل لنهوض المجتمع وتعطيل لطاقة مهمة تساعد بشكل أساسي على البناء الحضاري كونها نصف المجتمع و نصف الرجل لقوله ص«النساء شقائق الرجال» وقوله تعالى« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثر ونساء »[3]

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص232.

[2] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مصدر سابق، ص 100.

[3] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 1.

فهذه المرجعية الدينية تفيد بأن المرأة والرجل يشكلان قطبا الإنسانية، وأن لا معنى لأحدهما دون الأخر نظرا للدور الاجتماعي المنتظر من كل منهما فلاغني للمجتمع، ولا للحياة بدون شق منهما، فبن نبي يراعي مصالح المجتمع ويؤمن بدورهما، ويشرح لنا أن مسألة تحديد المرأة هو تحديد دورها الإجتماعي الطبيعي والوظيفي.[1]

كما دعى إلى دراسة مشكلة المرأة و تعين وسائل حلها في مؤتمر لتصبح قراراته دستورا يلتزم به لتكوين المرأة في العالم الإسلامي.[2]

وإن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات، فإن المرأة قد كونت نوابغ الرجال، ونحن نرى لزْامًا علينا أن يكون تناولنا للموضوع بعيدا عن تلك الأناشيد الشعرية، التي تدعو إلى تحرير المرأة، فالمشكلة لا تتحدد في الجنس اللطيف فحسب، أو في بنات المدن، أو بنات الأسر الراقية، بل هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبله وحضارته.

[1] جرامو لويزة، مرجع سابق، ص 120.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص 121.

المبحث الثالث: أثره في الجزائر بعد الاستقلال

المطلب الأول: مالك بن نبي والعمل الطلابي الجامعي

كان لجهود مالك بن نبي في الجزائر بعد الاستقلال 1962م أهمية كبيرة في نقل الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي والعمل على تطبيق منهجه الإصلاحي معتمدا على الجامعة والنخبة الطلابية في إنتاج تيار فكري إسلامي متميز وتأسيس حركة إسلامية منظمة في الجزائر.

بعد رجوعه من مصر 1963م واستقراره بالجزائر وكله أمل في تجسيد معالم مجتمع متحضر، عين مديرا للتعليم العالي وكلف بإنشاء مركز للتوجيه الثقافي وساهم في تجميع الفعاليات الطلابية وبدأ يمارس نشاطه الثقافي والتنويري بين صفوفها، فحسب الطيب برغوث[1] فإن الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال في حاجة إلى فكر وحماس و تضحية وهو ما لا يقدر عليه إلا النخبة المثقفة الجامعية.[2]

كان توجه المفكر مالك بن نبي الإصلاحي مميز ومختلفا عن خطابات العلماء وشيوخ الجمعية فهو يشترك معهم في الأهداف فقط، أما المنهج فهو نقطة الاختلاف بينهم، بحث أنه يركز على إعادة الفاعلية للعقيدة المسلمة لا أن يعلم المسلم عقيدة يملكها، بالإضافة إلى تصفية الاستعمار من العقول ونبذ التكديس للأشخاص والأشياء[3]، وسيبدأ

---

[1] **الطيب البرغوث:**من مواليد 1951م باتنة، أحد القيادات الفكرية والحركية في جماعة البناء الحضاري ، حاصل على شهادة الليسانس في علم الاجتماع الثقافي ودبلوم الدراسات المعمقة في"نظرية مالك بن نبي في الثقافة" والماجستير في مناهج الدعوة تقلد عدة مناصب في جامعة الأمير عبد القادر، (أنظر الطاهر سعود، مرجع سابق، ص618)

[2] نورة خالد السعد، مرجع سابق ، ص 29.

[3] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 417.

عمله الإصلاحي بتكوين نخبة من المثقفين لنشر الوعي وتثقيف المجتمع ومتخذا منها محور لنشاطه الإصلاحي.[1] إستهل نشاطه الفكري والثقافي في مسجد الكبير بالعاصمة، كما شكل مجموعة تضم نخبة من الجامعيين والباحثين في إطار تنظيم حلقات فكرية يطرح فيها نظرياته الفلسفية حول الحضارة ومشكلاتها، وفي 1967م قدم استقالته ليتفرغ إلى نشر الوعي الفكري الحضاري وبث الفعالية في العمل والسلوك وكذلك تنظيم حلقات أسبوعية في بيته حتى توفي 1973م.

آمن بن نبي بأن جوهر المشكلات الحضارية يكمن في الأفكار، لذلك اتخذ من النخبة المثقفة الجامعية محورا لمشروعه الإصلاحي، لأنها الفئة التي ستقود عملية إصلاح المجتمع وتصفية الاستعمار من عقولهم، بالإضافة إلى أن الجزائر في تلك المرحلة كانت بحاجة إلى إطارات جامعية مؤهلة لتغطية العجز في جميع القطاعات وكان حريص على انتقاء الشباب الجامعي بحسب سيرتهم والتزامهم الإسلامي لحضور حلقاته التي يقدمها في بيته، ولفترة وجيزة تحولت هذه الحلقات العلمية إلى ناد ثقافي رفيع المستوى حيث زادت نسبة الحضور من طلبة وأساتذة من داخل وخارج الجزائر ومسئولين في الدولة، في هذه الحلقات العلمية حرص بن نبي على تلقين طلابه تمارين التحليل والتفسير والمعالجة المنهجية للأفكار والأطروحات المعاصرة ونقد مختلف التيارات التغريبية الزاحفة على المجتمع، ولكن ما لاحظه الطلبة الجزائريين والمتفرنسين هو غياب بعض العناصر الإسلامية الرائدة عن هذه الحلقات أمثال عباس المداني[2] وعبد اللطيف سلطاني[3]

---

[1] مولود عويمر، مرجع سابق،ص 28.

[2] **عباس المدني:** من مواليد 1936م بسيدي عقبة ولاية بسكرة مجاهد ومناضل جزائري متحصل على شهادة الدكتوراه درجة ثالثة في علم النفس التربوي والحاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة انجلترا حول انظمة التعليم في فرنسا وانجلترا و الجزائر من مؤلفاته مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، (المصدر: الطاهر سعود، مرجع سابق، ص614.)

[3] **عبد اللطيف سلطاني:** ولد ببلدية القنطرة ولاية باتنة في 1902م درس في جامعة الزيتونة ومدرس وإمام وخطيب مؤسس مسجد الأرقم ابن الأرقم بالعاصمة، انتقد بشدة توجهات و مواقف بن بلة والشادلي اتجاه الإسلام، من مؤلفاته في سبيل العقيدة الإسلامية، (المرجع نفسه ص 602.)

وغيرهم من اصحاب الفكر التجديدي في الجزائر.[1]

استمرت هذه الحلقات من 1966م إلى 1973م أنار فيها بن نبي عقول النخبة الطلابية وغيرها وانعكست بالإيجاب على الفعاليات الطلابية المتجمعة حوله وكان من نتائجها،فتح أول مسجد بجامعة الجزائر والعالم العربي في سبتمبر 1968م وظهور الطالبات المتحجبات في 1969م [2] وبداية ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي في الجزائر، هذه الجهود التي قام بها المفكر مالك بن نبي لم تسلم من بعض العقبات والصعوبات بالنسبة للجامعة أو الدولة الجزائرية. [3]

[1] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 419. .

[2] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص ص419، 420.

[3] محمد الهادي الحسني، مالك بن نبي لمحات من حياته وقبسات من فكره، مجلة الموافقات، العدد3، الجزائر، ص 284.

المطلب الثاني: تأسيس مسجد الجامعة المركزية

يعد بناء مسجد الجامعة المركزية محطة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر، إذ يعتبر أول مسجد في جامعة الجزائر والعالم العربي الإسلامي، ولم يكن مسجد للذكر وللصلاة فقط بل فضاء يلتقي فيه الطلبة الجامعيين لمناقشة أفكار النهضة وشروطها، كما يعد هذا الانجاز نتيجة تلك الندوات والمحاضرات التي كان يلقيها مالك بن نبي في بيته وكذلك فرض الطلاب مكانتهم في صناعة القرار داخل الجامعة ليتحولوا إلى قوة ضغط على المجموعات اليسارية، وأصبح هذا المسجد يمثل المكان الذي نمت فيه الحركة الإسلامية ومكان يلتقي فيه الإسلاميون الجزائريون 1970م/1980م.

وتأكد الشهادات على أن هذا الفضاء الديني والثقافي هو مهد الحركات الإسلامية الجزائرية، فهو مصنع لإنتاج الشباب المسلم المتشبع بالأفكار الإصلاحية والمنجذب نحو مشروع المجتمع الإسلامي، وقد ظل حتى بعد وفاة مالك بن نبي مركز لمناقشة الفكر البنابوي[1] وإعادة إحيائه.

إن تأسيس هذا المسجد الجامعي كان بمبادرة من طلابه حيث يقول عبد الوهاب[2] حمودة احد تلامذة بن نبي "إننا طرحنا على مالك بن نبي في الحلقات الأسبوعية في داره ....وساهم بقوة في توجيهنا للحصول على هذا المصلى وبمبادرة من أربعة من الطلبة ممن كانوا يحضرون هذه الندوات تم افتتاح هذا المكان ليكون قاعة للصلاة خاصة بالأساتذة و الطلبة.

---

[1] نسبة إلي مالك بن نبي

[2] عبد الوهاب حمودة: من مواليد ولاية سطيف 1939م، درس بجامعة الجزائر تخرج منها بشهادة الليسانس في آداب واللغة العربية ثمّ درّس بها، من تلاميذ مالك بن نبي و كان من ابرز الفاعلين في تنشيط و تنظيم ملتقى الفكر الإسلامي. (أنظر الطاهر سعود، مرجع سابق ص608.)

وإذا كانت البداية بمسجد الطلبة بالجامعة المركزية فإن أبرز ما في جدول أعمال هؤلاء المناضلين هو إنشاء وفتح المساجد في الفضاء الجامعي والعمالي، فمند تأسيس المسجد في الجامعة المركزية 1968م توالت ظاهرت فتح المساجد والمصليات داخل الفضاء الجامعي وأصبح شعارهم " مسجد لكل جامعة، مسجد في كل حي ومكان عمل".[1]

ولم تكن تظهر أي مؤسسة إلا و بها مكان للصلاة، وظل مسجد الجامعة المركزية الذي أسس على ضوء الأفكار البنابوية لفترة طويلة رائدة في نشاطها وحركتها لتتوسع فيما بعد دوره بحسب العناصر الطلابية المتأثرة بحماسة وديناميكية التي أحدثتها ندوات بن نبي، وكذلك بداية عقد الملتقيات للتعريف بالفكر الإسلامي من 1968م إلى 1982م في عدة ولايات، وكذا استحداث وسائل العمل جديدة كي تكون للحركة فاعلية أكثر كالعمل النقابي الجامعي ومعارض الكتاب 1971م.

بعض خصائص المجموعة التي أسست مسجد الطلبة.[2] :

الاسم و اللقب	التخصص	لغة التكوين
عبد الوهاب حمودة	أدب و لغة عربية	مزدوج اللغة
عبد القادر حميتو	مهندس	فرنسية
عبد العزيز بوليفة	صيدلة	فرنسية
محمد جاب الله	طب	فرنسية

[1] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 423-425.

المطلب الثالث: تأسيس جماعة البناء الحضاري

تأسست هذه الحركة في الجامعة الجزائرية على يد الطلاب المتأثرين بفكر مالك بن نبي ومشروعه الإصلاحي حول النهضة والبناء الحضاري وتمثل الحركة ثمار الدروس والحلقات الأسبوعية التي كانت تعقد في بيته، حيث انه وفر المناخ النفسي والفكري والثقافي للطلبة لكي يتمكنوا من قيادة النهضة في الجزائر من بعده، وبث فيهم روح الإحساس بالواجب وأهمية دورهم كنخبة وطنية في إصلاح الأوضاع التي تركها الاستعمار، هذه العوامل لعبت دور كبير في تأسيس حركة البناء الحضاري التي تسعى إلى تجسيد الأفكار البنابوية التي آمنوا بها، وكان في قيادتها شخصيات عادوا من الجامعات الفرنسية والأمريكية بعد الاستقلال منهم عبد الحميد شيكو[1]ومحمد التيجاني بوجلخة [2] والطيب برغوث[3] انخرطوا في صفوف الطلبة الجزائريين واستفادوا من خبرتهم الإدارية والعلمية في مسجد الجامعة المركزية وتتلمذوا على يد مالك بن نبي، لتتأسس أولى الحركات الإسلامية المنظمة في الجزائر، وأصبح لها منذ 1972م كيان منظم واضح المعالم والأهداف والاتجاهات[4]، كما أن لها مؤسساتها وهياكلها الإدارية والقيادية وباشرت الحركة نشاطها و نضالها في الوسط الطلابي والاجتماعي في اغلب مناطق الجزائر وعقد ملتقيات

---

[1] **عبد الحميد تشيكو:** من تلاميذ مالك بن نبي، حاصل على شهادة الدكتوراه في الفيزياء من جامعة أمريكية، أسس رفقة بوجلخة " جماعة البناء الحضاري" ويعتبر من أعمدة تعريب العلوم الأساسية في الجزائر، (المصدر الطاهر سعود، مرجع سابق، ص619.)

[2] **محمد التيجاني بوجلخة:** ثاني زعيم لحركة جماعة البناء الحضاري ولد بواد سوف، سجن 1982م إثر تجمع الجامعة المركزية الذي دعا إليه عباس مدني، حاصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة الأمريكية وله نظريات رياضية سميت بإسمه، يتواجد الأن في الولايات الأمريكية كمدرس في معهد لعلوم الرياضيات،(مرجع نفسه، ص618.)

[3] **الطيب البرغوث:** من مواليد 1951م أحد القيادات الفكرية والحركية في جماعة البناء الحضاري، أصدر 20 كتاب حول الدعوة و أفكر من أهمها " نظرية مالك بن نبي في الثقافة، (مرجع نفسه، ص617.)

[4] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص444.

للتعريف بالفكر الإسلامي وإقامة معارض للكتاب ونشر أفكار النهضة في كل فضاء جامعي وفي المساجد، لم يقم مالك بن نبي بتأسيس أو لم يكن له دور في هذه الحركة حسب ما هو شائع، بل تمثل هذه الأخيرة نتائج أفكاره وأطروحاته الفكرية البناءة التي كان يبثها من خلال حلقاته الثقافية العلمية، وبذالك وفر المناخ الفكري والمعرفي للطلبة ومكنهم من استشعار مكانتهم كنخبة جامعية في عملية التغيير والإصلاح . [1]

[1] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص ص 445.

خاتمة

إنّ المتصفح لفلسفة "مالك بن نبي" في الإصلاح ولنظريته في الحضارة والتجديد، يكتشف عالما فكرياً فلسفياً مليئاً بالمفاهيم وغنياً بالتصورات وفريداً في نوعه وجديداً في العديد من جوانبه، خاصة فيما يتعلق بالحضارة وعناصرها وشروطها وأطوارها، لأنه كان شاهد على عصر الإنحطاط والتخلف التي كانت تعيشه معظم البلاد العربية والإسلامية نتيجة سيطرة الإستعمار على العقول أولا ثم ثم توجيه المجتمع المستعمر إلى ما يخدم مصالحه، مما دفع المفكر الجزائري للتوجه إلى تحليل الواقع وتقصي التاريخ ومراجعة وتفسير ونقد كل ما كتب عن الحضارة والبحث عن أسباب قيامها وسقوطها من أجل إستئناف الإصلاح والتجديد والبناء الحضاري واسترجاع أمجاد الحضارة الإسلامية التي قادت العالم في وقت مضى، وبمنهج علمي استلهمه من إنتمائه الديني وتكوينه العلمي والتقني الذي ميزه عن غيره من المفكرين ومستخدما في ذلك منطق الرياضي وطريقة المؤرخ وتحليل الكيميائي وأسلوب عالم الإجتماع .... من أجل إيجاد حلول ناجعة تؤدي إلى حل المشكل من جذوره، والتنبؤ بمسار الأحداث التاريخية، وسن القوانين والمبادئ التي يقوم عليها بنيان المجتمع وتنظم على أساسها علاقات الأفراد وقطاعات المجتمع.

1. تعد مذكرة المفكر" شاهد للقرن" مصدر مهم في تايخ الجزائر ومن الضروري الاعتماد عليه في الدراسات التاريخية التي تعالج القضايا المعاصرة .
2. ساهمت رحلاته وتنقلاته للعمل أو طلب العلم في التعرف على الكثير من رواد الإصلاح في العالم العربي والغربي وسمحت له أيضا بالتعرف على خصائص والمميزات المختلفة بين المجتمعات وأثر في تكوينه الفكري.
3. تمكن بن نبي من وضع إستراتيجية للبناء الحضاري بعد أن أمضي ربع قرن في الدراسة والتحليل والإستنتاج.

4. كان يبحث عن القوانين والسنن التي تحكم الحركة الإجتماعية والحركة الانسانية من أجل توجيه الإنسان إلى ما يخدمه ويخدم أمته.
5. أعطى بن نبي مفهوم جديد للحضارة من حيث أنها تقوم على الإنسان والتراب والزمن عند تفاعل هذه العناصر تتكون شبكة من العلاقات الإجتماعية ويهتم العامل الديني بتنظيم العلاقة بين هذه العناصر.
6. يرى صاحب الترجمة أنه من واجبنا تأسيس المشروع الحضاري على أساس إنسان راق وفاهم لأفكاره وثقافته ومستقل بها من الإنبهار بالأجنبي ويجب أن يعرف التقدم بأنه الإلتزام بالهوية والسير وفق منظومة القيم التي صاغتها حضارتنا وديننا وثقافتنا.
7. لم يبتعد مالك بن نبي في منهجه وأفكاره عن الإسلام بل شكل من الشريعة الإسلامية قاعدة لأفكاره وأسسا لمؤلفاته.
8. لم يكن بن نبي ضد الإنفتاح على الشعوب الأخرى بل كان ضد الأفكار التي تعتقد أن نظريات وايديولوجيات العالم الغربي هي الحل لتدارك الحضارة وتحقيق التطور والتنمية في العالم العربي.
9. المشروع الحضاري يجب أن يصدر من أرض الأمة العقائدي والفكري والفني والأدبي لأن الحضارة تبيع أشيائها ولا تبيع نفسها.
10. الإستعمار هو نتيجة التخلف الفكري وليس سبب فيه وهو نتيجة لفترة طويلة من الإنهيار في عالم الأشخاص والأفكار.

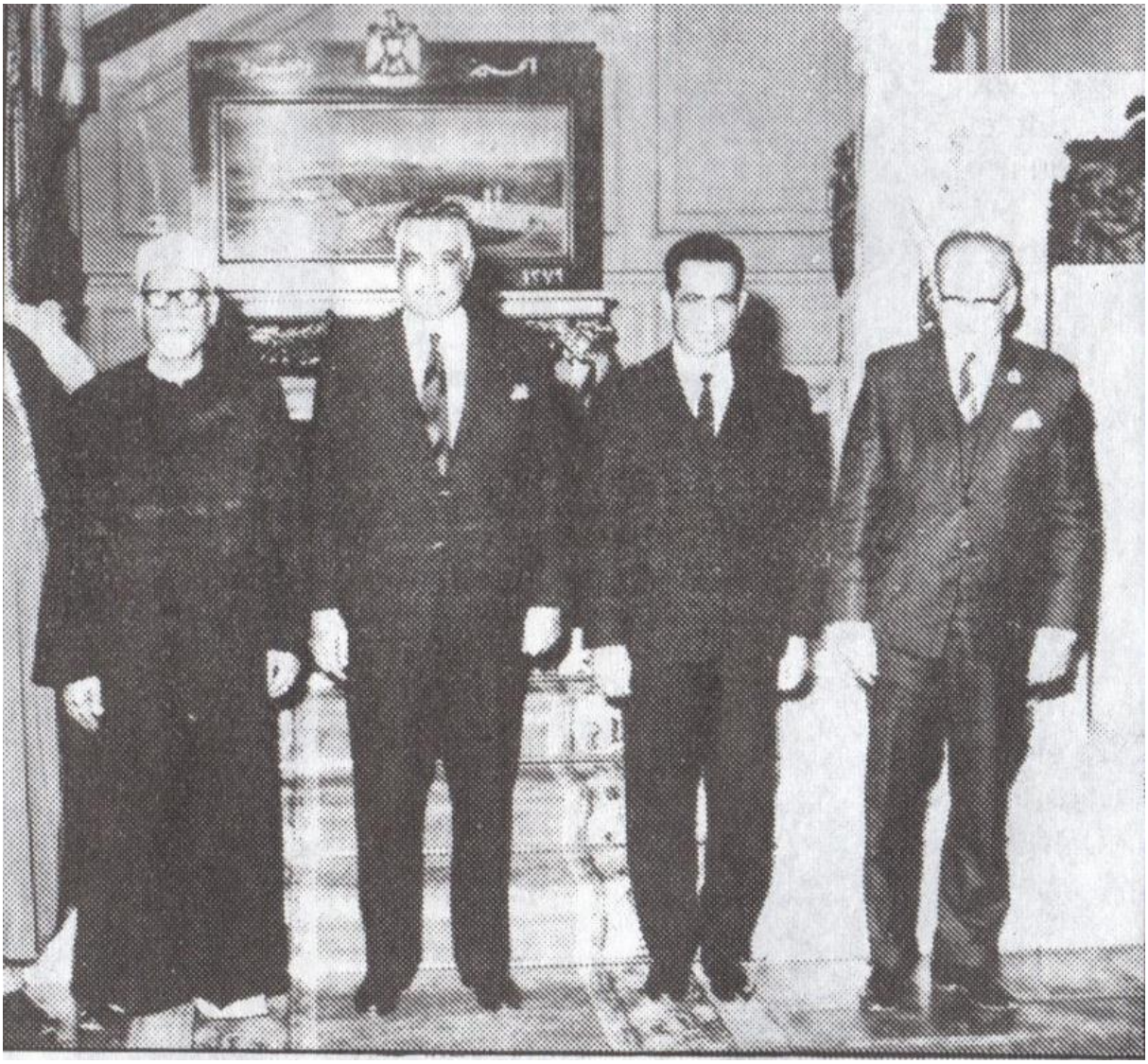

صورة يظهر فيها المفكر مالك بن نبي مع جمال عبد الناصر

المصدر: عبد الحميم، عويس،**الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي، مجلة الفيصل،** العدد 96، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 1993 م.

الملحق رقم 01

مالك بن نبي رفقة ماو تسيتونغ

المصدر: مولمو عويمر ، مالك بن نبي رجل الحضارة ، مرجع سابق ص01

الملحق رقم 02

صورة مالك بن نبي

المصدر: بلجدر بلال ،مفكرة تاريخ الجزائر ،سلسلة المفكرات التاريخية المصورة .2002

الملحق رقم 03

عائشة يوسف المناعي، **مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي**، مجلة المسلم المعاصر، عدد 100، 2003، ص 14.

الملحق رقم 04

مشاركة مالك بن نبي في مؤتمر باندونغ

المصدر: موقع انترنت :www.binnabi.net

الملحق رقم 05

قبر المرحوم مالك بن نبي

المصدر: https://ar.wikipedia.org

الملحق رقم 06

القاهرة في ١ سبتمبر ١٩٥٦

إلى السادة ممثلي جبهة التحرير الجزائري

بالقاهرة

إنني حضرت إلى القاهرة للقيام بواجبين :

أحدهما يخص مهمتي ككاتب يريد نشر كتابه «الفكرة الأفريقية ــ الآسيوية»، وقد يدلكم عنوانه عن صلته بالقضية الجزائرية سواء اعتبرناها من الناحية الداخلية (كتوجيهات تخص الكفاح) أو من الناحية الخارجية (كنشر هذه القضية في المجال الدولي) .

وبخصوص هذا الواجب فقد قمت به بالقدر المستطاع ، حيث أنني وضعت كتابي في أيدي من سيعنى بنشره ، حتى أنني أعتبر نفسي متحرراً في المستقبل من مسؤولية هذا النشر .

وأما الواجب الثاني الذي حضرت من أجله إلى القاهرة ، فهو يتعلق بشخصي كجزائري ساهم في الكفاح ضد الاستعمار منذ ربع قرن ، ويأتي الآن كي يواصل هذا الكفاح تحت راية الثورة الجزائرية .

وأعتقد أنني إذا وجهت داخل الجزائر كممرض عسكري في جبهة القتال ــ أستطيع في نفس الوقت أن أقوم بكتابة تاريخ الثورة الجزائرية على طريق المشاهدة تقريبا .

كما أعتقد أنه يفيد أن أوجه بهذه المناسبة خطاباً مفتوحاً إلى رئيس الوزراء الفرنسي [1] ، حتى يعلم ما هي الأسباب الإنسانية التي تدفع بكاتب جزائري في المعركة .

وتقبلوا تحياتي

مالك بن نبي

المصدر: مالك بن نبي، في مهب المعركة، مصدر سابق، 80، 81.

الملحق رقم 07

1. قائمـة الـمصـادر:

القرآن الكريم برواية ورش

1. مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ترجم عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986.
2. مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط3 ، دار الفكر، دمشق، 1988.
3. مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2000.
4. مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ط4 ، دار الفكر، دمشق، 2000.
5. مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الحديث**، ط1 ، دار الإرشاد، بيروت، 1969.
6. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002.
7. مالك بن نبي، **تأملات**، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002.
8. مالك بن نبي، **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**(دون طبعة)، دار الفكر، دمشق، 1986.
9. مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة :عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط4 ، دار الفكر، دمشق، 1987.
10. مالك بن نبي، **فكرة الإفريقية الأسيوية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط3 ،دار الفكر،دمشق،2001.
11 . مالك بن نبي، **فكرة كومنولث إسلامي**، ترجمة : الطيب الشريف، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2000.
12. مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، ط4، دار الفكر، دمشق، 2002.
13. مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن (الطفل، الطالب)**،ط2 ، دار الفكر، دمشق، 1984.

14. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ترجمة :عبد الصبور شاهين، ط5، دار الفكر، دمشق، 2000.

15. مالك بن نبي، **من أجل التغيير**، ترجمة بسام بكة، عمر مسقاوي، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1995.

16. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002.

17. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، ط2، دار الفكر، دمشق،2002 .

2. قائمة المراجع:

1. الإبراهيمي، محمد بشير، **في قلب المعركة**، دار الأمة، الجزائر، 1994.

2. بن براهيم، الطيب، **مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون**، دون طبعة ،دارمداني، الجزائر، 2002.

3. البرغوث، الطيب، **موقع المسألة الثقافية من إستراجية التجديد الحضاري** عند مالك بن نبي، ط1، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر،1993.

4. بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في قرنين 19و 20،ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

5. بوعزيز، يحي، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية** من 1930 إلى 1954، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.

6. بلجدر بلال، مفكرة تاريخ الجزائر، سلسلة المفكرات التاريخية المصورة ،2002.

7. تركي، رابح،**ابن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر**، ط2، الجزائر،1981.

8. تشيكو، أمنة، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأولوند تونتي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

9.جامعة الامير عبد القادر، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2006.

10. الجفائري، محمد عبد السلام، **مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984.

11. جمعية علماء المسلمين، **سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين**، دار الكتب الجزائرية، نادي الترقي، الجزائر.

12. جيلالي، بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، الجزائر،2010.

رزاقي، عبد الرحمن، **سياسة التسلط و الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1995.

13. زرمان، محمد، **فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ بشير الابراهيمي)**، دار الصحوة، القاهرة،1999.

14. السحمراني، أسعد، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، دار النفائس، بيروت، 1984م .

15. سعد الله، ابو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

16. سعد الله، ابو القاسم،**الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983.

17. السعد، نورة خالد ،**التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الرياض،2007.

18. سعود، الطاهر، **الحركات الإسلامية في الجزائر**، ط1، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2012.

19. طالبي،عمار،**أثار ابن باديس**، ط1،مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، 1968.

20. عبادة، عبد اللطيف، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، ط1، دار الشهاب، باتنة، 1984.

21. عبادة، عبد اللطيف، **فقه التغيير عند مالك بن نبي**، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

22. العبدة، محمد، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد إصلاحي 1905-1973**، ط1، دار القلم، دمشق، 2006.

23. العسلي، بسام، عبد الحميد، **ابن باديس وبناء قاعدة الثورة** ، ط2، دار النفائس ،1983.

24. العطاف، محمد، **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي**، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

25. عويمر، مولود، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطائه الفكري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ،2007.

26. العويسي بن حمد ، عبد الله، **مالك بن نبي حياته وفكره**، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، بيروت،2012.

27. عيسى الحسن، أعظم شخصيات التاريخ دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفية،ط1، الاهلية، الاردن، 2010م،

28. قلاتي، البشير،**هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي و البعث الحضاري**، ط 1، منشورات مكتبة اقرأ، الجزائر، 2007.

29. كاتب، كمال، **أوروبيون أهالي ويهود الجزائر 1830-1962**، ترجمة رمضان زيدي ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر،2011 .

30. كلود، هنري، **الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ،ترجمة محمد عيتاني،** منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 2002 .

31. لحرش، موسى، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي، الجزائر، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.

32. المدني، توفيق أحمد،هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.

مراد،علي، **الحركة الإصلاحية الإسلامية،** بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد بحناني، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

33. مسقاوي، عمر كامل، **في صحبة مالك ب نبي،** ج1،ط 1، دار الفكر، دمشق،2013.

34. مشيشي، مولاي الخليفة، مالك بن نبي، ط1، دار النايا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2012.

35. ملوكي، سليمان، **إشكالية الثقافة والسياسة عند مالك بن نبي.** ط2، دار الفكر، دمشق، 1999.

36. مهساس، أحمد، **الحقائق الاستعمارية والمقاومة،** دار المعرفة، الجزائر، 2007،

37. مطبقاني، مازن صلاح، **جمعية علماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1939،** عالم الأفكار، الجزائر، 2011.

38. ميلاد، زكي، **بن نبي و مشكلات الحضارة** ، دار الفكر، سوريا، دمشق، 1998.

<u>قائمة الكتب باللغة الأجنبية</u> :

1. Abdallah laroui ،**l 'histoire du maghreb** ، tome II ، FRANCE ، 1970
2. Ali merad ،**les reformistes musulmans en algerie de 1925 à 1940** ، ed moution et co la haye ، paris 1967

3. Mahfoud kaddache، **histoire du nationalisme algèrienne questions national politique algèrienne 1919،19**51، cnzd ، alger ،1980
4. Fawzia Bariun, **Malik bennabi: His Life and Theory of Civilization** , Kuala Lumpur, Muslim Youth Movement of Malysia, 1993.

<u>الرسائل و الأطروحات الجامعية</u>:

1. الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد الفلسفة، الجزائر، 1988–1989.
2. حسن موسى محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة إسلامية غزة،2005م.
3. جرامو لويزة، **الإشكالية الثقافية في فكر مالك بن نبي**، رسالة ماجستير، المركز الجامعي عباس لغرور، خنشلة، 2010،2011.
4. سامية جفال، **منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس**، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، جامعة قسنطينة، 2001.
5. عويس،عبد الحميم، الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي ، مجلة الفيصل، العدد 96 دار، الفيصل الثقافية، الرياض، 1993م.

المقالات:

1. عمار الطالبي، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة**، مجلة الثقافة، العدد 38، الجزائر، 1977.
2. عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي**، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد 18، 1973.
3. عبود العسكر، **مشكلات الحضارة بين مالك وخلدون**، مجلة رؤى فصلية، العدد 20،2003.
4. محمد الهادي الحسني، **مالك بن نبي لمحات من حياته وقبسات من فكره** ،مجلة الموافقات، العدد 3، الجزائر.
5. عمار طالبي، **مالك بن نبي والحضارة**، مجلة الثقافة، عدد 18، 1937.
6. عويس عبد الحميم، **الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي**، مجلة الفيصل، العدد 96، دار الفيصل الثقافية، الرياض،1993م.
7. بلجدر بلال، مفكرة تاريخ الجزائر، سلسلة المفكرات التاريخية المصورة ، 2002.

المواقع الالكترونية:

1. www.binbadis.net
2. http://www.youtube.com
3. www.albassair.com
4. www.djelfa.info

فهرس الموضوعات

الصفحات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: حياة مالك بن نبي وسمات عصره

المبحث الأول: الأوضاع في عصر مالك بن نبي

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية والسياسية.....02

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية والاجتماعية.....06

المطلب الثالث: بوادر الإصلاح في الجزائر.....11

المبحث الثاني: حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: مولده ونشأته.....15

المطلب الثاني: رحلاته.....19

المطلب الثالث: تكوينه وإنتاجه الفكري.....31

الفصل الثاني: الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي

المبحث الأول : المشروع الإصلاحي الحضاري عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مشكل الحضارة.....36

المطلب الثاني: مشكل الثقافة.....44

المطلب الثالث: أسس المشروع الإصلاحي.....47

المطلب الرابع: خطوات المنهج الإصلاحي.....55

المبحث الثاني : موقفه من قضايا عصره

المطلب الأول: الثورة.....62
المطلب الثاني: الاستعمار.....65
المطلب الثالث: المجتمع.....69
المطلب الرابع: المرأة.....73

المبحث الثالث : أثره في الجزائر بعد الإستقلال

المطلب الأول: مالك بن نبي و العمل الطلابي الجامعي.....76
المطلب الثاني: تأسيس مسجد الجامعة المركزية.....79
المطلب الثالث: تأسيس جماعة البناء الحضاري.....81

خاتمة.....83
قائمة المصادر والمراجع.....92
فهرس الموضوعات.....99

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
جامعــة محمـد خيضـر – بسكـــرة–
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســم التاريخ

عنــوان المذكــرة

مالك بن نبي ومنـهجه الإصلاحي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب: إشــراف الأستـــاذ:

– محمد الأمين مراكشي – هشام ذياب

السنـــــة الجامعيـــــــة:

2017/ 2016

إهداء

أهدي هذا العمل:

إلى روح أخي الطاهرة

إلى أمي وأبي العزيزين حفظهم الله

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أساتذتنا الكرام

إلى أعز أصدقائي صالح والسعيد وعز دين

إلى كل من حمل على عاتقه روح الإصلاح والتغيير في البلاد

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر:

إلى الأستاذ المشرف ذياب هشام

إلى الأستاذة والأخت شلبي شهرزاد

إلى الدكتور بالقاسم ميسوم

إلى زميلاتي في الكلية وخارجها ندى وريمة ونسيمة وسلسبيلا

إلى كل من قدم لي يد العون لإنجاز هذه الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم }

سورة الرعد، أية 11.

{ ذلك بأنّ الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم و أنّ الله سميع عليم}

سورة الانفال، أية 53.

مقدمة

عرفت الجزائر عبر تاريخها العريق الكثير من العلماء والمفكرين الذين صنعوا أمجاد هذه الأمة، فكان لهم عظيم الأثر في بعث نهضتها الثقافية والفكرية وفي التصدي لمشروع الإستعمار الفرنسي الأوروبي الرامي للقضاء على هوية الشعب الجزائري وكيانه خاصة مع مطلع القرن العشرين، وعودة رواد الإصلاح من المشرق الإسلامي والغرب المسيحي، والذين تسلحوا بالروح الثورية الإسلامية سواء في الفكر أو العقيدة أو السياسة من أجل النهوض بمجتمع أهلكته الظروف القاسية التي فرضها الإستعمار .

ومن أبرز هؤلاء المصلحين مالك بن نبي الذي يعتبر مفكر وفيلسوف ومؤرخ وعالم إجتماعي جزائري، اجتهد في دراسة الأحداث التاريخية العالمية ووضعها تحت المجهر لتحليلها وتفسيرها وإعادة تركيبها وفق ما يخدم المجتمعات الإنسانية وحضاراتها .

ورغم الظروف القاسية التي كانت تحيط به الا انه إستطاع أن يشخص مشكلات راهنة في العالم الإسلامي ومشكلات الحضارة الإنسانية، فقد تمكن إلى حد بعيد من تشخيص العلل التي تسببت في نكبة العالم الإسلامي، وأنتجت حالة "القابلية للإستعمار" منتهجا منطقه العلمي والرياضي، الذي يتميز بالدقة العلمية والصرامة المنطقية، وكان يدعوا إلى الإحتكاك بالواقع المعيشي وإنتاج معرفة من وحي هذا الواقع، كما وقف ضد التكديس الفكري، وضد الحلول التي لا تؤدي إلى تغيير الواقع من جذوره، خصوصا في ظل معركة حضارية قوامها نكون أو لا نكون، و كان دائما يردد " **نُغَيِر أو نُغَيَر** ".

لم يرتبط إن فكر مالك بن نبي بموقع جغرافي معين، فرغم إنتمائه إلى الجزائر إلا أن أفكاره كانت على إمتداد خط طنجا جاكارتا، وحاول أن تكون طروحاته الفكرية بحجم التحديات المحدقة بالعالم الإسلامي وترجمها في سلسلة من الكتب تحت عنوان مشكلات الحضارة، تعرض فيها إلى قضايا النهضة والحضارة، وأبرز فيها أهم شروط النهضة

ودواعي التحضر، وعمل على كشف وحصر أسباب التخلف، والإنحطاط، وعمل أيضا على تحديد العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارات وأفولها، وإجتهد للوصول إلى منهج علمي دقيق لإصلاح الحالة التي وصل إليها العالم الاسلامي من ركود فكري، وتخلف إجتماعي وتبعية إقتصادية.

أسباب اختيار الموضوع:

- الفضول الذي لازمني منذ إطلاعي على بعض أفكاره في مرحلة البكالوريا، والرغبة في معرفة أسرار فكره وأبعادها والتي لم تتحملها الحكومة الجزائرية بعد الإستقلال.
- الإهتمام العالمي بأفكار مالك بن نبي وأطروحاته الحضارية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، وإهمال هذا الفكر في بلده الجزائر.
- التعرف على منهجه الإصلاحي المميز عن غيره من المناهج الإصلاحية.
- الإستفادة من مؤلفاته التي ليس لها تخصص معين، حيث نجد في كتاب واحد مزيج فكري من علم النفس، والفلسفة، وعلم الإجتماع، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والشريعة، فقد قام بدراسة كل ما يخدم تطور الإنسان ومجتمعه.
- حاجة المجتمع إلى تبني أفكاره وتطبيقها في الجزائر والعالم العربي.

إشكالية البحث:

ركز مالك بن نبي على تحديد الوضعيات، وطرح المشكلات بدقة، وتحليل الواقع مستخدما منهجه الإصلاحي، وقدم نظرياته حول الحضارة والثقافة، وأسباب السقوط الحضاري، والإنحطاط الإجتماعي، والإقتصادي، والسياسي، وغيرها من المشكلات لمعالجة الأوضاع التي يعيشها العالم المتخلف بصفة عامة والعالم العربي الإسلامي بصفة خاصة منتهجا أسلوبه العلمي المتميز، فالمنهج الإصلاحي لديه يستند إلى رؤية فلسفية اتجاه الإنسان، والحضارة، والتاريخ، وإلى فكر اجتمعت فيه الأصالة مع التجديد،

فكان مشروعه خطة للنهضة، وللصحوة، وللحضارة، ونموذجا من نماذج الفكر الإصلاحي لا يستهان به، يدل على نظرة ثاقبة، وقدرة عالية على الطرح، والتحليل، والنقد، والإستنتاج، مايبين أن هذا المنهج متكامل بين عناصره، ومنسجم مع ما تقتضيه مستلزمات البناء التاريخي والنهضة الحضارية، ومن هنا سنحاول معالجة الإشكال التالي:

فيما تتمثل ملامح وآفاق المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي ؟

الأسئلة الفرعية :

1- من هو مالك بن نبي ؟ وماهي أهم المحطات التي مر بها في حياته ؟

2- ما هي الأوضاع التي شهدتها الجزائر والعالم في عصره؟

3- ماهو مفهوم الحضارة والثقافة في نظره ؟

4- كيف كان موقفه من بعض قضايا عصره ؟ وماهي أهم نشاطاته الفكرية في الجزائر؟

منهج البحث :

نظرا لطبيعة الموضوع ومن أجل الوصول إلى الهدف المنشود والإجابة عن هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع، اعتمدت على بعض المناهج، أذكر منها

1.المنهج التاريخي الوصفي: اعتمدت على هذا المنهج من أجل رصد ووصف الأحداث والوقائع التاريخية و محاولة ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا خلال دراستنا للمراحل التي مر بها المفكر (1905-1973)

2. المنهج التحليلي: من أجل دراسة و تحليل و تفسير الظواهر الاجتماعية التاريخية من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وطبيعة العلاقات القائمة بينها بهدف الوصول إلى تحليل علمي متكامل.

وصف لأهم المصادر والمراجع المعتمدة :

تنوعت المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز هذا البحث وقد تميزت من حيث أهمية في علاقتها بالموضوع المطروح ما بين الدراسات، والمقالات، والكتب، ومن أهم مصادر البحث، والتي تمثل الإنتاج الفكري الرئيسي لمالك بن نبي :

1.مذكرات شاهد القرن: نشر الجزء الأول بهذا العنوان باللغة بالفرنسية، وترجمه إلى اللغة العربية السيد "مروان القنواتي" عام 1969، وأضيف على هذا العنوان في الجزء الثاني الذي نشر عام 1970، اسم الطالب لكونه يخص مرحلة الدراسة في فرنسا ابتداء من عام 1930.

ومذكرات شاهد القرن هي صورة عن نضال مالك بن نبي الشخصي في طلب العلم والمعرفة أولا، والبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية، ونتائجها السلبية المختلفة، وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وآثاره ثانيا، ماعكس الصورة الحية لسلوك المحتلين الفرنسيين أنفسهم في الجزائر ونتائج سياستهم ووجوهها المختلفة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

2.شروط النهضة: ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة وبابين، خصص الباب الأول للحضارة و التاريخ ، والباب الثاني للمستقبل ويتحدث عن العناصر الثلاثة وهي: الإنسان والتراب والزمن، وعن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة وعن توجيه الثقافة والتوجيه الأخلاقي والجمالي وعن توجيه العمل ورأس المال، إضافة إلى الحديث عن مشكل المرأة في المجتمع العربي والغربي ويعتبر من اهم كتب مالك بن نبي، صدر هذا الكتاب سنة 1948م.

3.ميلاد المجتمع: في هذا الكتاب تطرق مالك بن نبي لموضوع العلاقات الإجتماعية وكيف لها أن تبني مجتمعا في وجودها وتأدية دورها في أكمل وجه، وعلى العكس من ذلك تقوم بتهديم المجتمع وتصدع ركائزه الأساسية من خلال فقدان روحها في المجتمع.

أما عن أهم المراجع التي ساعدتنا في هذا البحث :

1.كتاب مالك بن نبي مفكر إصلاحي للمؤلف اللبناني أسعد السحمراني الكتاب الوحيد الذي استخلصت منه أسس المنهج الإصلاحي ومشكلة المرأة و الثورة في فكر مالك بن نبي.

2.كتاب مالك بن نبي مفكر إجتماعي و رائد إصلاحي للمؤلف المصري محمد العبدة الذي شرح بالتفصيل حياة مالك بن نبي منذ نشأته وأبرز أهم توجهاته الفكرية والحضارية.

3.كتاب مالك بن نبي حياته وفكره للمؤلف عبد الله بن حمد العويسي تطرق الى دراست حياته و شرح نظرياته في الحضارة والثقافة والمجتمع ...وعطاءه الفكري.

4.كتاب الحركات الإسلامية في الجزائر للمؤلف الطاهر سعود ويتضمن أثار مالك الإصلاحية في الجزائر بعد الإستقلال وتأثيره الفكري على النخبة الجامعية .

أما عن المذكرات والأطروحات الجامعية التي إعتمدنا عليها:

1. حسن موسى محمد العقبي **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، وهي مذكرة تحتوي على مجموعة كبير من أطروحات بن نبي كالشروط النهضة والاستعمار والاقتصاد في العالم العربي المعاصر

2.مذكرة الأخضر شريط **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي.**

3.بإضافة إلى المقالات في كتاب مالك بن نبي والفقه الحضاري الصادر عن جامعة قسنطينة، وبعض المجلات التي تناولت مواضيع فكرية للمفكر مثل مجلت الموافقات ومجلة السلم

صعوبات البحث:

بالنسبة للصعوبات التي واجهتني لإنجاز هذه المذكرة فهي كثيرة و لكن بعون الله وتشجيع أساتذة التخصص تمكنت من تذليلها بجمع المادة العلمية اللازمة لهذه الدراسة المعاصرة والتي مازالت قيد البحث من طرف المفكرين والباحثين نظرا لصعوبة فهم أفكارها وتشعبها، فالقارئ لكتب مالك بن بني يجب أن يتوفر لديه رصيد هام من المعلومات في العلوم الانسانية والإجتماعية كي يتمكن من فهم أطروحات وتوجهات هذا المفكر، ومن الصعب أن نستخراج منها دراسة تاريخية بحتة إذ لا يمكننا فصل العلوم عن بعضها (العلوم البينية) وهذا ما أدى بنا إلى الإستعانة بمراجع في علم الإجتماع والتاريخ والفلسفة والسياسة وكان من الصعب تحديد منهجه الإصلاحي في ظل كثافة المعلومات و تنوعها.

خطة البحث:

بعد جمع المادة العلمية ودراستها وتحليلها قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين ومقدمة وخاتمة وملاحق وفهرسة للموضوع.

- ❖ الفصل الأول: حياة مالك بن نبي و سمات عصره قُسم هذا الفصل إلى مبحثين :
  - المبحث الأول تطرقنا فيه للأوضاع السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية التي عرفتها الجزائر، إضافتا إلى الأحداث التي شهدها العالم في فترة حياته(1905-1973) ونختم المبحث ببوادر ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر.

- المبحث الثاني: درست فيه نشأة ومراحل التعليم وعناصر الثقافة التي أحاطت بالشخصية المدروسة في كل من قسنطينة وتبسة ثم سفره إلى فرنسا وله ثلاث مذكرات عرض فيها تفاصيل حياته (الطفل، الطالب،الكاتب) ثم تعرضت إلى رحلاته من أجل الدراسة والعمل في الجزائر وفرنسا ومعاناة التي صادفته، إضافة إلى أهم عوامل التي ساهمت في تكوينه الشخصي والفكري، لتأتي مرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة الإنتاج الفكري منذ 1946.

❖ الفصل الثاني هو بعنوان الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي وقُسم إلى ثلاث مباحث:

- المبحث الأول يحتوي على أهم مطالب البحث المتمثلة في دراسة القضايا التي ركز عليها مالك بن نبي حول الحضارة والتخلف والثقافة والإصلاح والتجديد و دراسة سبل معالجة واقع العالم العربي الإسلامي المتخلف وتحقيق الاستقلال الفكري والمادي عن العالم الغربي متبع في ذلك منهجه العلمي الدقيق والذي يظهر في الأسس وخطوات المشروع الإصلاحي لمالك بن نبي .
- أما المبحث الثاني فهو موقف مالك بن نبي من بعض القضايا التي شغلت باله في عصره وقدم تحليلات علمية وشواهد تاريخية وقام بتحديد معنى الثورة وأبرز جذورها وأسبابها ومنهجها الذي تعتمد عليه لتحقيق التغيير ألمنشود كما أوضح مفهوم الاستعمار باعتباره نتيجة القابلية للاستعمار ونتيجة طبيعية للإنحطاط الحضاري الذي عاشته الأمة، بإضافة إلى تحديد الشروط التي يقوم عليه المجتمع الحضاري من خلال تحوله من مجتمع بدائي إلى مجتمع تاريخي، وكذلك دراسة مشكل المرأة وتأثير الفكر الغربي على تفكيرها ولباسها وطريقة عيشها.

- المبحث الثالث يلخص الجهود الفكرية لمالك بن نبي بعد عودته إلى الجزائر ومزاولة نشاطه من مركز النخبة في الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة ودور أفكاره وتأثيرها في طلابه والذين سيواصلون نشر رسالة بن نبي بعد وفاته.
- وأنهينا الدراسة بخاتمة تتضمن حوصلة لأهم النتائج والاستنتاجات المتوصل عليها.

الفصل الأول: حياة مالـك بن نبي وسمات عصره

المبحث الأول: الأوضـاع في عصر مالـك بن نبي

المطلب الأول: الأوضاع الإقتصادية والسيـاسيـة

المطلب الثاني: الأوضاع الثـقافيـة والاجتماعية

المطلب الثالث: بوادر الإصـلاح في الجزائر

المبحث الثاني: حيـاة مالك بن نبـي

المطلب الأول: مولـده ونشـأته

المطلب الثاني: رحـلاتــه

المطلب الثالث: تكـوينـه وإنتـاجه الفكـري

المبحث الأول: الأوضاع في عصر مالك بن نبي

المـطلــب الأول: الأوضاع الإقتصادية والسياسية

عانى الجزائريون من وضع صعب عاشوه تحت الاستعمار الفرنسي، الذي مارس كافة أنواع التعذيب والقتل وضروب الإفقار والتجهيل والفرنسة ضد أي جزائري، فالمدارس مغلقة والفقر يصل لحد المجاعة و المراض تحصد الصبيان والشيوخ، أما ما يسمي بحقوق الإنسان من تفكير وقول وتقرير المصير فهي كلمات يسمعها المواطن الجزائري دون أن تحقق مدلولها.

1-الأوضــاع الإقتصاديــة:

مع مطلع القرن العشرين كانت الجزائر تعيش في حالة اقتصادية مزرية، فالإنتاج كان منخفض والمستوى المعيشي لا يوصف إلا بالمتردي، وهذا راجع إلى الحروب التي كانت تسود العالم وفي مقدمتها الجزائر.

لقد شجع الإستعمار الفرنسي منذ حلوله بالجزائر سياسة الإستيطان وجلب المعمرين من فرنسا وأوروبا من أجل خلق مجتمع أجنبي داخل الجزائر لتثبيت وجودها وفتحت أبواب الهجرة أمام الجزائريين والأوروبيين، وقامت بمصادرة الأراضي والعقارات وممتلكات الجزائريين ومنحها للمعمرين، مما أدى إلى تدهور الحالة الإقتصادية[1] بسبب إنتزاع الأراضي الزراعية والفلاحية وهناك من أرغموا حتى على بيع أراضيهم نتيجة إرهاقهم بالضرائب،[2] وممارسة سياسة الأرض المحروقة التي تبنتها الإدارة الفرنسية وتحويلها إلى أراضي الكروم لإنتاج الخمور.

---

[1] مازن صلاح مطبقاني، **جمعية علماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939**، عالم الأفكار ،الجزائر، 2011، ص41.

[2] يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية** من 1930م إلى1954م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص 45.

لقد كانت فرنسا تتبع أبشع الوسائل والإستراتيجيات لتحقيق أهدافها حتى ولو كانت على حساب الأنفس والأرواح.[1]

أما الصّناعة فلم تتطور كثيرا منذ بداية الإحتلال، فالمجتمع الجزائري كان يحتوي على نوعين نوعين من الصّناعة هما:

- ✓ صناعة تقوم بإنتاجها النساء في المنازل من المفروشات والملابس التقليدية.
- ✓ صناعة يقوم بإنتاجها الرجال الحرفيون من أواني منزلية وفخارية وأحذية وملابس.

ولكن بسبب غزو المنتجات الرخيصة للأسواق أصبح الكثير من الحرفيين يغلقون ورشاتهم ومحلاتهم.[2]

أما التجارة فقد كانت حكرا على المستوطنين واليهود، وسيطرت الرأسمالية الإستعمارية على السّوق الجزائرية،[3] وفتح المجال للبضائع الفرنسية لتحتل الأسواق، وللقضاء على الإنتاج المحلي، تحكمت الإدارة الفرنسية في الصّادرات والواردات وفي فرض الضرائب على التّجار الجزائريين، ولم يكن للمواطن الجزائري إلّا أن يعمل لدى الأراضي التابعة لفرنسا ليقتات منها، وهو أمر محتوم لأن الجزائر كانت منطوية إلى قسمين: قطاع حديث تابع لفرنسا وقطاع تقليدي محلي، هذا الإنقسام أثَّر في العائلات الجزائرية، وكانت عائلة بن نبي واحدة من العائلات التي قرّرت الرّحيل إلى مناطق أخرى.[4]

---

[1] سليمان ملوكي، **إشكالية الثقافة والسياسة عند مالك بن نبي**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1999. ص16.

[2] أحمد مهساس، **الحقائق الاستعمارية و المقاومة**، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص79، 80.

[3] يحي بوعزيز، مرجع نفسه، ص 63 .

[4] عبد الرحمن رزاقي، **سياسة التسلط والحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954**،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،2002 ،ص66.

2- الأوضـاع السيـاسيـــة:

إن الفترة التي قدر لبن نبي العيش فيها (1973.1905)، شهدت تحولا كبيرا على أصعدة عديدة، خاصة على الصّعيد السّياسي، بحيث كان العالم في هذه الفترة في حالة تغييرات عميقة مسّت النظم والهياكل الأساسية والإدارات والحكومات والتي انعكست على حياة الشعوب في الفترة الممتدة من (1973.1905)، حيث شهد العالم تحولا كبيرا تمثل في الإنقسامات التي تمخضت عن الحرب العالمية الأولى 1914، والتي استمرت وتوسعت أكثر في الحرب العالمية الثانية 1939م ولقد بلغت الأزمة حدّها، فلم يستطع العالم أن يمضي في طريقه إلى أبعد من هذه الحدود، لأنه كان قد استنفذ قدرا كبيرا من زاده في الحرب العالمية الأولى ولم يستطع أن يتقوَّت خلال الحرب العالمية الثانية في إطار تلك النظم البالية والتحولات الجغرافية والسياسية التي قسّمت العالم إلى كتلتين متميزتين:

- ✓ كتلة الشعوب المتحضرة التي تسكن أوروبا وأمريكا.
- ✓ كتلة الشعوب المستعمرة التي تسكن أسيا وإفريقيا. [1]

وفي هذه الفترة أيضا شهد العالم بروز المنظمات والمؤسسات الدولية، مثل عصبة الأمم المتحدة هذا على الصّعيد الخارجي، أماعلى الصّعيد الداخلي وفي الجزائر فقد ظهرت العديد من الحركات والأحزاب الوطنية السياسية وفي مقدمتها حركة الأمير خالد الذي أسّس وحدة النواب،وأعلن عن إصدار جريدة الإقدام، لكنها لم تدم طويلا حين تمّ حل الحركة ونفي الأمير الخالد، بعدها توالى ظهور الحركات مثل "حركة نجم شمال إفريقيا 1926م لمصالي الحاج خارج الجزائر وقد ضمّت حوالي 4000 منخرط، وتأسيس الحركة الإصلاحية على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي 1931م بنادي الترقي في العاصمة، والتي

[1] مالك بن نبي، **الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ**، دار الفكر، دمشق، 1979، ص29.

كانت تهدف إلى الدفاع عن مقومات الشعب الجزائري وإصلاح العقيدة من الخرافات(الدين الإسلامي ،اللغة العربية)، وقد سخّر الإستعمار الفرنسي كل الوسائل للحد من نشاطها الديني و السياسي، إلا أنَّ جهود الجمعية عرفت صدى واسع في الجزائر والتي انطلقت من مدينة قسنطينة نحو ربوع الوطن متخذة من المدارس والصحف والمجلات وكذلك المحاضرات والندوات وسيلة لمخاطبة الشعب الجزائري وتحضيره نفسيا وفكريا لقيادة الثورة ضد الإستعمار الفرنسي، ففي 1954/10/4م أصدرت الجمعية بيان موجه للشعب الجزائري من القاهرة بصوت محمد بشير الإبراهيمي يدعو فيه إلى الإلتفاف حول الثورة وحمايتها .

أما الإستعمار الفرنسي فكانت له إجراءاته الصّارمة والقمعية والتي من بينها تقسيم الجزائر إلى ثلاث ولايات منذ سنة 1870م (الجزائر، وهران، قسنطينة) من أجل ضرب وحدة المجتمع، وكذلك سن القوانين التعسفية كقانون الأهالي و الاندماج....وكانت تهدف إلى إلحاق الجزائر بفرنسا، لكن المجتمع الجزائري ظل محافظا على ثقافته ودينه وقاوم ضغط السّياسة الإستعمارية ولم يخضع لها، وتعتبر أحداث 8 ماي 1945م والمجازر التي حدثت فيها نقطة تحول في تاريخ الجزائر، وتأكد الجزائري بضرورة العمل العسكري وأن فرنسا لا يمكن إخراجها إلا بالقوة، وكانت 10 سنوات كافية لتكتل كل الأحزاب السياسية والحركات الوطنية تحت راية جبهة التحرير الوطني والإعداد لتفجير الثورة [1].

[1] جرامو لويزة، مرجع سابق، ص ص 57،56 .

المطلــب الثالـــث: الأوضــاع الثقــافيــة والإجتمــاعيـــة

عند احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م كان على رأس أولوياتها السّياسية القضاء على الثقافة الإسلامية وممارسة سياسة التجهيل لتسهيل السيطرة على الشعب، والعمل على برمجته بما يخدم مصالحه الإستعمارية ونشر الثقافة الفرنسية في الجزائر وجعلها مقاطعة فرنسية، وهذا ما ظهر لنا في برامج الأحزاب الوطنية الّتي كانت تدعوا إلى سياسة الإدماج، وإتبعت فرنسا سياسة تعليمية تهدف إلى تهديم الثقافة الوطنية للجزائر وإدراج اللّغة الفرنسية بدل العربية،[1] وجاء هذا المخطط لتدمير اللّغة العربية الّتي تمثل الأساس الأول للهوية الجزائرية، لأنهم كانوا على علم بأهميتها ودورها الكبير في حفظ كيان الأقوام،[2] ولأجل تحقيق هذا المخطط شنَّت حربا وحشية على اللّغة العربية من أجل إعاقة انتشارها وطمسها من خلال تعطيل التعليم وغلق الطرق المؤدية إليه بتطبيق سياسة التجهيل، والّتي تعد من أخطر السياسات في تاريخ الجزائر، حيث خلّفت نتائج وخيمة على مستقبل الشعب الجزائري، لذلك توجه الإستعمار إلى الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية الّتي كانت تموّل المدارس والمتعلمين في الجزائر، وأصدرت قرارات بغلق المدارس الخاصة بتعليم اللّغة العربية والكتاتيب، إلّا أن بعض المساجد ظلّت تمارس مهامها التعليمية بشرط حفظ القرآن بلا تفسير وإنتشر القساوسة للدّعوة إلى المسيحية بتشجيع من الإستعمار للقضاء على الدين الاسلامي حيث يقول القائد الفرنسي لافجري :[3] " **أخر أيام الإسلام هذا الركام من العقائد المنحطة والمتوحشة، قد**

---

[1] هنري كلود، **الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ترجمة محمد عيتاني**، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 2002م، ص 58.

[2] أحمد توفيق المدني،**هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص 95.

[3] كاردنال فرنسي: 1825، 1892م،عمل كأستاذ بجامعة السربون وكان من الناشطين في حركة التبشير عن طريق التعليم في الجزائر.

إقتربت الجزائر، في عشرون عاما لن يكون فيها إله غير المسيح "[1]

كما حطّمت المصادر الثقافية الموجودة في الجزائر بتخريب المكتبات وتمزيق الكتب وسرقة الوثائق التاريخية، كما يذكر أبو القاسم" **إن الوثائق والمخطوطات كانت من أول ضحايا الإحتلال والغزو**".[2]

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ الحكومة الفرنسية قامت بفتح مدارس التعليم اللّغة الفرنسية في 1883، ولم يكن للجزائريين الحظ في الدراسة فيها مقارنة بأبناء المعمرين (الأوروبيون واليهود)، وفي سنة 1955 كانت المدرسة الفرنسية تضم 150 ألف تلميذ لا يوجد فيها إلا 20 ألف مقعد للجزائريين،[3] فإن التّعليم في الجزائر لم يكن من أجل تحسين المستوى ونشر الثقافة، بل كان يهدف إلى إذابة المجتمع الجزائري في بوتقة الثقافة الفرنسية وتبديل أحوالهم الشخصية، حيث يقول أحد القساوسة "**إن الهدف بكل بساطة هو تبديل اللغة بلغة ودين بدين وعادات بعادات**"[4]، هذه العبارة تلخص مبادئ وأهداف التربية الإستعمارية وأسس التعليم في ظل الاستعمار، والنتيجة هي أنه إذا نظرنا إلى الواقع الجزائري في تلك الفترة وجدنا البلاد قد أصابها الجمود الفكري والتخلف الثقافي وفقد الناس الإتصال بالتاريخ نتيجة فقدان مراكز التعليم بالكتاتيب والمدارس الّتي كانت منتشرة في كل مكان، أما الفلاحون فقد تركوا مرتعا للخرافة والجهل والبدع وقد كانت اللّغة العربية أكثر المقاومات الوطنية معاناة.[5]

---

[1] Mahfoud kaddache، **histoire du nationalisme algèrienne questions national et politique algèrienne 1919-19**51، cnzd ،alger ،1980 ،p30 .

[2] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 89.

[3] أحمد توفيق المدني، مرجع نفسه، ص97.

[4] بسام العسلي عبد الحميد، **ابن باديس وبناء قاعدة الثورة**، ط2، دار النفائس، 1983، ص 47 .

[5] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 60.

النهضة الفكرية:

كان للمشرق العربي دور بارز في بعث بوادر الإصلاح والتجديد في الجزائر، لاسيِّما الصّحافة الّتي كانت أداة اتصال بين المشرق والمغرب، والوسيلة الأكثر نفاذا وتأثيرا في أوساط المثقفين المتحمسين للوطنية والأصالة المعادية للتغريب، خاصة بعد عودة الشباب الذين أكملوا دراستهم في جامع الزيتونة والقرويين وفي الأزهر وفرنسا و جامعات الأخرى مثل مالك بن نبي وعبد القادر المجاوي والطيب العقبي وبن شنب وأبو القاسم الحفناوي وعبد الحميد بن سماية وعبد الحميد ابن باديس وابن الموهوب، وكثير ممن سعوا إلى بث روح الإصلاح في الجزائر. [1]

وقد عُرفت بكتلة المحافظين الّذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الإصلاح في إطار الشخصية الجزائرية القديمة وإعتبروا منذ البداية أن الأمّة الجزائرية تمثل كيانا منفصلا تماما عن فرنسا وبدا واضحا تأثير الشرق في أفكار هذه الفئة من خلال ما رأوه في سياسة الأمم وثقافاتها وحضاراتها، مما أدى إلى تبني الأفكار الإصلاحية منذ مطلع القرن العشرين،[2] فبدأت تظهر التكتلات والأحزاب للمثقفين الجزائريين بهدف التغيير ونشر الوعي وتأسس جمعية العلماء المسلمين ولنشر أفكارها أصدرت صحف ومجلات منها " جريدة الجزائر، المنقذ، الشهاب، الإصلاح، صدى الإصلاح ، السنة، الشريعة، الصراط، البصائر" وأنشأت المدارس العربية الإسلامية إلى ما يزيد عن 170 مدرسة تحت إشراف الجمعية[3]. وظهرت كذلك النوادي والجمعيات الثقافية "الجمعية التوفيقية 1911" " نادي صالح باي" و"الجمعية الراشدية"، حيث كانوا يسعون إلى تثقيف وتطوير الأفكار العلمية والإجتماعية وعقد محاضرات علمية وأدبية والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون،[4]

---

[1] رابح تركي، **ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، ط2، الجزائر، 1981، ص 106 .

[2] Ali merad ،**les réformistes musulmans en Algérie de 1925 à 1940** ، ed motion et co la haye ، paris 1967، p 160.

[3] ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 138.

[4] أحمد المدني، مرجع سابق، ص144.

ومنه فإن هذه الأحزاب والجمعيات هي الّتي كانت تقوم بتعليم وتثقيف الشّعب الجزائري، وزرع بذور مناهضة الإستعمار في عقولهم ورفضه .

الأوضـــاع الاجـتـماعيـــة:

1 – تفكـك الروابـط الاجتماعيـة:

حرص الإستعمار الفرنسي على القضاء على القبيلة (العرش)، وقامت على أنقاضها القرى والمداشر والبلديات والدواوير بسبب خلق الملكية الفردية وانفصال الفرد عن الجماعة وتحول المجتمع من نمط الحياة الجماعية القائمة على الوحدة العشائرية ذات التماسك والتضامن القرابي إلى جماعة اصطناعية قائمة على الفردية وظهرت مجموعة من الدواوير المتباعدة والمستقلة عن بعضها البعض تتحكم فيها الإدارة الفرنسية.

2 – الهجــرة:

عندما فشلت المقاومة الشعبية في صدّ العدوان الفرنسي على الشّعب الجزائري، ولم يصبح للقبائل الجزائرية القدرة على مقاومة الظلم والاستبداد، توجّه جموع الجزائريين نحو الدّول المجاورة (تونس، المغرب وطرابلس ثم إلى المشرق) احتجاجا ورفضا للإستعمار وازدادت الهجرة خاصة عام1867م–1868م بسبب المجاعة والفقر، وهذه الصّورة تلّخص الحالة الّتي وصل إليها المجتمع الجزائري حيث لم تكن له القدرة حتى على تأمين احتياجاته الضرورية.[1]

3 – البـطالــة:

بعد تفكك القبيلة و ضرب وحدتها و نزع الأراضي الّتي تمثل القاعدة المادية لأي نشاط في الريف ،ظهرت اليد العاملة البطّالة و أصبح الراعي مترحل بلا مواشي و الفلاح بلا محراث ولا أرض [2]و طرد الفلاحون إلى شعاب الجبال المحيطة بالمدن أو العمل

[1] الطاهر سعود، **الحركات الإسلامية في الجزائر**، ط1، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2012، ص 216.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر،1986 ، ص 82.

كخماس بالأرض الّتي كان سيّدا عليها، إضافة إلى فرض الضرائب الثّقيلة ،[1]هذه السياسة المنتهجة من قبل الإستعمار الفرنسي أدّت إلى النزوح الريفي نحو المدن والتجمعات الحضارية بحثا عن العمل والعيش الكريم والهجرة إلى أوروبا وخاصة فرنسا.

4 – الأمــراض و الأوبئــة :

من بين المشكلات الإجتماعية المختلفة الّتي عانى منها الجزائريون ظاهرة الأوبئة والأمراض الّتي تفشّت بسبب تكديس السّكان في المناطق الضيّقة والنائية، حيث أصبح أكثر من نصف مليون يسكنون الأكواخ في حالة إجتماعية يرثى لها .[2]

إن الجزائر عرفت الكثير من الأوبئة مثل وباء الطّاعون الّذي ظهر في القبائل وإقليم العاصمة (1888م–1893م) والكوليرا 1884، والملاريا [3] 1904، التيفيوس 1867م–1920م وتزامن هذه الأوبئة مع هجمات الجراد والقحط والجفاف .[4] وأمراض أخرى لم يعرفها المجتمع الجزائري إلّا بعد احتلاله من طرف فرنسا والّتي لم تحرك ساكنا تجاه هذا الوضع ولم تتخذ أيّ إجراء للحدّ من انتشارها أو القضاء عليها بل استغلت الفرصة لإحداث الخلافات والفتن بين الطّرق الصّوفية وتشجيع النعرات المذهبية وممارسة المهمّة التبشيرية والتّنصيرية.[5]

---

[1] Abdallah laroui ،**l 'histoire du Maghreb** ، tome II ، FRANCE ،1970، P 124 .

[2] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 44.

[3] كمال كاتب، **أوروبيون أهالي ويهود الجزائر1830–1962**، ترجمة رمضان زيدي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2011، ص ص 187، 188.

[4] يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص46.

[5] بسام العسلي، مرجع سابق،ص 37.

المطلب الرابع: بـوادر الإصـلاح فـي الجـزائـــر

يرجع أغلب المؤرخين البداية الحقيقية لظهور حركة الإصلاح الدّيني في الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عند زيارة الشيخ محمد العبدة للجزائر سنة 1903م[1]، وإذا اعتبرنا هذا التاريخ كبداية للحركة الإصلاحية في الجزائر، فإننا نجد أنها ظهرت في وقت متأخر جدا بالمقارنة مع تاريخ الحركات الإصلاحية في المشرق العربي الإسلامي، ويرجع هذا التاريخ إلى الظروف الّتي كانت تعيش فيها الجزائر في ظل الإستعمار الّذي منع عنها جل الموجات الثقافية والعلمية الحضارية، فتسببت في الجمود الفكري والتخلّف الثقافي وفقد الناس اتصالهم بماضيهم نتيجة لغلق المدارس والكتاتيب الّتي كانت منتشرة في كل البلاد، أما الفلاحون فقد تركوا مرتعا للخرافات والبدع الجهل، وكانت اللّغة العربية أكثر المقومات الوطنية معاناة.[2]

لقد أثرت زيارة الشيخ محمد عبده وخلقت جوا حماسيا للجزائريين، ذلك بنصائحه وتوجيهاته للعمل على إصلاح الأوضاع المتردية في الجزائر وإرجاع فعالية الدّين الإسلامي فيها، خاصة مع وجود نخبة مثقفة عادت من المشرق متحمّسة للوطنية والأصالة معادية للتغريب، فقد كان لهم برنامج وطني متكامل قوامه المساواة بين المواطنين ومعارضة التجنيس و حرية التعليم ورفض القوانين التعسّفية الّتي فرضت على الشّعب الجزائري، وساهم هؤلاء المصلحون في بعث اليقظة الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين عن طريق التدريس في الكتاتيب وفتح المدارس من جديد، ومن أشهر هؤلاء المصلحين عبد القادر المجاوي،

[1] علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية**، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد بحناني، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 37 .

[2] ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1900**، ج 2، مرجع سابق، ص 60.

ابو القاسم الحفناوي[1] وعبد الحليم سماية [2]وحمدان بن لونيسي ومولود بن الموهوب وغيرهم ممن تحمّسوا لأفكار الأفغاني ومحمد عبده[3] ورشيد رضا،[4]وعرفت هذه الفئة بالكتلة المحافظة الّتي حملت على عاتقها مسؤولية التغيير وإصلاح المجتمع الجزائري والنهوض به.[5]

لقد مثّلت هذه الكتلة اللّبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر، فدعت إلى إصلاح العقيدة الدينية والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية ونشر العلم والمعرفة، ورغم تصدّي الإستعمار الفرنسي لهؤلاء المصلحين والعمل على اضطهادهم وإفشال مخططاتهم، إلاّ أن الحركة تمكنت ولو بشكل نسبي من نشر الوعي واليقظة، وهذا ما خلق نوعا من الإستعداد النفسي للتغيّر ومناهضة الأفكار الإستعمارية الّتي تسبّبت في تخلف المجتمع ومهد الطريق لظهور الأحزاب السياسية.

ومن بين العوامل التي أدّت إلى ظهور العمل الإصلاحي في الجزائر هي تلك الهجرات الّتي تعرف من خلالها روّاد الفكر الإصلاحي على ما يجري خارج الجزائر خاصة

---

[1] **أبو القاسم الحفناوي 1852م/1942م:** ولد بقرية الديس ببوسعادة، تقلد منصب التدريس 1897م، ثم صار عضوا في هيئة تحرير (جريدة المبشر)، يعتبر من العلماء التأثرين بالنهضة العربية في المشرق، كما اهتم بإحياء التراث العربي القديم، اشتهر بتنوع معارفه الدينية والدنيوية، كما كان باحثا محققا وأستاذا وإماما مفتيا، من أشهر كتبه، تعريف الخلف برجال السلف، (بصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق ن ص 56.)

[2] **عبد الحليم سماية 1866م/1939م:** من عائلة تركية عريقة في الجزائر العاصمة تنتمي إلى أتراك بلدة أزمير، ترجع في نسبها إلى حسن خوجة، نشأ تنشئة دينية، تتلمذ على يد الشيخ حسن بوشاشية، كما اخذ العلوم العربية والفقه والتوحيد على يد والده، واخذ علوم الحساب والفرائض والفلك على يد أبي القاسم الحفناوي، ومن أثاره " حضارة الإسلام و فلسفته " " الكنز المدفون و السر المكتوم ".(بصفصاف و آخرون، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 149.

[3] **محمد العبده 1849م/ 1905م:** داعية و مجدد إسلامي مصري، وأحد ابرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث ومن دعاة الإصلاح وأعلام النهضة الإسلامية، ومن أهم كتبه رسالة التوحيد والعروة الوثقى.

[4] **راشيد رضا 1865م/1935م:** ولد بلبنان توفي بمصر، مفكر وصحفي وأديب لغوي ومن أهم رجال الصلاح في العالم الإسلامي واحد تلاميذ الشيخ محمد العبدة.(المرجع نفسه، ص185.)

[5] زرمان محمد، **فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ بشير الابراهيمي)**، دار الصحوة، القاهرة، 1999، ص25.

في المشرق لأنها كانت في فترة برزت فيها الحركات الإصلاحية والتحررية نتيجة التأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني.[1]

عرفت الجزائر بفعل هؤلاء المصلحين انتشارا كبير للأفكار التجديدية والمناقضة لما كان الإستعمار يروّجه لتضليل الأمّة، ومن الشخصيات البارزة الّتي كان لها وزن كبير في الفعل النهضوي الإصلاحي في الجزائر وخارجها عبد الحميد ابن باديس والذي هو يمثل رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، فمنذ عودته من المشرق عمل على إحداث نهضة فكرية وعلمية واسعة في الوسط الإجتماعي الجزائري الّذي كان يعيش في ظلام الجهل والبدع والطرقية،[2] واستطاعت حركته الإصلاحية في الجزائر أن تصنع جيلا كانت له الرّيادة في المحافظة على مقومات الأمّة لتثور ضد الإستعمار وعملائه، وركّز على تثبيت التعاليم الإسلامية في نفوس الجزائريين ودعا إلى النهضة الّتي تقوم على أساس التربية والعلم، مع ضرورة إصلاح التعليم "**ومحاربة الجمود والأوضاع المزرية، وبهذا المنهج يمكن ترقية الإنسان المسلم في حدود إسلاميته الّتي هي حدود الكمال الإنساني**"[3]

تأكد ابن باديس بأن التغيير يبدأ من داخل الفرد وينعكس ذلك على السلوك، ثم يظهر التغيير في العلاقات وسائر النشاطات الاجتماعية، وإصلاح النفوس والأعمال هو شرط إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري ومن أجل تحقيق أهدافه أسّس في سنة 1931م جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكانت أول مؤسسة ثقافية اجتماعية تسعى إلى الإصلاح والتغيير وإيقاظ المجتمع من ضعفه وركوده، حيث يقول الإبراهيمي: "**ورأيت بعيني النتائج**

[1] سامية جفال، منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، جامعة قسنطينة ، 2001م، ص19.

[2] جمعية علماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب الجزائرية، نادي الترقي الجزائر، ص ص48.47.

[3] عمار طالبي، أثار ابن باديس، ط1، مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص62.

التي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم ابن باديس ...وأن هذه الخطوة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في جزائر"[1]

[1] محمد بشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة**، دار الأمة، الجزائر، 1994، ص 216.

المبحث الثاني: حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: مولده ونشأته

تزامنت ولادة مالك بن نبي مع التطورات الحاصلة في الجزائر والعالم العربي الإسلامي المعاصر، فبعد سقوط الدولة العثمانية سيطر الاستعمار الأوروبي على معظم الدول التي كانت خاضعة لها كاالجزائر، مابين حربين عالميتين، ففي سنة 1905م كانت معظم الدول العربية تعاني من ظاهرة الاستعمار والتبعية له، مما نتج عنه ظهور مقاومة في شكل حركات جهادية وأخرى إصلاحية في الجزائر والعالم العربي، سعت إلى رفع الظلم والجهل، فمنهم من توجه لحمل السلاح والجهاد، ومنهم من اتخذ من القلم وسيلة لرسم مسار التغيير والإصلاح، كل حسب رأيته ومنهجه ومنهم المفكر الجزائري مالك بن نبي وككل المفكرين الثائرين كانت المحنة فرصة بن نبي كي يكتب عن المحن كلها ،عن الثقافة التي ضاعت والمستقبل الذي يبدوا مجهولا ، وتزوير التاريخ وتحريفه، وأفق المقاومة وشروط النهضة.

ولد المفكر مالك بن ساعد بن نبي بمدينة قسنطينة مساء الأول من جانفي 1905م[1]، وهو ابن الحاج عمر بن الحضر بن مصطفى بن نبي واشتهر باسم "مالك ابن نبي "،[2] في كنف عائلة فقيرة كأي أسرة جزائرية في فترة الاستعمار الفرنسي، وانتقل مع عائلته إلى تبسة، حيث كان للاستعمار أثره البارز على الشعب الجزائري من خلال مظاهر الفقر والبؤس والدمار، حيث يذكر بن نبي في مذكرته أنه لما بلغ السادسة والسابعة من العمر، وكان وضع

[1] إستنادا إلى نسخة من شهادة الميلاد صادرة من بلدية قسنطينة تحت رقم 09،محرر في 2003/04/20م.

[2] مولود عويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته و عطائه الفكري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2007، ص 11.

عائلته قد ساء ماديا، فجده لأبيه باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب.[1]

وكانت قصص جدته هي المدرسة الأولى والتي كانت تروي له القصص من الواقع المعيشي آنذاك، حيث تعلم منها القيم الفاضلة والأخلاق الإسلامية وما كان يمارسه الاستعمار الفرنسي من جرائم حيث يقول: "**تعلمت من جدتي أن الصدقة والعطف على الفقراء من أهم الأخلاق التي اعتنى بها الإسلام** "[2]

زاول دراسته الابتدائية في وسطه الجديد بتبسة بالمدرسة الفرنسية وفي ظل الظروف القاسية التي كانت تعيشها الأسرة، اضطرت الأم أن تخرج إلى العمل لتوفير قوت العائلة ، وأدخل مالك إلى الكتاب من أجل حفظ القرآن الكريم، ويذكر أن نفقة معلم القرآن لم تكن متوفرة للأسرة، مما جعل أمه تقدم سريرها الخاص لتغطية نفقات تعليمه القرآن آنذاك حيث يقول:" **ولا أزال أذكر أنها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص ".**

كان لعائلة مالك اتصال بالصوفية حيث كان عمه يأخذه معه إلى الزاوية العيساوية، ما أثَّر على تكوينه الديني منذ نشأته، حيث لاحظ أنه بعد صلاة العشاء في المسجد يتفرق الأهالي إلى فئات، فئة تتجه نحو المقهى إلى القصاص الذي يروي قصص ألف ليلة وليلة وفئة أخرى تبقى في المسجد لتستمع إلى درس الإمام، وقد كان وعيه يتكون تحت تأثير التيارين.[3]

---

[1] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن(الطفل و الطالب)**، ط 2، دار الفكر للطباعة والنشر، سوريا، دمشق ، 1984، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص 16-19.

[3] المصدر نفسه، ص ص 32، 33.

استغرق تعليمه بلكتّاب أربع سنوات فقط ثم دخل المدرسة الابتدائية بتبسة، وبعد تفوقه رجع إلى مسقط رأسه قسنطينة سنة 1920 لإتمام دراسته الثانوية، وبدأت مرحلة جديدة من خلال تنقلاته بين قسنطينة وتبسة واتسعت مدركاته وحبه للإطلاع والثقافة واتصاله بالشيخ عبد المجيد[1]، أستاذه في اللغة العربية والنحو والذي غرس فيه حاسة النقد الاجتماعي كما تأثر بالسيد مارتن في إثرائه بالمفردات اللغوية وغرس فيه روح التعبير وحبب إليه المطالعة.[2]

وتميزت هذه الفترة بإطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي وشعراء العصر الأموي والعباسي وكتاب أم القرى ومقدمة ابن خلدون، ولكن أكثر ما أثّر فيه هو كتاب "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا ورسالة التوحيد لمحمد العبدة حيث يقول مالك: " أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري منذ تلك الفترة".

لقد تأثر مالك بن نبي في هذه المرحلة بالمناخ الثقافي الذي كان سائد في الشرق الجزائري وبالحركة الإصلاحية التي كان يقودها الشيخ ابن باديس[3] والشيخ العربي التبسي والطيب العقبي[4] وبدأ الناس يلتفون حول هذه الحركة التغيرية الجديدة وتركوا أماكن اللهو والمقاهي، وقد تعرف بن نبي على بعض تلاميذ ابن باديس **"لقد شعرت بأنني وهؤلاء في اتجاه فكري واحد"**،[5] ورغم أنه من أشد المعجبين بفكر ابن باديس إلا أنه لم يسبق له وأن

---

[1] **الشيخ عبد المجيد:** مدرس في معهد تكوين المعلمين مختص في قواعد اللغة العربية والنحو والصرف والشعر

[2] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص48.

[3] **عبد الحميد ابن باديس:** ولد 1889م بقسنطينة إمام ومصلح ومجدد ، رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر أسس جمعية العلماء المسلمين واصدر العديد من الصحف باسم الجمعية كالشهاب والصائر وإقدام توفي في سنة 1940م.(المصدر: منتدى فيض القلم، الأعضاء المؤسسون لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر،http://9alam.Com ، 2016/05/20، 00:30)

[4] **الطيب العقبي:** من مواليد سيدي عقبة ببسكرة1889م، من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، كان له دور كبير في نشو الوعي الثقافي والعلمي في المقاهي والنوادي وفي المجال الصحافي ونشر مقالاته في جرائد الجمعية، توفي في سنة 1960.(المصدر السابق)

[5] محمد العبدة، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي 1905-1973**، ط1، دار القلم، دمشق، 2006، ص ص 26، 27.

حادّثه بل اكتفى بالنظر إليه وهو ينتقل إلى مكتبه، تخرج مالك بن نبي من المدرسة الثانوية كعون إداري سنة1925 وقرر البحث عن العمل أو نشاط يمارسه ولكن بدون فائدة، فتوجه رفقة صديقه إلى فرنسا، فكانت أول رحلة يقوم بها المفكر في حياته العملية والاستكشافية لمعرفة ثقافة المجتمع الغربي.[1]

[1] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص 131.

المطلب الثاني : رحـــــلاتــه

أولا: رحـــلاته الداخليــة1927م:

1. رحلته إلى تبســة:

عين مالك بن نبي كموظف في محكمة تبسة، وكان القانون الداخلي للمحكمة يقضي بالقيام برحلات حول المناطق التابعة لها، وهذا ما خلق الفرصة الملائمة لمالك بن نبي للتعرف عن كثب على الريف وطبيعة سكانه، وكانت سعادته كبيرة عندما يستلزم الأمر المبيت في تلك القرى والمداشر، فقد شاهد الإنسان الجزائري وهو على فطرته وطيبته ولم تصل إليه يد الاستعمار نظرا لما وجد في أهلها من الصفات الفاضلة والإيمان بالقضاء والقدر ومكارم الأخلاق وانتشار البساطة في جميع مظاهر الحياة في مجتمعه.[1]

2. رحلتـــه إلى أفلــو[2]:

تم تعيين مالك بن نبي في محكمة آفلو بعد أن تم تخييره من طرف النيابة العامة بين ثلاث مناطق اختار منها منطقة آفلو، وعند وصوله إليها اكتشف كرم وطيبة سكانها وحسن معاملتهم، الأمر الذي ساعده على التأقلم في فترة إقامته، حيث كان في ضيافة ابن غرور وفرح كثيرا بتواجده في هذه المنطقة التي لم تصل إليها أيادي الاستعمار، ويصفها في قوله: **"في زاوية لم يقتحمها الاستعمار بعد كأنما قد لاذت بها البلاد لتضع في حرزها الأمين كنوزا من لطف المعشر والكرم والإخلاص وحب الخير والبراءة".**[3]

---

[1] عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي حياته و فكره**، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، بيروت، 2012، ص 82.

[2] تقع أفلو في جنوب العاصمة الجزائرية وهي قريبة من منطقة الأغواط

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 172، 173.

ومن أهم الخصال التي يتميز بها سكان هذه المنطقة الجود والكرم، فعندما تمر رحلة من رحلات المحكمة ونتفادى مضربا من مضارب هؤلاء القوم كان صاحب المضرب يغضب غضبا شديدا ويصر على النزول عنده ويقدم الغذاء "**والناس في المدن لا يستطيعون فهم هذه العقلية أو ذلك النبل الذي يجري في عروق البدوي**"،[1]وخشي بن نبي من وصول الاستعمار إلى هذه المنطقة وتخريب هذا المتحف الجميل في الغرب الجزائري، فكان يحذر من الاستعمار ويستحث الأهالي على امتلاك الأراضي وزراعتها.[2]

وما عاب المنطقة الروح المرابطة التي سيطرت عليها، إلا أن مالك بن نبي قد استاء من المظاهر الجاهلية من ممارسات الطرق الصوفية التي كانت تستغل جهل وسذاجة السكان الذين يستقبلون المرابطون، ويقدمون لهم أموال طائلة من زكاة وأتوات وقرابين، فالمرابطون يجمعون زكاة سائر المنطقة التي هي كثيرة الغنى والكرم معا، وفي تلك الفترة 1927م لم يصل إلى آفلو صدى الإصلاح والذي كان منتشرا في الشرق الجزائري، وأول من أدخل جريدة الشهاب إليها هو مالك بن نبي والتي كانت تصل من المشرق. [3]

وعندما أخذ مالك بن نبي إجازة من عمله أراد الذهاب إلى تبسة، وعند عودته قرر المرور بقسنطينة والاتصال بالشيخ عبد الحميد ابن باديس ليحدثه عن مشكلة الأراضي في أفلو، وقد كانت المرة الأولى التي يقابل فيها ابن باديس ويتحدث إليه، ولكن هذا الأخير لم يكترث لكلامه ولم يدعوه إلى الجلوس في مكتبه ولم يمنحه الاعتبار والاهتمام الذي كان ينتظره، وربما هذا راجع إلى زي ولباس مالك بن نبي الأوروبي، فعاد بن نبي محبطا ويشعر

[1] محمد العبدة، مرجع سابق، ص ص 30، 31.

[2] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 74، 75.

[3] المصدر نفسه، ص ص 180، 181.

بخيبة أمل كبيرة و لكن هذا الموقف لم يكن ليجعله يتوقف عن التفكير والتساؤل في كل ما يحيط به من أمراض المجتمع ومشاهدة الواقع في المدن والقرى الجزائرية.[1]

3. رحلته إلى شلغوم العيد[2] :

تعتبر منطقة شلغوم العيد مركز كبير للاستعمار ويخضع سكانها لقانون المستعمر، إلا أن مالك لم يجد الترحيب الذي وجده في آفلو، فقد كان يقيم في قاعة وثائق المحكمة ويأكل في مطعم يهودي، أما عن سوء الأخلاق والآفات الاجتماعية فقد كانت منتشرة في هذا المجتمع، حيث أن الثقافة كانت تتجلى في شرب الخمور ولعب الورق وحكايات القصص الخرافية وخلو المنطقة من المظاهر الإنسانية.

بعد فترة من تعلمه في محكمة شلغوم العيد توترت العلاقة بينه وبين كاتب المحكمة الذي كان يحتقره ولا يرد عليه حتى السلام مما أدى بمالك إلى تقديم استقالته والعودة إلى تبسة. [3]

[1] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص 184.

[2] وهي قرية جزائرية تقع جنوب غرب قسنطينة وتتبع دائرة قسنطينة.

[3] المصدر نفسه، ص ص 190-193.

ثانيا: رحلاتـــه الخارجية 1930:

1. رحلته إلى باريس 1930:

كانت هذه رحلته الأولى للتعرف على العالم الخارجي في سنة 1925م، فبعد عودته إلى الجزائر وفشله في الحصول على عمل مناسب قرر في سبتمبر 1930م السفر إلى فرنسا، فوجد نفسه في وسط الحضارة الغربية وبدأ يتأمل في هذا المجتمع ويكتشف جوانبه الإيجابية والسلبية ومعرفة الغرب من الداخل، وزار متحف الفنون والصناعة حيت رأى الجانب التقني للحضارة وجانب الفاعلية عند الفرد الغربي.

تقدم بن نبي للمشاركة في معهد الدراسات الشرقية، لكنه رُفض لأسباب سياسية لا لأسباب علمية كونه جزائري مسلم وعربي، ومن هنا بدأ يدرك خفايا اللعبة الاستعمارية، [1] وتعرف في باريس على منظمة سياسية تدعى منظمة الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين[2] ، فانتسب إليها، وكان أول عضو مسلم في هذه المنظمة، تعرف من خلالها على الثقافة الفرنسية وأدرك أبعادها السلوكية، وكان لها دور في التنمية الفكرية للمفكر مالك ابن نبي.[3]

كانت له الرغبة في دراسة العلوم التطبيقية والرياضيات فأشار إليه أصدقائه أن ينتسب إلى مدرسة اللاسلكي لدراسة الهندسة الكهربائية، فتقدم للمدرسة بطلب الانخراط ووافقت على انتمائه لها بدرجة مساعد مهندس وفتح له عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف ويتسم فيه الفرد بميزات الضبط والملاحظة، ورغم انشغاله بدراسته إلا أنه

---

[1] عبد اللطيف عبادة، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، ط1 ، دار الشهاب، باتنة، 1984، ص35.

[2] **جمعية الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين:** والتي كان يديرها هنري نازيل وزوجته والتي تضم شباب مهتمين بالتبشير المسيحي، هذا الاحتكاك بالجمعية المسيحية سمح له بالاطلاع على هذه الديانة وأثرها على الإنسان المتدين المسيحي. (المصدر: نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص58)

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 218، 219.

لم ينسى مشكلات العالم الإسلامي، خاصة بعد اندماجه في **الحي اللاتيني** الذي كان يتواجد فيه مجموعة من الطلبة العرب منهم دعاة الإصلاح من شمال إفريقيا والناشطين في العمل السياسي والتحرري، وتعرف آنذاك على طالب اسمه "حمودة بن ساعي"،[1] الذي كان يعد رسالة الدكتوراه حول الغزالي، وقد كان لهما نفس التوجه الذي يخص دور الإسلام في النهوض بالشعوب الإسلامية، واطلع مالك بصحبته على الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ وكانت تعقد جلسات بينهما وتناقش فيها مواضيع في علم السياسة والدين والاجتماع.[2]ويقول بن نبي بأنه مدين لحمودة بن ساعي باتجاهه ككاتب مختص في شؤون العالم الإسلامي.[3]

أراد مالك بن نبي تحصين نفسه في الوسط الغربي لأن الحياة في باريس لم تكون مأمونة العواقب من الناحية الأخلاقية وهو ما زال شاب أعزب يقول " **هكذا استقبلتني باريس بوجه بناتها الطائشات الكاسيات العاريات العارضات لزينتهن**".[4]

تعرف على فتاة مسيحية وتزوجها في 1931م وهداها الله إلى اعتناق الإسلام وسمّت نفسها خديجة، وقد كان لها دور في تهيئة الأمور النفسية والمادية لمالك ليتفرغ للدراسة والمناقشات الطويلة مع ابن ساعي، ويصف مالك زوجته أنها كانت نعم الزوجة ونعم العون له، ووفرت له كل سبل الراحة، مما جعله يتفرغ للنشاط مع زملائه الطلبة، ويتابع عن كثب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر، وتعمل على مؤازرته، كما كانت تشجعه على

---

[1] **حمودة بن الساعي**: تعرف عليه مالك عندما كان طالب في قسم الفلسفة بجامعة السربون واحد تلاميذ المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسنيون ، يتميز ابن الساعي بذكاء كبير واطلاع واسع على الثقافة والسياسة وقضايا العالم الإسلامي(المصدر: نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص101)

[2] البشير قلاتي، **هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي و البعث الحضاري**، ط 1، منشورات مكتبة اقرأ، 2007، ص 19.

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص ص 235، 236.

[4] المصدر نفسه، ص 204 .

مواصلة عمله في المنزل وتتابع خطواته في ذلك وتسر بما تراه من إقباله ونشاطه في مواصلة تحصيله العلمي. [1]

بدأ مالك ابن نبي بإلقاء المحاضرات، وأول محاضرة له كانت بعنوان " لماذا نحن مسلمون " كان لها صدى كبير في أوساط الطلبة لدرجة أن نشاط مالك لفت انتباه الأوساط الأمنية الإستعمارية.

وفي عام 1932 تعرف عن قرب على " المهاتما غاندي"[2] الزعيم الهندي أثناء زيارته لفرنسا وأعجب بأفكاره التحررية وكذلك تعرف على فكر" شكيب أرسلان" الإصلاحي. [3] كان واثقا تماما من أن كل إصلاح اجتماعي هو أصل وأساس كل تغيير وصب جهوده في بث روح الوعي الفكري و الثقافي في أوساط الطلبة. وأطلق عليها اسم الفاعلية والتي يعتبرها جوهر كل نشاط حضاري، وكانت هذه نتيجة حياته في تلك المنظمة المسيحية والمجتمع الفرنسي الذي شاركت فيه زوجته وأمها الريفية، كما انتقد تلك الخطب والمظاهرات المطالبة بالحقوق كأسلوب سياسي للعمل التحرري واعتبره ثرثرة وسذاجة لأنه كان ينادي بتحقيق الوحدة المغاربية وأولوية الواجب على الحق[4].

وفي صيف 1932 زار مالك الجزائر، والتي لاحظ فيها تحولات في مستوى الوعي والفهم والأفراد، وقد جلب معه زوجته خديجة، وازداد إعجابه لما رأى الناس تتكلم العربية بطلاقة، وأن الحّمال الذي كان يخدّمه ينتمي إلى نادي الترفيه، فأدرك أن موجة الإصلاح

---

[1] الطيب بن براهيم، **مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون**، دون طبعة، دار مداني، الجزائر، 2002، ص ص28، 29.

[2] **لمهاتما غاندي**: سنة 1869-1948موهو زعيم هندي اشتهر بالمقاومة السلمية وفلسفة اللاعنف ووقف ضد التمييز العنصري ضد الأفارقة.(أنظر:عيسى الحسن، أعظم شخصيات التاريخ دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفية،ط1، الاهلية، الاردن، 2010م، ص314.)

[3] **شكيب أرسلان**: 1946/1869، كاتب وأديب ومفكر عربي لقب بأمير البيان من مؤلفاته الحلل السندسية، لماذا تأخرا المسلمون و تقدم غيرهم.(أنظر:عيسى الحسن، نفس المرجع، ص155)

[4] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص22 .

للشيخ العقبي قد وصلت الجزائر "**أيقنت أنَّ هذا التغيير البسيط ستتلوه تغييرات جذرية لا محالة ولو لم أكن أتصورها بعد، ولم تكن تتصورها في ذلك الحين الإدارة الفرنسية**"[1]

شاهد مالك بن نبي تغييرات اجتماعية لم يعتدها من قبل، وتيقن أنَّ موجة الإصلاح قد انتقلت من قسنطينة إلى الجزائر ومنها إلى كافة ربوع الوطن، ومنه فإنَّ جهود الشيخ ابن باديس بدأت تأتي ثمارها، ولاحظ أيضا الحلقات الدراسية التي كان يقدمها الشيخ الطيب العقبي، والتي كان يحضرها أهالي مدينة الجزائر من عمال ميناء وصغار صيادي الأسماك والتجار.... [2]، إضافة إلى أن مظاهر الطرقية فقدت مكانتها في المجتمع.

ظل مالك بن نبي ينتقل بين الجزائر وفرنسا لاستكمال الدِّراسة، مكثفا مجهوداته وفي نفس الوقت راصدا للتطورات الفكرية والسياسية الحاصلة في أوروبا والعالم الإسلامي والجزائر.[3]

وفي صيف 1934م فُجع مالك بوفاة أمه قبل تخرجه بسنة واحدة، إلا أنَّ هذا لم يؤثر على إرادته فأتم دراسته وتخرج في عام 1935م مهندسا كهربائي، ولكن السلطات الفرنسية حرمته من استلام شهادته الجامعية.

كانت رغبته كبيرة في الحصول على عمل والسفر إلى بلاد الشرق، قاصدا الحجاز التي كانت تعاصر الحركات الإصلاحية والتي ترسخت فيها الحركة الوهابية وإلى مصر وإيطاليا وألبانيا لكن محاولته باءت بالفشل، وسعَت فرسا إلى إغلاق كل سبل العيش في وجهه سواء في فرنسا أو الجزائر أو المستعمرات وأصبح العمل حلما مستحيلا لدى شاب مثقف ومولع بالعلم ومثقل بهموم وطنه وأمته وأصبح همه الوحيد هو العمل في أيِّ مجال لتأمين رغيف العيش،[4] فاشتغل ككاتب في بلدية Drue ومدرسا في تعليم الكبار في السن من العمال

---

[1] مالك بن نبي، مصدر سابق، ص256 .

[2] محمد العبدة، مرجع سابق، ص 35.

[3] المرجع نفسه، ص 37 .

[4] زكي ميلاد، **بن نبي ومشكلات الحضارة**، دار الفكر، دمشق، 1998، ص45.

الجزائريين وتعليمهم مبادئ اللغة وبعض شؤون الدين الإسلامي فمنعته فرسا، وككل المفكرين الثَّائرين كانت المحنة فرصة بن نبي كي يكتب عن المحن كلها، عن الثقافة التي ضاعت والمستقبل الذي يبدوا مجهولا، وتزوير التاريخ وتحريفه، وأفُق المقاومة وشروط النهضة.

في هذه الفترة إندمج مالك في العمل السياسي بعد أن ظهر حزب نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج، وقد حضر بن نبي اجتماعات الحزب وكان يهاجم في كتاباته التدخل السياسي وخاصة في الجزائر، حيث تحولت الانتخابات إلى زرْدة[1] بتعبير مالك يحوم فيها الأتْباع حول الزعيم ويحوم الأهالي حول الزعيم الصوفي. [2]

بعد نجاح رواد الإصلاح في الجزائر في نشر الوعي داخل الأمة الجزائرية، وعقد المؤتمر الجزائري الإسلامي بالعاصمة سنة 1936م، بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين، وقد توجه وفد من أعضاء الجمعية وسياسيون وطنيون إلى باريس للمطالبة بالحقوق، وهذا ما أثار حفيظة مالك بن نبي، حيث توجه إلى فندق إقامتهم وخاطبهم سائلا: **ما جدوى إقامتكم في ذلك الفندق الفخم وما الهدف من التفاوض مع المستعمر؟** لأنه لم يستوعب فكرة المطالبة بالحقوق لأنه يرى أن الإصلاح يكمن في الواجبات وفي ضمير الأمة.[3]

تمكن مالك من الحصول على عمل في دار باريسية للنشر وأرسلته إلى الجزائر من أجل نشر مطبوعاتها وترويجها، ولكنه وجد في الجزائر بيئة استعمارية سيئة في كل جوانب الحياة وجزئياتها، فتوجه إلى تبسة وظل فيها لمدة عام بجانب الشيخ العربي التبسي يساعده في نشاطات الشبيبة الإسلامية.[4]

---

[1] **الزردة** : وهي الوعدة أو الإطعام والاحتفال وهو نوع من التراث الشعبي القديم (م:منتديات الضيافة العربية، الزردة ثقافة جزائرية، http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=199986، 2016/05/20، 00:15)

[2] الجزيرة الوثائقية، **مالك بن نبي** ،https://www.youtube.com/watch?v=h9pTc-BqqO، 2016/05/11، 00:30.

[3] محمد العبدة، مرجع سابق، ص ص 36،37.

[4] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص 102.

وفي سنة 1938 توجه مالك للعمل في نادي مرسيليا، وهو نادي يقوم فيه بتدريس الكبار وتعليم قواعد اللغة العربية وبعض الشؤون الدينية الإسلامية، حيث يقول: " **لو طلب مني في تلك الفترة أن أدخل لتعليم الحروف في حفرة إسطبل جمع فيها أبوال الحمير لدخلته بلا تردد فرارا من واقع مرير**".[1]وحاول تعليم طلابه من أميين وكبار السن بطريقة ذكية، حيث ركز على جانبين هما الجانب الفكري والجانب النفسي، وتلقينهم الدروس في أسرع وقت ممكن، حيث كان لديه احتمال بتوقيف النادي من طرف السلطات الفرنسية لأنه كان تحت الرقابة، وبالفعل تم توقيفه بحجة أنه ليس لديه شهادة تأهله للتدريس، كما أن المكان لا يصلح لهذا الغرض.

1) زيارته للجزائر في1939م:

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر لاحظ بأن موجة الإصلاح قد غزتها وانتشرت خلاياها في تبسة واندمج معهم من خلال المشاركة في إلقاء محاضرات في نادي الإصلاح بتبسة، ولكن من دون جدوى، وبدأ نجم الإصلاح في التخلي عن الساحة للأحزاب السياسية نتيجة اتصالهم بالحركات الحزبية وسيطر على الموقف الزعماء السياسيون الذين أخمدوا ثورة الإصلاح. [2]

وفي 1939/09/22م غادر الجزائر لسوء الأوضاع في تبسة وعدم تمكنه من إيجاد عمل، إضافة إلى ارتفاع الأسعار واختفاء البضائع بسبب الحرب العالمية الثانية وتعفن الوضع السياسي والإصلاحي في الجزائر وتوتر علاقته بالشيخ العربي التبسي حيث يقول: "**فأصبح الجو لا يحتمل.. فقررت السفر وودع الجزائر بقوله يا أرض عقوقا!...تطمعين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع أنني لن أعود إليك إنْ لم تصبحي حرة** ".[3]

---

[1] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص ص 108،109.

[2] مرجع نفسه، ص ص 113،114.

[3] مالك بن نبي، مصدر سابق ، ص 428 .

وبقي مالك بن نبي في فرنسا حتى عام 1956م، وركز فيها على الكتابة والعمل الفكري وعمل صحفيا في **جريدة لومند**، [1] وكان هذا تحت مراقبة وضغط الأمن الفرنسي حيث اتهم بالعمل لصالح النازية وأودع السجن في أوت 1944 إلى غاية أفريل 1945م، وفي السجن ألف كتاب" الظاهرة القرآنية" الذي كان له التأثر الواضح على الكثير من الفرنسيين أنفسهم وعند خروجه واصل نشاطه السياسي والفكري وأصدر عدد من الكتب، تضمنت رؤيته الفكرية الشاملة تجاه المشكلات في العالم الإسلامي تحت عنوان القضايا الكبرى ومنها الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلام، الفكرة الأفروآسيوية.[2]

2) رحلته إلى القاهرة :

توجه مالك بن نبي إلى مصر1956م، وبدأ اتصاله بالعالم الإسلامي في البلد الذي كان مركزا للحركات التحررية ولبعض قادة الثورة الجزائرية، وقد اتصل بهم ووضع نفسه تحت تصرفهم حيث يقول: " **بمجرد وصولي إلى القاهرة وضعت نفسي تحت تصرف من يتكلم بإسم الثورة الجزائرية** "[3]

كان يرغب في الالتحاق بجبهة القتال كممرض ليتمكن من كتابة تاريخ الثورة الجزائرية عن طريق المشاهدة، ولكنه لم يجد تجاوبا من المسؤولين الجزائريين[4] بل لقي الترحيب من قبل جمال عبد الناصر، الذي كان معجبا بكتابه الفكرة الأفرواسيوية، وعينته الحكومة المصرية مستشارا في المؤتمر الإسلامي الذي أُطلق عليه إسم " مجمع البحوث الإسلامية"، واندمج بن نبي في المجتمع المصري ومفكريه وطلبة العلم، حيث أن مصر كانت قبلة الثقافة في العالم العربي خاصة بوجود جامعة الأزهر، مما ساعده على تعلم اللغة العربية وترجمة كتبه إلى

[1] زكي ميلاد، مرجع سابق، ص 46.

[2] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 23.

[3] مالك بن نبي، **في مهب المعركة** ، ط3، دار الفكر، سوريا، دمشق، 2002، ص 80.

[4] مولود عويمر، مرجع سابق، ص 26.

اللغة العربية ونشرها، إضافة إلى الندوات والحلقات العلمية التي كان يحضرها في منزله بالقاهرة، والتي كان لها تأثير كبير على الطلبة، بحيث قام بتوضيح مشكلات العالم الإسلامي بشكل دقيق وعلمي ورياضي. [1]

وتعتبر فترة تواجد مالك في مصر من أغنى مراحل عطائه الفكري من حيث إنتاج الكتب وإلقاء المحاضرات والمناقشات التي كانت تطرح بينه وبين المفكرين والمؤرخين مما زادته علما معرفة وكذلك تتميز هذه الفترة بظهور المفكر والفيلسوف مالك بن نبي إلى الساحة العربية الإسلامية بأفكاره وأطروحاته المناهضة لواقع العالم العربي، يقول عمار الطالبي[2] الذي كان طالبا في جامعة القاهرة في نفس الفترة التي كان فيها مالك بن نبي في مصر: "**إستيقظ ذهني على المشكلات الجوهرية واتجه اتجاهها، لم توجه إليها الجامعة التي كنت أدرس بها، فكانت تجري المناقشات الحية والتحليلات الدقيقة وتوضح المشكلات على أُسس علمية**".[3]

3) العودة إلى الجزائر:

في سنة 1963م عاد مالك بن نبي إلى الجزائر، وكله أمل كبير في رسم معالم بناء مجتمع متحضر، وعين مدير عام للتعليم عالي وكلف بإنشاء مركز للتوجيه الثقافي ولكن الظروف التي أحاطت به حالت دون ذلك خاصة البيروقراطية المتفشية في الإدارة واللامبالاة في التوجيهات الثقافية، وفي1967م استقال من منصبه ليتفرغ للعمل الفكري وتنظيم الندوات وألقاء المحاضرات وبث الثقافة الحية تحت مايسمى الفعالية في العمل لأن السلوك أساس كل مشروع للتغير الحضاري، فكان يعقد في بيته ندوات للتوجيه الفكري من أجل تصفية

---

[1] نورة خالد السعد، **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الرياض، 2007، ص 28.

[2] **عمار طالبي**: ولد بخنشلة في سنة1934م درس بجامعة الزيتونة،وبعد اندلاع الثورة توجه إلى جامعة مصر لإكمال الدراسة، من المعجبين بفكر مالك بن نبي (أنظر الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 608.)

[3] عمار الطالبي، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، مجلة الثقافة**، العدد 38، الجزائر، 1977، ص 11.

الاستعمار من العقول في مرحلة ما بعد الاستقلال،[1] حيث يقول عمار طالبي "**واصل الكفاح في جبهة الفكر وميدان الكلمة وما لبث أن أصبح منزله منتدى للتوجيه ومجلس لأيقاظ العقل والبعث الفكري** "،[2] وقام بتأسيس أول مسجد طلابي في جامعة الجزائر، وفي نفس السنة قام بن نبي بأداء فريضة الحج، وفي طريق العودة أقام بدمشق وألقى فيها محاضرة بعنوان " دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن 20 "، طبعت فيما بعد في كتاب وشكلت أفكاره فيه وصاياه الأخيرة للشباب المسلم.

منذ أن استقال مالك بن نبي من منصبه، عكف في بيته على بذل المزيد من الجهد والعطاء الفكري، فنظم الندوات في بيته للأساتذة والطلبة، وشارك مشاركة فعالة في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تنعقد في الجزائر سنويا، وبقي مواصلا جهاده وكفاحه بالفكرة والكلمة والقلم إلى أن وافته المنية وفي سنة 1973م توجه إلى المدينة الأغواط لإلقاء محاضرات، لكن أثناء إقامته فيها اشتد عليه المرض فسافر إلى باريس وأجريت له عملية البروستات (سرطان) وتوفي رحمة الله عليه في الجزائر العاصمة 31 أكتوبر 1973.[3]

[1] مولود عويمر، مرجع سابق، ص17.

[2] عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي، مجلة الثقافة**، العدد 18، الجزائر، 1973، ص 11.

[3] نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص29.

المطلب الثالث: تكوينـــــه وإنتاجه الفكـــري

إن البناء الفكري والتكوين العقلي لأي مفكر لا يبدأ من فراغ بل تتحكم فيه مؤثرات ثقافية واجتماعية وسياسية، ومن أجل فهم أراء مالك وأفكاره يجب إلقاء نظرة على مسار حياته الذي يصفه في مذكراته، كما كان هناك العديد من الأعمال الفكرية التي تركت بصماتها في فكره، فقد كان غزير القراءة في كل مجال منذ صغره، ومن أهم المصادر التي أثَّرت في تكوين فكره:

1) **أسرته المحافظة:**

- ✓ نشئ في أسرة بسيطة وفقيرة متدينة ومتمسكة بالأخلاق والفضائل والدين، فتركت فيه هذه الصفات منذ الصغر، كما ساهمت أمه وجدته بدور كبير في تكوينه الفكري، حيث كانت تروي له قصص عن جرائم الاستعمار الفرنسي وتحثه على مساعدة الآخرين وفعل الخير، حينها أدرك خطورة المستعمر على بلاده، والاستعداد له منذ الصغر.
- ✓ زوجته خديجة الفرنسية وما تركته في عقل مالك من خلال الكشف عن البعد الحضاري للمجتمع الغربي وثقافته وما كان يراه في زوجته من تفنن في تنظيم وترتيب البيت مما يجعله يضفي جمالا في أعين بن نبي. [1]

2) **التنوع الثقافي العربي والغربي:**

كان شغوفا بالمطالعة منذ صغره وكثير القراءة للكتب في علم النفس والاجتماع والأدب ككتاب رسالة التوحيد وكتاب أم القرى ومقدمة ابن خلدون وتأثَّر بالفكر الإصلاحي لعبد الحميد بن باديس، كما إطَّلع أيضا على الكثير من المجلات كمجلة الإقدام، الإنسانية، الشهاب، الإصلاح، صوت الشعب..ألخ.

[1] جرامو لويزة، **الإشكالية الثقافية في فكر مالك بن نبي**، رسالة ماجستير، المركز الجامعي عباس لغرور، خنشلة 2010،2011، ص67 .

وفي فترة دراسته في فرنسا قرأ للمؤرخ البريطاني "توينبي"،[1] كما قرأ للفيلسوف "نتشه" وعدة مشاهير في أوروبا، و لكنه أعاد صياغتها من جديد على ضوء القرآن الكريم في كتابه "ميلاد مجتمع"،[2] إضافة إلى أن رحلاته للبحث عن عمل في الجزائر ومختلف البلدان العربية والغربية أثرت في دقة ملاحظته وتوسع معارفه للمجتمعات وآليات قيامها وأفولها، وكان يقوم بإخضاع هذه الظواهر إلى العلوم التطبيقية وإلى مناهج دقيقة كاستخدام الرياضيات ومعادلاتها في توضيح بعض القضايا الفكرية .

إلا أن تأثير التيار الفكري الإصلاحي في تكوينه الفكري كان له نصيب كبير حيث تأثر بأساتذة وعلماء التيار الإصلاحي وخاصة الشيخ "المولود بن الموهوب"[3] أستاذ التوحيد و الذي ركز على إصلاح النهج التعليمي وربط النهضة ببناء الإنسان وكذلك الشيخ عبد القادر المجاوي[4] والشيخ صالح بن مهنة[5] الذي ركز على نشر الوعي الديني ومحاربة البدع والخرافات والصوفية، التي كانت سائدة في الجزائر نتيجة الجهل الذي فرضه الاستعمار،

---

[1] **أرلوند توينبي:** مؤرخ انجليزي ولد في لندن 1889و توفي عام 1975م، من أهم أعماله "دراسة التاريخ "ويعتبر من أشهر المؤرخين في القرن العشرين .(الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 333.)

[2] نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص31.

[3] **المولود بن الموهوب:** هو المولود بن العيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود الموهوب، ولد عام 1866م، وتوفي 1930م، أديب وهو من رجال الإصلاح الاجتماعي في الجزائر ولد بقسنطينة ،وولي بها إفتاء الملكية التدريس في الجامع الكبير 1895م، من كتبه " مختصر الكافي في العروض، نظم الاجرومية، وشرح منظومة التوحيد المجاوري، (المصدر نفسه،ص 334.)

[4] **عبد القادر المجاوي 1914/1848م:** مصلح سلفي وعالم نحوي، من كبار علماء تلمسان، درس بالمدرسة الكتانية بقسنطينة، ودرس بالمدرسة الثعالبية، تخرج على يده العديد من العلماء والقضاة والائمة والمدرسين والوعاظ، من أثاره : اللمع في إنكار البدع، إرشاد المعلمين في مبادئ العلوم .(بصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في قرنين 19و 2، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة متنوري قسنطينة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص 297.)

[5] **الشيخ صالح بن مهنا** : ولد في الجزائر 1840م وحفظ القرأن منذ صغري ودرس في جامع الزيتونة لتحصيل العلم، رجع إلى الجزائر في 1887م وعرف بتوجهه الإصلاحي وتولى إمامة الجامع الكبير بقسنطينة من أثاره :" السر المصون على الجوهر المكنون، الرحلة الأزهرية، توفي في 1910م.(بوصفصاف و آخرون،المرجع نفسه ص300.)

وكذلك كتاب " أم القرى " لعبد الرحمن الكواكبي[1] الذي قرأه في ليلة واحدة وعرف من خلاله كيف أن الإسلام ينظم الحياة من أجل حركة بعث جديدة.[2]

[1] **عبد الرحمن الكواكبي 1902/1849**: مفكر وعلامة سوري رائد من رواد التعليم والحركة الإصلاحية العربية، كاتب ومؤلف ومحامي وفقيه شهير، ترك تراثا أدبيا كبير مثل طبائع الاستبداد، أم القرى، وتوفي بالقاهرة. .(بوصفصاف وآخرون، المرجع السابق، ص330)

[2] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 33.

إنتاجه الفكري :

مؤلفاته حسب الترتيب الزمني والتاريخي ومكان الإصدار: [1]

المرحلة	عنوان الكتاب	تاريخ الإصدار	مكان الإصدار
مرحلة الجزائر.باريس 1956–1930	الظاهرة القرآنية	1946	الجزائر
	2 - لبيك (رواية)	1947	الجزائر
	3 - شروط النهضة	1947	الجزائر
	4 - وجهة العالم الإسلامي	1954	باريس
	5 – الفكرة الآفرواسيوية	1956	الجزائر
في مصر 1963–1956	6 – النجدة الشعب الجزائري	1957	القاهرة
	7 – مشكلة الثقافة.	1959	القاهرة
	8 – حديث من البناء	1960	بيروت
	9– الصراع الفكري في البلاد المستعمرة	1960	القاهرة
	10 – الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل.ا	1960	القاهرة
	11 – فكرة كومنولث الاسلامي	1960	القاهرة
	12 – تأملات في المجتمع العربي	1961	القاهرة
	13 – في نهب المعركة.	1962	القاهرة
	14 - ميلاد مجتمع	1962	القاهرة
مرحلة الاستقلال	15 – أفاق جزائرية	1964	الجزائر
1973–1962	16 – مذكرات شاهد على القرن "طفل"	1965	الجزائر
	17–إنتاج المشرفين وأثره في الفكر الحديث	1969	القاهرة
	18 – مذكرات شاهد على "الطالب"	1970	القاهرة
	19 – مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي	1972	القاهرة
	20 – المسلم بين عالم الاقتصاد	1972	بيروت
	21 – دورا لمسلم ورسالته من ثلث الأخير	1978	دمشق
	22 – بين الرشاد و الدين	1978	دمشق

[1] نورة خالد السعد، مرجع سابق، ص ص38، 39.

الفصل الثاني: الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي

المبحث الأول: المشروع الإصلاحي الحضاري عند مالك بن نبي

المطلب **الأول**: مشكل الحضـارة

المطلب **الثاني**: مشكل الثـقافــة

المطلب الثالث: أسس المشروع الإصلاحي

المطلب الرابع: خطوات المنهج الإصلاحي

المبحث الثاني: موقـفــه من قضايا عـصره

المطلب الأول: الثـــــــورة

المطلب الثاني: الاسـتعمـار

المطلب الثالث: المـــجتمع

المطلب الرابع: المـــــرأة

المبحث الثالث: أثـره في الجزائر بعد الاستقلال

المطلب الأول: مالك بن نبي و العمل الطلابي الجامعي

المطلب الثاني: تأسيس مسجد الجامعة المركزية

المطلب الثالث: تأسيس جماعة البناء الحضاري

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
جامعــة محمـد خيضـر – بسكـــرة–
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســم التاريخ

عنــوان المذكــرة

مالك بن نبي ومنـهجه الإصلاحي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب: إشــراف الأستـــاذ:

– محمد الأمين مراكشي – هشام ذياب

السنـــــة الجامعيـــــــة:

2017/ 2016

المبحث الأول: المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي

المـطلـب الأول: مشـــكل الحضـــارة

إجتهد مالك بن نبي في سلسلة من مؤلفاته لتقديم مفهوم شامل للحضارة ومشكلاتها، لأن الحضارة يجب أن ينظر إليها من عدة زوايا، وأن أي تعريف قد لا يفي بالتعريف الشامل لمعناها الحقيقي من حيث جوانب تركيبها وتكوينها ووظائفها وتطورها التاريخي والثقافي والاجتماعي. [1]

تعريف الحضارة : يعرف مالك بن نبي الحضارة بأنها " **مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده المساعدة الضرورية له**"، ويقصد مالك بالشروط الأخلاقية تلك الإرادة التي تدفعه إلى تحديد أفكاره ومهامه الاجتماعية وتحقيقها، أما الشروط المادية فهي توفر الوسائل الضرورة للقيام بمهامه ووظائفه،[2] فالحضارة هي أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة من أجل وظيفتها التاريخية.[3]

وركز في دراساته لمشكل الحضارة على الإنسان كونه ذاتي واجتماعي له دوره وأهميته داخل المجتمع، ومن خلاله تنشأ شبكة العلاقات الاجتماعية التي تحافظ على ثقافة المجتمع وتماسكه، والتي تقوم في إطارها التاريخي على المحافظة على معطيات الماضي وتفاصيل الحاضر وأبعاد المستقبل، من أجل القضاء على الجمود الفكري وتحقيق النهوض الحضاري والتحول من تكديس الأفكار والوسائل إلى القدرة على البناء والخلق والإبداع، بعد

---

[1] أمنة تشيكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي واولوند تونتي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 111.

[2] مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط1، دار الفكر المعاصر، سوريا، دمشق، ص43.

[3] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص39.

تحديد الأسباب والوسائل والأهداف بإتباع منهاج دقيق وواضح، توظف فيه نقطة الانطلاق والوصول، ويؤكد مالك أن التكديس يولد التبعية وأن كل حضارة يجب أن تلد منتجاتها لأن الحضارة لا تبيع نفسها بل تبيع منتجاتها ووسائلها.[1]

فالحضارة ليست مجرد ثقافة ومعارف لدى فرد أو مجموعة من الأفراد داخل مجتمع، ولا هي منتجات تباع وتشتري، بل هي طموح و إرادة يتشارك فيها أفراد المجتمع الواحد وتتوفر فيه العوامل والشروط الاجتماعية والروحية والمادية التي تهيئ المناخ لبروز شبكة علاقات اجتماعية لها القدرة على إبداع المعارف وإنتاج الأشياء لاستغلالها في خدمة الإنسان.[2]

أماالحضارة المزيفة فهي التي تكتفي باستيراد المنتجات الفكرية والثقافية والمادية، أما الحضارة الحقيقية هي التي تصنع منتجاتها بنفسها، ولا تستورد إلا الأشياء التي تساعدها على التطوير والإنتاج مع مراعاة خصوصية المجتمع في حالة استيراد الوسائل" إن المقياس العام للحضارة هو أن "**الحضارة هي التي تلد منتجاتها وسيكون من السخف والسخرية حتما أن تعكس هذه القاعدة بحيث نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها** " وأن القصور والجامعات والطائرات وتلك الأشياء لا تمثل العناصر الأولية للحضارة. [3]

توجه مالك بن نبي إلى تحليل ودراسة مشكلات العالم الإسلامي وأسباب خروجه من الحضارة والتاريخ، فاستنتج أن بلدان هذا الأخير تتشارك في الأسباب والعوامل، وأن الداء فيها واحد، إذ أن هناك من يعاني من الجهل والفقر والبؤس، وهناك من يخضع للاستعمار والحماية والانتداب، وهناك من فشل في استغلال الثروات والموارد والطاقات .....وكلها يطلق عليها مشكل حضارة [4] حيث يقول: " **إن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة**

---

[1] محمد عبد السلام الجفائري، **مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984م، ص 125.

[2] مرجع نفسه، ص 126.

[3] محمد العبده، مرجع سابق، ص60.

[4] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر سابق، ص40.

حضارة ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها.[1]

ويرى بن نبي أن رواد الفكر الإصلاحي فشلوا في تحديد الداء، وذهبوا لمعالجة أعراضه، لذلك باءت كل محاولاتهم بالفشل، فذهب رائد الإصلاح جمال الدين الأفغاني لحل مشاكل المجتمع بوسائله الثورية والسياسية، بينما تلميذه محمد العبدة توجه لإصلاح العقيدة والتربية، وغيرهم من المفكرين الإصلاحيين، إلا أنه اعتبر منهجهم يسعي إلى حلول سطحية مؤقتة لا جذرية " **على أن هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه** ".[2]

ويستنتج بن نبي أن كل المشاكل التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي من استعمار واستغلال وتبعية وركود في كافة الميادين لها بعد واحد هي أزمة حضارة، إن هذه الأمة أصبحت تعاني الأزمات المتنوعة التي قد نجمعها في تسمية واحدة نسميها الأزمة الحضارية وهي بالفعل أزمة حضارية لا غير.[3]

هكذا عرف بن نبي الحضارة بكل جزئياتها من المنظور الوظيفي والذي يبنى على أساس العناصر الثلاث المهمة في التركيبة الحضارية من أجل دخول التاريخ وهي (الإنسان التراب، الزمن) وتبقي هذه العناصر مجردة من الفعالية حتى يتم ربطها بالدين(الأخلاق)" **إن الدين وحده هو الذي يمنح الإنسان هذه القوة، فقد آمن بها أولئك الحفاة العراة من بدُو الصحراء الذين إتبعوا محمد صل الله عليه وسلم**[4] " ويستنتج أن صناعة الحضارة تتم تبعا لثلاث عوالم :

[1] محمد العبدة، مرجع نفسه، ص 56.

[2] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مصدر نفسه، ص 41.

[3] مالك بن نبي، **دور المسلم في الثلث الاخير من القرن العشرين**، دار الفكر، دمشق، 1986، ص46.

[4] مالك بن نبي، **المصدر نفسه**، ص 68.

- **الإنسان:**

وهو أهم عنصر باعتباره هو الذي ينتج الحضارة بالإصلاح والتغير ولا يغير الإنسان التاريخ إلا إذا غير نفسه" **غير نفسك تغير التاريخ** " و قال تعالى{**أن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}[1]، فالشرط الأول في عملية التغيير المطلوب لأي حركة أو فعل نحو التحضر هو تغيير عالم النفس بإزالة كل ما فيها من اعوجاج وأمراض وفساد في التصورات والمفاهيم، وما فيها من جهل الأمور وغموض في الفهم، وتنويرها بالحقيقة، وتهذيبها على مكارم الأخلاق، وتحفيزها على الأخذ بالإيمان الصادق والعمل الدءوب والعلم النافع، فتمكين النفس من هذا المطلب هو أصل التجديد الحضاري، لينعكس فيما بعد على الواقع الاجتماعي والطبيعي، حيث يتجسد في منتجات حضارية دينية، فكرية، أخلاقية، علمية، وتكنولوجية.

إن الإنسان في رأي مالك هو العنصر الأساسي في تشيد أو قيام أي حضارة، غير أن هذا الإنسان هو الذي يؤثر في سير التاريخ، فهو منبع وأساس المشكلة الحضارية كلها وأي تفكير في مشكلة هي في الأساس تفكير في مشكلة حضارة، ويركز مالك على الفرد كونه إنسان اجتماعي، وعلى تأثيره الفكري والعملي والمالي في المجتمع المنتج للحضارة والصانعة للتاريخ، ويجب على الإنسان معرفة كيفية التعامل مع التراب والوقت وتوظيف المواهب والخبرات من أجل تحقيق أهداف كبرى.[2]

---

[1] القرآن الكريم، سورة الرعد، أية 11.

[2] موسى لحرش، **إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي**، الجزائر، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص106.

وما يلاحظ أن الإنسان يؤثر في المجتمع بفكره وعمله وبماله، لذلك فمن الضروري توجيهه إلى ثلاث نواحي وهي:

- **التوجيه الثقافي:** لا يقصد به المعارف والعلوم بل يقصد تأثير الوسط والبيئة الاجتماعية في سلوك وطباع وشخصية الفرد والتي تنعكس عليه سلبا أو يجبا وبالتالي فإن المحيط هو الذي يحدد طبيعة الفرد والمجتمع (متحضر أو متخلف).[1]

فالثقافة عند مالك بن نبي هي التي يكتشفها الفرد داخل المجتمع الذي يعيش في نطاقه من عادات وتقاليد وقيم، والتي تؤثر فيه منذ ولادته والتي تربطه بطريقة لا شعورية بالمجتمع، وعلى هذا الأساس جعل بن نبي من الأخلاق جوهر للثقافة، لأن في أساسها فكرة دينية، ويوضح أن أول خطوة للتوجيه الثقافي هو تعليم الناس التخلق والتعايش فيما بينهم ثم التوجيه للعمل الجماعي.[2]

- **توجيه العمل** : وهو إقصاء الأفكار التي تقوم على مبدأ العمل من أجل لقمة العيش، بل من أجل أداء الواجب واستخراج الكم الأكبر من الفائدة من وسائل الإنتاج المتوفرة، ويستدل بن نبي في هذا الطرح بالحضارات التي قامت على سواعد العبيد والرقيق وأننا أحوج إلى هذا المنطق في العمل لأن في جوهره إرادة والرغبة في البناء والتشييد، وهو المنطق الذي غاب عن بلادنا لأنه يعتمد على العقل التطبيقي لا العقل المجرد.[3]
- **توجيه رأس المال:** يفصل مالك بن نبي بين الثروة ورأس المال، إذ يعتبر أن الثروة هي ملك للفرد مثل عقاراته ومسكنه وما يملكه لنفسه ولا ينتفع به المجتمع، أما رأس

---

[1] سعاد سطحي، **عرض كتاب شروط النهضة**، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، جامعة قسنطينة، 2006م، ص 158.

[2] مالك بن نبي،**مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1984م، ص74.

[3] الأخضرشريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، مقال من رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد الفلسفة، 1988-1989، ص128.

المال فهو المال الذي ينمو ويتحرك ويساهم في البناء والتشغيل، وينتفع به الاقتصاد والفرد، وهو توجيه المال وترشيده بدل تخزينه وتكديسه، ونادى بضرورة إنشاء مجلس لتوجيه الثروة وتحويلها إلى رأس مال توجه لخدمة الأهداف الاقتصادية[1].

فإذا كانت مشكلة الحضارة الأولى هي الإنسان فإن المشكلة الثانية هي الأرض التي يعيش عليها، أو ما عرّفه مالك بالتراب الذي لا يقصد به تلك المادة من الطبيعة بل من حيث قيمته ووظيفته الاجتماعية، فقيمة التراب تكون غالية أو منخفضة حسب الأمة التي تعيش عليها.

- **التراب:**

ترتبط مشكلة التراب بالإنسان الذي يعيش عليه ويملكه وكيف يستغله وهو العمل الحاسم في البناء الحضارة، فالتراب يستمد قيمته من الإنسان المتحضر أو المتخلف، فاليابان استطاع أن يتحدى الأرض رغم ضعف تربتها فهي جزر وجبال وصخور وتتعرض للكوارث الطبيعية وغيرها، إلا أنها لم تُعِق تقدمه وتطوره لأن هناك أفكار تشحنه بالطاقة لمواصلة البناء الحضاري،[2]

ويذكر بن نبي عن أهمية استغلال التراب أنه في بلده الجزائر أثناء عملية التصحر التي كانت تزحف من الجنوب إلى الشمال فقدت الكثير من الأراضي الخصبة دون أي اهتمام من طرف السلطة أو الشعب الذي استطاع أن يحقق الاستقلال على أكبر قوة استعمارية، ولكنه فشل في انتهاج مسلك لإستصلاح أراضيه واستغلالها.[3]

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص ص 112، 113.

[2] موسى لحرش، مرجع سابق، ص 32.

[3] مالك بن نبي، مصدر نفسه، ص142.

ولتنفيذ المخططات التنموية في أي بناء حضاري يجب استغلال الوقت وتحديد المشاريع في إطارها الزماني.

- **الزمن:**

إن الوقت إذا لم يفهم كعامل مساهم في البناء الحضاري لا يمكن أن يفهم كقيمة إجتماعية تساهم في هذا البناء، وضرورة العمل به جد ضرورية ضمن العمليات الاقتصادية والصناعية والثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر عمليات البناء الحضاري، وأن موقف الإنسان من الزمن هو الذي يحدد قيمته الاجتماعية ويجعل منه عامل للبناء والتشييد أو عامل هدم وتدمير، فإذا أحسن كل عامل استغلال الوقت وعمل بجد وشعر بوظيفته الاجتماعية، فإنه بذلك شارك في بناء المجتمع وتحريك التاريخ والتكوين الحضاري.

وعشر سنوات من توقف الحرب والدمار في أوروبا كانت كافية لإسترجاع ألمانيا مكانتها الاقتصادية والحضارية بين الأمم، ذلك أنها اتخذت التدابير اللازمة، ومن أهمها نبذ التهاون في الشغل ومضاعفة العمل وتقديس الوقت والتزام أفرادها بدفع الضرائب،[1]" **لذلك يجب أن ننشئ إنسان يمشي في التاريخ مستخدما التراب والوقت والمواهب من أجل تحقيق أهدافه الكبرى**"، ومن هنا فإن الحضارة تترتب على ثلاث عناصر مهمة يكون فيها الإنسان هو العنصر الأساسي لأنه يؤثر على عنصري التراب والوقت وهو الذي يحدد فاعليتهما أو ركودهما، وكما قلنا سابقا تبقى هذه العناصر مجرد كلمات حتى يتم ربطها بالعامل الديني لأن له دور كبير في تفعيل مركب الحضارة. [2]

[1] جيلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص ص 66، 67.

[2] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 114.

إذا كانت الحضارة بناءً لا تكديسا واستيرادا فهي فاعلية إنسانية تقوم على تغيير الإنسان في عالمه النفسي أولا ثم تغيير محيطه ثانيا، وتحصل هذه الفاعلية بتوفر جملة من الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية والروحية والمادية، وبتوفر الإرادة والقدرة على إبداع المعرفة وإنتاج الأشياء، واستغلال ذلك لخدمة الإنسان وضمان راحته، ولفصل الحضارة الحقيقية عن الحضارة المزيفة، فالأولى تلد منتجاتها أما الثانية فهي من صنيع منتجات حضارات الغير، والتجديد الحضاري ظاهرة إنسانية ترتبط بالحضارة وبشروطها وعناصرها وأطوارها وازدهارها، وتكون سابقة على الحضارة فتصنع النمو والتحضر والازدهار، كما تكون ملازمة لها فتستمر في تنميتها وتطويرها، وقد تكون سببا في انهيارها وأفولها، والمقصود هنا عندما تبلغ الحضارة طور العقل يضعف سلطان الروح وتسترد الغريزة نفوذها فتهوي بالإنسان إلى حضيض الحيوانية حيث شريعة الغاب.

المطلب الثاني: مشكلة الثقافة

إن الثقافة في المنظور التاريخي هي جوهر الحضارة لأنها المسئولة عن التأثير في فكر الإنسان فيحدث التفاعل بينه وبين الزمن والتراب، وإن أي تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة حضارته و ثقافته،[1] حيث يعرفها مالك "**أنها مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال في الوسط الذي ولد فيه والثقافة هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته**".

ومن خلال التعريف نرى مفهوم جديدا لمصطلح الثقافة حسب مالك بن نبي، فهي مركبة من صفات خلقية وقيم اجتماعية يكتسبها الفرد من خلال المجتمع الذي نشأ فيه والتي تلازمه منذ ولادته، ويعتبر هذا الوسط الاجتماعي هو المسئول عن تكوين شخصية الفرد وطبيعة سلوكه[2]" **إن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموع من القواعد الأخلاقية و الجمالية....**"[3]

ولا نستطيع أحيانا أن نميز بين الثقافة والحضارة لأنهما مصطلحان مترادفان، لكن يوجد ما يفصل بينهما على أساس أن الثقافة تمثل الجانب المعنوي والحضارة تمثل الجانب المادي داخل المجتمع، فالثقافة علاقة متبادلة وهي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي للفرد بأسلوب الحياة في المجتمع[4]، ويضيف بن نبي أنه لا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي فقد ثقافته فقد تاريخه حتما، فالثقافة هي التي تمثل العنصر الرئيسي

[1] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص94.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص 94.

[3] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية**، دار الإنشاء للطباعة والنشر، لبنان، 1974، ص29.

[4] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص47.

لأن في جوهرها الأخلاق التي تجمع وتوحد بين مركب الحضارة وتضع المجتمع داخل التاريخ، [1]والدليل على ذلك أن فرنسا حاولت نشر الدين المسيحي في الجزائر من خلال الدعوات التبشيرية التي كانت مسلطة على الشعب، بحيث كانت الجمعيات التبشيرية الفرنسية تقوم بجمع الأيتام والمشردين والفقراء وتعليمهم على ضوء الدين المسيحي، من أجل تدعيم مكانتها في الجزائر والقضاء على الثقافة الإسلامية، ولكنهم فشلوا نتيجة التنشئة الإسلامية الصحيحة التي قام عليها الأطفال الجزائريون، فعند خروجهم من تلك المدارس عادوا إلى حالتهم الإسلامية ولم يتأثروا بتلك الدعوة التبشيرية. [2]

قام بن نبي بتحليل الثقافة من خلال قراءاته في التراث الغربي والإسلامي إضافة إلى تأملاته في المجتمع الجزائري والفرنسي ليتوصّل إلى أربع عناصر أساسية تكوّن الثقافة وهي:

- **المبدأ الأخلاقي:** وهو من أهم العناصر لأنه منبثق من العامل الديني الذي يجمع بين أفراد المجتمع الواحد في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعبر عن شبكة الصلات الثقافية لمجتمع معين، ففكرة الدين والعقيدة هي التي تقوم ببناء عالم الأشخاص، والدليل على ذلك هو حرص الرسول صل الله عليه وسلم في عملية بناء المجتمع الإسلامي هو التأليف بين المهاجرين والأنصار عن طريق ترسيخ مبدأ المأخاة، وهو ما يشكل مجتمع تاريخي متماسك يهدف إلى بناء حضارة.
- **الذوق الجمالي:** وهو العنصر النابع من الأخلاق والذي يضفي ويجسد على الأشياء الصورة الجميلة من حيث الشكل والألوان التي تأثر في نفسية الفرد وتبعث فيه روح العمل والتفاؤل بالمستقبل، أي أن هذه الصورة تأثر في الفكر والسلوك معا، ويعتبر هذا العنصر من أهم العناصر الديناميكية.

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص86، 85.

[2] مالك بن نبي، **تأملات**، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1978، ص 146.

فلما تولى مصطفى كمال أتاتورك الحكم في تركيا كانت كافة جهده تسعى إلى مسخ هوية الشعب التركي وإبعاده عن دينه، وأول ما ركز عليه هو تغيير اللباس الخارجي للشعب التركي من أجل تغيير الأنفس والقيم وأفكار المجتمع.[1]

- **المنطق العملي:** ويقصد به الفاعلية الفردية والجماعية في العمل والإنتاج وذلك باستغلال الوسائل المتاحة من أجل استخراج الأقصى للفائدة، وهذه الفعالية تنبع من العقل التطبيقي الذي يتكون من الإرادة والانتباه، وهو أكثر ما ينقص المسلم، وبهذا يبني المجتمع عالم أشيائه ليكتمل عالمه الثقافي، ويذكر بن نبي أن العالم الإسلامي اليوم لا يعيش وفق المبادئ القرآنية، وإنما يتكلم عنها فقط ، لذلك ساد العبث والتبديد الزمني والمالي وكثرة الكلام والإسراف في الوعظ والخطب دون فائدة، وكثرة الدروس والمواعظ دون الإمتثال لها، كل هذا يؤكد أن منطق الفكرة موجود ولكن ينقصنا منطق العمل والحركة والتطبيق.
- **الفن الصناعي:** ويقصد به كل عمل إنتاجي وكل النشاطات التي يمارسها الأفراد، إذ أنه يمثل وسيلة لكسب القوت ووسيلة للمحافظة على كيان المجتمع واستمرار نمو، فهو يهدف إلى تحقيق المصلحة العامة والخاصة في إطار تحقيق الفعالية التي يحتاج إليها المجتمع.[2]

وتحتل الثقافة المرتبة الرئيسية في تكوين الفرد والمجتمع فهي الرحم الذي ينمو فيه فكره وتطلعانه والذي تتحدد فيه قيمته وأهدافه الثقافية المؤسسة من منطلقات إسلامية فهي التي تحقق التوازن في العالم الداخلي للإنسان وتعلمه كيفية الانخراط في الجماعة ليؤدي دوره من خلالها.

[1] مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص 150 إلى 148.

[2] موسى لحرش، مرجع سابق، ص ص 123، 125.

المطلب الثالث: خطوات المنهج الإصلاحي

يجمع أغلب المنظرين في علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد أن التنمية تبدأ بالإصلاح وعملية التغيير الموجهة والمعقدة والشاملة تضم كافة جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، تستهدف إحداث تغييرات بنائية ووظيفية في المجتمع قصد تحقيق طموحات البشر وما إلى ذلك من رفاهية واستقرار للحياة الإنسانية ومن خلال هذه الدراسة سنقدم وجهة نظر أحد أبرز مفكري العالم العربي الإسلامي الذي تبناه في مشروعه الإصلاحي.

انطلق مالك بن نبي في دراسة مشكلات العالم العربي وسبل معالجتها في إطار (مشكلات الحضارة) من تشخيص فكرة التخلف وربطها بالاستعمار، وصولا إلى بناء الحضارة على أساس مرجعيتها وأسسها وثقافتها المنبثقة من عامل الدين الذي يتوافق وطموحات الاجتماعية، معتمدا في ذلك على عاملين أساسيين هما دراسة النفس البشرية ودراسة الأحداث التاريخية، خاصة فيما يتعلق بالمبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية من قبل، وباستقراء بن نبي للتاريخ ورصده للواقع وفهمه للإسلام، يطرح تصوره لمنهج التجديد مستلهما روح القرآن الكريم، وسنعرض أهمها فيما يلي:

1) **الاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي:**

وهو العنصر والخاصية التي يتميز بها دول العالم الثالث المتخلفة وهو العيش في بحبوحة مالية تعتمد على الاستهلاك وإستراد المنتجات الأجنبية،[1]بعد أن اعتمدت هذه الدول على اقتصاد ريعي يعتمد على المال دون الاستثمار في الموارد البشرية التي أصبحت عنصر مهم في العالم الأخر(خط واشنطن، موسكو)، إذ ركز هذا الأخير على

[1] مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ط3، دار الفكر، دمشق، 1987، ص73.

تنمية الإنسان وتكوينه والاستثمار فيه بالإضافة إلى أنها تستقطب الكفاءات من الدول الأخرى (الأدمغة)، من أجل تطوير ذاتها واقتصادها، حيث أن المال لا يبني الدولة بقدر ما يبنه المجتمع بما يملك من استعدادات ذهنية وعقلية ويعطي بن نبي مثال عن الولايات المتحدة الأمريكية أنها لا تستطيع بأموالها شراء مدينة نيويورك ولكن بإمكانها اجتماعيا بناء أو إعادة بناء مئات المدن.[1]

وكيف استطاعت المجتمع الألماني الخروج من نكسة الحرب العالمية الثانية التي دمرت البنية التحتية للأمة الألمانية، ولكنها لم تدمر عالم الأفكار الذي سيقود المجتمع الألماني في فترة وجيزة إلى إعادة بناء نفسه، وفرض مكانته بين الدول القوية اقتصاديا، كما درس التجربة الصينية ليس من الناحية المذهبية، بل من حيث قدرتها على تجنيد الطاقات الظاهرة والكامنة في المجتمع الصيني، وتمكنت من إحداث ديناميكية تقوم على مبدأ معروف "**لقمة عيش لكل فم و كل السواعد يجب أن تعمل**"[2]، فاستطاعوا **أن** يغيروا الاستثمار المالي العقيم والخاضع لشروط المؤسسات الدولية إلى استثمار اجتماعي مستقل وفعال اعتمد على القدرات والإمكانيات الذاتية، وهكذا تمكنت الصين من الاستثمار في الإنسان والتراب والزمن المتوفر في كل ارض.

2) خصوصية المعادلة الاجتماعية:

ركز بن نبي على التفريق بين الإنسان ككائن حي ويبن الفرد كعنصر اجتماعي وأعطي مثال عن الإنسان الألماني والاندونيسي من خلال مشروع الدكتور شاخت[3] الرامي إلى تحقيق النهضة والتطور، فنجح تطبيق المشروع في ألمانيا واثبت فشله في اندونيسيا،

[1] مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، مصدر سابق، ص74.

[2] نور الدين خندودي، بعض أراء مالك بن نبي و نظرياته الاستشراقية في التطورات العالمية، مالك بن نبي و الفقه الحضاري....، ص 144 .

[3] يالمار شاخت: عالم اقتصاد ألماني، شغل منصب رئيس البنك المركزي في برلين ووزير الاقتصاد في الحرب العالمية الثانية، له الفضل في نجاح اقتصاد ألمانيا، واستعانت به أندونيسيا لمساعدتها على لتطوير اقتصادها والنهوض به.(المصدر:مولود عويمر، أندونيسيا في فكر مالك بن نبي،www.binnabi.com،2016/05/20،00:00.)

وهذا ما يفسر التحليل الذي قام به بن نبي لأن هذا المشروع مستمد أساسا من أرض ألمانيا من جهة واستعدادات الفرد الألماني الذهنية والثقافية من جهة أخرى، ونجاح الخطة سببه تحقق المعادلة الاجتماعية، فكل مجتمع يتميز عن غيره من المجتمعات من حيث معطيات الزمان والإنسان والتراب، فتعثر التجربة الأندونيسية كان سببه الخطأ في تقدير المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي، والتي حاول فيها شاخت أن يسقط التجربة الألمانية على الواقع الأندونيسي، بينما أن الواقع لا يفسر على أساس معادلة أو بعد واحد بل حسب معادلتين :

- معادلة اجتماعية: تختلف من مجتمع إلى أخر، ومن عنصر إلى أخر حسب درجة النمو والتخلف.
- معادلة بيولوجية: أي المساواة بين الفرد وأخيه في كل مكان إلا فيما فضل فيه بعض الأشخاص عن غيرهم. [1]

لقد دمرت الحرب العالمية الثانية عالم الأشياء لألمانيا ولكنها سرعان ما إعادة بناء كل شيء بفضل رصيدها من الأفكار،[2] ولذلك فإن الاستثمار في الموارد البشرية عامل مهم في كل مجتمع، فهو العامل الوحيد لإنجاح خطط المشاريع الاقتصادية.

3) التكتل لتحقيق الاكتفاء لذتي:

تتمثل في فكرة الاتحاد الدولي الإفريقي الأسيوي التي أوضحها في كتابه الفكرة الأفرواسيوية التي تضمنت ضرورة التكتل في إطار محور طنجة جاكرتا، فهي فكرة سياسية واقتصادية واجتماعية بناءة، الهدف منها إقامة نظام عالمي جديد يعيش فيه العالم الإسلامي بسلام خاصة في العالم العربي، وهو نفس المشروع الذي قامت به أوروبا من خلال السوق الأوروبي المشترك أو الإتحاد الأوروبي، أو كما كانت عليه أوروبا الشرقية في إتحادها لخدمة الاتحاد السوفيتي، وعلى المجتمع العربي أن يأخذ فكرة التكتل بعين

[1] مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، مصدر سابق، ص ص 77، 78.

[2] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 34.

الاعتبار من خلال العمل على الاستقلال الفكري عن الغير وتحديد الإمكانيات الفردية لمواجهة الضروريات الداخلية و الخارجية والاستفادة من تجارب المجتمعات الأخرى، هذا ما يحقق للمجتمع العربي شروط الاقتصاد التكاملي، أي أن نستهلك ما ننتج دون الحاجة إلى الغير كما هو الحال في أمريكا الصين و روسيا،[1] وكان مُصِّرا ومؤمنا كذلك بضرورة التكتل لدول العالم الإسلامي في شكل " كمنويلث إسلامي " للتحقيق التنمية والتطور بغض النظر على تلك الصراعات الداخلية والنزاعات التي اعتبرها عقبات النمو والتقدم،[2] فبن نبي يؤكد على أنه من الضرورة تنظيم الحياة الاقتصادية من أجل تحقيق حلقة تنموية كاملة داخل حدود أي وطن من خلال الاستثمار الاجتماعي للفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية.

4) بناء شبكة العلاقات الاجتماعية:

يعرفها مالك بن نبي شبكة العلاقات الاجتماعية بأنها "مجموع العلاقات الاجتماعية التي توفر الصلات الضرورية داخل العوالم الثلاث من أجل تحقيق أي عمل تاريخي" وتتمثل هذه العوالم في:

- عالم الأشخاص
- عالم الأفكار
- عالم الأشياء

هذه العوالم الثلاث تعمل بشكل مشترك، لتأتي في صورة إيديولوجية من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص، بمعني أنه لا يمكن أن يتم عمل تاريخي، إذا لم تتوفر صلات بين هذه العوالم لتربط أجزائها في مجالها الخاص.[3]

---

[1] عبد المجيد قدور، **مالك بن نبي والفكرة الافروأسيوية، مالك بن نبي و الفقه الحضاري.....**، ص 121.

[2] مالك بن نبي، **فكرة كمنولث إسلامي**، ترجمة الطيب شريف، ط2، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 13.

[3] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص ص 23، 24.

ويعد بناء شبكة العلاقات الاجتماعية أول عمل تاريخي يقوم به المجتمع، إذ أن ميلاده مرهون بإكتمال وتلاحم هذه الشبكة داخل النسق الاجتماعي في إطارها الاقتصادي والسياسي والثقافي وتخضع فاعليته الأفكار في أي مجتمع لشبكة العلاقات الاجتماعية حيث يقول بن نبي " **فإذا تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كمًا وكيفًا في شبكة علاقاته...أما إذا تفككت الشبكة نهائيا ، فذلك إيذان بهلاك المجتمع** "[1] هذا العمل يؤدي إلى تحويل الإنسان من مجرد فرد تسيطر عليه غرائزه المختلفة إلى فرد ملتزم بواجباته تجاه مجتمعه.[2]

فإنشاء هذه الشبكة باعتبارها نقطة الانطلاق نحو مشروع إصلاحي تنموي تكون فيه اللبنة الأولى لاستئناف البناء الحضاري، فعندما تكون السيطرة لصالح النزعة الاجتماعية على حساب النزعة الفردية فتلك هي بداية الطريق الموفق والصحيح اتجاه التغيير والنهضة والتحضر.[3]

5) أولوية الواجب والتنمية السياسية:

يجب على المجتمع أن يركز في مبادئه الاجتماعية والسياسية والثقافية على القيام بالواجب أكثر من تركيزه على الرغبة في نيل الحق،[4]بحيث أن نؤسس لنهضتنا على أساس الواجب عن قناعة والشعور بروح المسؤولية وتجنب ما عرف به " الحقوق المهضومة " لننطلق في السعي الجاد وراء الوسائل الممكنة والفعالة، التي نواجه بها التحديات التي يطرحها بن نبي فالمجتمع المتحضر هو الذي يكفل حقوق الفرد مهما كانت قيمته، ومن جهة أخرى يجب تحقيق الانسجام بين جهود الفرد وعمل الدولة من خلال تقليص الهوى وتقريب الحاكم من المحكوم وتوجه كل منهما في اتجاه موحد تتجانس في

---

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر نفسه، ص 39.

[2] محمد العطاف، **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي**، ط1، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2009، ص127.

[3] أسعد السحمراني، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، دار النفائس، بيروت، 1984، ص 161.

[4] مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص 30.

الجهود وتتكامل، فالفعل السياسي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تبناه المجتمع في إطار تعاون بين عمل كل منهما (الدولة والمواطن) ومن اللازم ربط السياسة بالأخلاق والعلم وبقواعدها العلمية التي تراعي الجوانب الفكرية والاجتماعية والتي تعبر على خصوصية كل مجتمع .[1]

6)إعادة الدور الاجتماعي للدين :

إن العامل الديني له أهمية خاصة في بناء المجتمع وتطوره من خلال بثه للطاقة الروحية التي تدفع إلى تفعيل دور الفرد والمجتمع لتحقيق نشاط اجتماعي مشترك والذي يساهم بدوره في تنمية روح العمل الجماعي، فالفكرة الدينية هي أساس التنمية في كل مجتمع، فهي التي تهدف إلى تغيير الفرد من الداخل وتقوي عقيدته للعمل على الأفكار التي يؤمن بها ويسعى من اجلها وتقوم أيضا بضبط وإخضاع الغريزة وليس بإزالتها بل بتنظيمها وفق نظام يضمن انسجامها مع الفكرة الدينية.

وقد اهتم مالك بن نبي بالدين من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الإنسان الحضاري، وتحثه على بناء شبكة العلاقات اجتماعية قوية تحمي نفسها من أي تأثير غربي قال صل الله عليه و سلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا "متفق عليه، وكذلك ربط العوالم الثلاث عالم الأشخاص والأفكار والأشياء.[2]

كما أن الميلاد الأول للحضارة مرهون بالفكرة الدينية في إحداث التاريخ بعد دخولها في الأنفس التي آمنت بها،[3] حيث يعتبر بن نبي أن العلاقة الروحية بين الله والإنسان هي المسئولة عن العلاقات الروحية المجسدة بين الإنسان وأخيه الإنسان وكلما كانت العلاقة الدينية قوية كلما قلت درجة الفراغ الاجتماعي.[4]

---

[1] محمد العطاف، مرجع سابق، ص 138.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، مصدر سابق ، ص 46.

[3] المصدر نفسه ،ص 55.

[4] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي** ، مصدر سابق ، ص28.

إن الفكرة الدينية دائما هي التي تقوم بالتركيب الاجتماعي في شكل قيم أخلاقية وعادات وتقاليد وقواعد إدارية ومبادئ شرعية ....وغيرها فالدين هو مركب هذه القيم الاجتماعية، كما انه العامل الذي يربط بين المركب العضوي للحضارة (الإنسان والتراب والزمن)،[1]وله القدرة في التغيير على مستوى الفرد والجماعة، أي أنها تأثر في كافة الأبعاد الحضارية الفردية والمجتمعية والتاريخية.[2]

7) بناء الإنسان الجديد الغير قابل للاستعمار:

من أهم العناصر التي اهتم بدراستها في كتبه مشكلات الحضارة هو الإنسان لذلك نجده يركز على خصائص بناء الإنسان، إذ أن حركة التاريخ وركوده مرتبط بحركة الجهاز الاجتماعي الأول المتمثل في الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك معه المجتمع والتاريخ وهذا ما تدل عليه الدراسات الإنسانية ،[3] " **الإنسان هو نقطة البدء في التغيير ومهما جرت محاولات تحديثه بواسطة الاستعارة أو الشراء للمصنوعات ومنتجات التقنية فإن هذه المحاولات تكون عميقة طالما لم تبدأ من حيث يجب** "،[4] وأن أي محاولة للتغيير لا يمكنها أن تحقق نتائج ايجابية على أرض الواقع ما لم تستطع تغيير نفسية الإنسان وميولاته، فجوهر النهضة هو التحديد الذي يتم على مستوى النفسي للإنسان وينتشر هذا التجديد في شبكة العلاقات الاجتماعية، خصوصا أن بناء الإنسان لا يتم بمجرد تصفية عقله من القابلية للاستعمار، بل يجب متابعته للتخلص من ذلك التلوث الفكري نتيجة جرائم الاستعمار ومخططاته العلمية ذات الأبعاد النفسية والاجتماعية، وأصبحت تصفية رواسب

[1] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 51.

[2] Bariun fawzia ، malik **bin nabi's life and theory of civilization** ،phd ،the university micchigan ،1988 (un published) ،P160.

[3] مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص129.

[4] عبود العسكر، **مشكلات الحضارة بين مالك وخلدون**، مجلة رؤى فصلية، ع 20، 2003، ص56 .

الاستعمار أهم عمل ثوري، فالمجتمع لا يستطيع الوصول إلى أهدافه ما لم يغير الإنسان بطريقة لا رجعت فيها من حيث سلوكاته وأفكاره.[1]

8) تحقيق الفاعلية:

تتحقق الفاعلية من خلال ربط الفكر بالعمل بدل الجدل العقيم والخطابات الجوفاء، والعمل على الجمع بين العلم النظري والعقل التطبيقي، أي ربط العلم بأهداف عملية معبر عن طموحات ومتطلبات الواقع، وإذا أردنا فعالية منتجة يجب أن يعرف الإنسان قدراته وإمكانياته الذاتية ويعرف واجباته نحو مجتمعه ومعرفة دينه لأنه هو الذي يمده بالقوانين والإرشادات اللازمة لكسب القدرة على الفعالية .

ويؤكد بن نبي أن الفاعلية لا يمكن أن تجسد على أرض الواقع إلا إذا فرض الإنسان نفسه، وأكد وجوده العقلي والفعلي مستفيدا مما سبق من أحداث تاريخية ومؤمنا بإنجازات ومشاريع مستقبلية يسعى من أجل تحقيقها .[2]

[1] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه** ،ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص54.

[2] عائشة يوسف المناعي، **مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي**، مجلة المسلم المعاصر، عدد 100، لبنان، 2001، ص134.

المطلب الرابع: أسس المشروع الإصلاحي

تسعى دول العالم العربي اليوم إلى القيام بالتغيير والإصلاح والنهضة العلمية والفكرية والاقتصادية....ولكن تأثير العالم الغربي على الفكر العربي الإسلامي حال دون ذلك ، بسبب التبعية له في الفكر والاقتصاد والسياسة وحتى في النظريات الاجتماعية.

هذه الأمة المغلوب على أمرها اتخذت العالم الغربي قدوة لها، فتبعت النظم الغريبة لمجرد نجاحها في الدول الأجنبية، وأهملت دور الأخلاق والدين الذي هو أساس قيام النهضة،[1] فيرى بن نبي في هذه الظاهرة المنتشرة في سياسة الدول العربية أن من الخطأ نقل مشاريع ونظريات غربية ومحاولة تطبيقها في العالم العربي، فلكل مجتمع خصائصه وثقافته وآلياته المتحركة النابعة مما يسود داخل مجتمعه من قيم، فتكون محاولاتهم ضربا في المجهول ومضيعة للوقت، وليست لها قاعدة للقيام بالنهضة[2]

لذلك فإن أي مشروع غير صادر من الأراضي الإسلامية فهو غير مقبول على المستوى الشعبي وليس له أية قاعدة عملية، لأنه تقليد فاشل فلا يمكن شراء نهضة بل يمكن صناعتها من طرف المجتمع الواحد، فكل مجتمع تتميز نهضته عن مجتمع أخر نتيجة اختلاف الثقافات[3]،فالثقافة هي جوهر الحضارة [4]، هذا ما يخلق الضعف في البلاد الإسلامية مما جعل الأيادي الغربية الخفية تتحكم في كل شيء، فتتعمد نشر الفتن والثورات والانقلابات وتستغلها لصالحها وتفتح أبواب أسواقها لتروج منتجها وأشياءها، لذلك من

[1] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 50.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص 47، 48.

[3] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص 300.

[4] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص 104.

الضروري إعمال العقل وترشيده تثقيفا وتخطيطا وفهما للواقع قبل البدء في صنع التاريخ والحضارة.

فلقيام أي أمة بنهضة يجب عليها أن تحدد أهدافها اعتمادا على فكرة التخطيط لحمايتها من دعاة التغريب، الذين يصورون للمجتمع أن الحضارة تكمن في الآلات التي يصنعها العالم الغربي التي أثبتت نجاحها، في إطار الجهود الغربية لإبقاء الجمود الفكري والعطل الحركي، لأنهم يعلمون أن العرب لهم كل السبل لبناء حضارة عربية إسلامية ويخشون لأن يعيد التاريخ نفسه وتقود الأمة الإسلامية العالم من جديد.

لهذا فلا يمكن للحضارة أو أي نهضة أن تقوم على أشياء ومنتجات حضارة أخرى لأن كل مجتمع يقوم بإنتاج تقنيات لتحقيق أهداف ومشاريع تخدم مجتمعه وتتطابق مع ثقافته، لذا من الضروري تهيئة القاعدة الرئيسية للانطلاق في عملية البناء الحضاري حسب واقعنا الثقافي العربي الإسلامي،[1]حيث يؤمن بن نبي بفكرة أن الأمة الإسلامية يمكنها أن تقوم لأن التاريخ يثبت أنها قادت العالم من مركزها القاهرة، بغداد، قرطبة في حين أن العالم الغربي كان تحت ظلام الكنيسة وجهل مجتمعه وكثرة الحروب والصراعات، بينما الحضارة الإسلامية كانت مزدهرة بالعلوم والثقافة الراقية والفن والهندسة ....

ويشير مالك إلى أن الروح الإسلامية هي مركز الإشعاع الذي يبني حضارة الأمم الإنسانية الاتجاه والشاملة النفع، فإن الطريق إلى النهضة ليس باستيراد النظم الغربية وإنما بإتباع التعاليم الثقافية والسياسية والاقتصادية التربوية التي نزلت من السماء " **يجب أن نتعامل مع الآيات القرآنية وكأنها نزلت لتوها**"[2] الله عليه وسلم **{لا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها}.**[3]

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص 182.

[2] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق ، ص261.

[3] المرجع نفسه، ص 265.

وتنطلق خطوات مالك بن نبي نحو الإقلاع الحضاري للعالم العربي من الإسلام تعاليمه المتمثلة في خطوتين:

1. دراسة تاريخ الأمم وحضارتها وفهم منتجاتها والاستفادة من الماضي والالتزام بايجابيته وتجنب سلبياته في الواقع الثقافي والفكري العام.
2. التوجه إلى بناء المستقبل بإتباع الأحكام القرآنية والسنة ومن خلفهم من السلف الصالح وتحديد آليات التطور الاجتماعي في كل مجال من اجل صناعه الحضارة ودخول التاريخ من جديد.[1]

إن أهمية التاريخ تعتمد على إلغاء سلبيات الماضي والأخذ بايجابياته التي تأثر في الحاضر من أجل بناء المستقبل وطموحاته، اعتمادا على التوجيه الإنساني الذي مصدره الشريعة الإسلامية، التي تسعى إلى صنع مستقبل الأمة وضمان كرامة وسعادة البشر

بعد توجيه الإنسان يأتي دور إصلاح المجتمع بالتخلص من العادات والتقاليد المسيئة للإسلام والتاريخ، ومعرفة إطارنا الخلقي والاجتماعي، وتصفية العوامل التي لا تعود على الفرد بفائدة، حتى يخلو الجو الاجتماعي للأفكار الحية والداعية إلى الحياة وذلك بالالتزام بقاعدتين:

1. التخلص من سلبيات ورواسب الماضي.
2. ايجابيات تصلنا بالحياة الكريمة ومستقبل أفضل.

ويتبادر إلى الأذهان العربية أن أمر الإصلاح سيأخذ وقت طويلا وأن الاستعانة بنظريات أثبتت صلاحياتها في تحقيق النهضة في بلاد أخرى هو الحل للخروج من الوضع الحضاري السيئ التي تعيشه الأمة العربية، وهذا ما تروج له بعض المدارس الاستعمارية وأجهزتها، حيث يقدم بن نبي تحليلا مفصلا لخطر هذا الفكر على العقول العربية ويتوجه

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص183.

إلى أن هذه النظريات والقوانين العلمية التي أثبتت جدارتها في المختبرات الغربية لا تتكيف مع تطلعات العقيدة ومنهجها في كل عائلة حضارية، وهنا المطلوب هو الأصالة في التفكير وإنتاج الفكر من الواقع المعاش وتحقيق الاستقلال الحضاري في الثقافة والسياسة والاقتصاد والتربية، وتبني أهداف نابعة من ضمير الأغلبية الشعبية، وليس من السياسة والعقائد المستوردة،[1]"**لا نستطيع أن نقرر بصفة عامة مخاطر أن نقتبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا كي نطبقه على مشكلة تواجهنا في العالم العربي الإسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها وتختلف اتجاهاتها وأهدافها** "[2] ومن ناحية أخرى فإن مالك لا يعترض عن مقتضيات العصرنة أو رافضا للتحديث والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى الناجحة في بناء حضارتها، فالحضارة هي توّجه وأهداف وقيم وأحكام تسيير عملية البناء، فالاستقلالية ليست في رفض آلة وقبول أخرى، وإنما في توجيه كل الآليات والطاقات في خدمة الوجهة الحضارية ذات الشخصية المنسجمة، ولإيجاد حلول لمشكلات أي واقع يجب:

- فهم الأرضية و القاعدة التي تنطلق منها أي مشروع إصلاحي
- دراسة دقيقة لخصوصية الثقافة والسياسة والاقتصاد
- دراسة الحلول وتحديد الأهداف للخروج من الواقع المتردي

لذا يجب أن تراعى مكانة الأمة ومركزها قبل سن الحلول والمناهج التي من الضروري أن تنسجم مع أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي تعيشها أمته، أما أن تستورد حلول من الشرق والغرب فذالك مضيعة للوقت ومضاعفة المشاكل.[3]

---

[1] مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

[3] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص 47، 48.

يشكل الإسلام الجسم الأساسي للمشروع الإصلاحي والموجه والضابط لحركة التحضير للنهضة في العالم العربي، بفعل تعاليمه ومناهجه المتفهمة للواقع الاجتماعي، والحاملة لتطلعات المستقبل، وذلك بالعمل على التثقيف والتوجيه بمختلف الوسائل المتاحة، بهدف إطلاع القاعدة الشعبية بمختلف قطاعاتها على جوهر المشروع الإصلاحي الشامل لكافة الميادين، ليتبادر في فهمه والالتزام به وشحن عزائم الشعب المتحفز للتغيير، حتى يحصن نفسه من تأثير الأيادي الاستعمارية الخفية الساعية إلى تعطيل أي نهضة وتكتل داخل البلدان العربية " **إن أي فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا فانه ينتظر أفكارا معادية لنا**".[1]

وحتى يتبين لجميع العاملين في المشروع الإصلاحي أنهم في سباق مع الاستعمار الذي يريد بث ثقافته وسياسته واقتصاده ومنتجات حضارته داخل الدول المتخلفة المغلوبة على أمرها .

لذا فإن أي محاولة للنهضة والإصلاح هي بمثابة الإنذار الذي يهدد مصالح الدول الأجنبية بالتراجع والرحيل، لهذا تسعى هذه الدول إلى القضاء على أي نهضة من أي نوع في البلاد العربية المتخلفة حضاريا، رغم أنها تحتل المناصب الأولى في إنتاج مصادر الطاقة والمعادن... و ليست بالدول الضعيفة بل المستضعفة نتيجة ركودها الفكري والعقلي وتبعيتها للعامل الغربي .

إن تطبيق الأفكار وتحويل الأقوال إلى أفعال من شروط نجاح الإصلاح وهي مفاهيم أساسية في نصوص الشريعة الإسلامية قال تعالى:{**يَأَيُهَا الذِيْنَ أَمَنُوا لِمَا يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونْ كَبُر مقتًا مِنْ عِنْدِ الله أنْ يَقُولُوا مَا لا يَفْعلُونْ** } [2]هذه الآية تمثل السند الإلهي وتدفع الإنسان في عمله إلى الالتزام بالفكرة وتطبيقها لأنها ستشكل ما سميناه

[1] مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي**، مكتبة عمار، القاهرة، 1971، ص 58.

[2] القرآن الكريم، سورة الصافات، أية 2، 3.

" المشروع الإصلاحي "، وإقتران الفعل بالعمل هو أساس أي تقدم تاريخي، فمفتاح المشكلة يكمن في توجيه ثقافة الأفراد توجيها يتفق مع أي مشروع إصلاحي مع التأكيد على إعادة التوازن فيما يخص ثقافة الكم والكيف وتجنب التكديس كي تتحول الأفكار إلى عمل وتسخر القدرات المادية والغير مادية، وينتقل هذا التوازن من الفرد إلى الجماعة، فيتحرك المجتمع فعليا نتيجة تكتل الأفكار والأهداف المرتبطة بمسألة التوجيه، ليترجم الأفكار إلى أعمال تدل على السير الحسن للمنهج الإصلاحي ،كل هذه الجهود من أجل الإنسان صنع الحضارة والتاريخ وتحريره من الركود الفكري وحالة التسلط في عمله ونهب ثرواته دون قدرته على الاعتراض.[1]

ونعود إلى أهمية الإسلام ومنهجه الذي يمثل الهوية الوحيدة القادرة على فتح مجال الإبداع والحركة في النشاط الفكري والعملي لبث روح الجهاد ضد النفس وضد المنكر في المجتمع وضد الطبيعة واستغلالها فيما يخدم الجماعة، لأن الفرد لا تحدد قيمته في الحضارة العربية الإسلامية إلا من خلال الجماعة، فالإسلام يأمر في كل أحكامه (عبادات ومعاملات) على إلتزام الجماعة حتى في الصلاة.

إن التطلع إلى حياة جديدة في كنف المشروع الإصلاحي يتطلب تضافر الجهود الجماعية لا الفردية من أجل تحقيق النهضة وبعد تهذيب الذات بالروح القرآنية واستغلال الطبيعة وإخضاع التراب الذي ستقوم عليه الحضارة العربية الإسلامية وحتى يستطيع المسلمون نشر السلم والأمن مجدد إلى البشرية وحمل لواء القيادة بعد أن فقدته في عصر ما بعد الموحدين[2] كما يقول مالك بن نبي.[3]

---

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص 187.

[2] وهي فترة أفول نجم الحضارة الإسلامية بسبب استعاد الغرائز سيادتها على الإنسان ساد وما يزال . ما يسميه مالك بن نبي مجتمع ما بعد الموحدين وإنسان ما بعد الموحدين.(المصدر: مجلة الموافقات ،المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر، العدد 3 جوان 1994، ص15).

[3] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص189.

بعد تغيير الإنسان وحل مشكلاته يأتي دور إقامة شبكة من العلاقات الاجتماعية لبناء الجماعي للمجتمع وحضارته على قاعدتي الإيمان والعلم تمهيدا لبدء الحركة الاجتماعية لتحرير كل إنسان استعبدته الآلة الأوروبية فالثورة والنهضة والإصلاح لا تكون إلا بإصلاح صادر من ثوابت صلح بها أول هذه الأمة (الحضارة الإسلامية).[1]

يظهر منهج "مالك بن نبي" في تطبيق إستراتيجية إصلاحية تجديدية تستهدف تغيير الواقع الإنساني عامة وواقع العالم المتخلف، العالم الإسلامي جزء منه بصفة خاصة، بحيث تضع بين يديه آلية فكرية نظرية للخروج من التخلف وبلوغ مستوى الحضارة، فهي مشروع منهج وضعه صاحبه للقضاء على ظاهرة التخلف بعدما درسها، وكشف عن عوامل وأسباب وجودها، ولغرض الوصول إلى الحضارة بعدما درسها وكشف عن قوانينها وآلياتها الروحية والمادية، تميّز هذا المنهج بالقوة والمتانة لارتباطه بالعلم والدين والتاريخ، وبقوانين هذه الأطر الفكرية والروحية باعتبارها مصدر توجيه وقيادة في حياة الإنسان، ولإرتباطه بالفكر الإنساني القديم والحديث وبواقع الإنسان المعاصر في العالم المتقدم بما له، والعالم المتخلف بما عليه، وخاصة في العالم الإسلامي الذي لا ينقصه سوى تطبيق المناهج الكفيلة بإخراجه من عالم الانحطاط وتمكينه من الحضارة، وهو أمر ليس بعسير على إنسان بين يديه كافة شروط التحضر.

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 106.

المبحث الثاني: موقفه من بعض قضايا عصره

المطلب الأول: الثـــورة

بعد انهيار الدولة العثمانية خطط الدولة الاستعمارية لاستخلافها في مناطق العالم العربي "سد الفراغ"، وتعرض هذه الدول إلى الاحتلال بأشكاله وسيطر الاستعمار ومارس سياسته على أرضه بالقوة، مما عجل في ظهور مقاومات شعبية وحركات تحررية بذلة جهد كبير في سبيل التغيير والبناء لنيل الحرية والاستقلال، إلا أنها بعد رحيل الاستعمار ظلت تعاني من انعكاسات الظاهرة الاستعمارية وأثارها السلبية بقية حاضرة على الأوضاع الاقتصادية والثقافية والسياسية، وبقية هذه الدول ومنها الجزائر تعاني عقبات وتحديات ومشاكل لم تجد لها حلول بعد.

مفـــهوم الثـــورة:

إن أول ما يؤكد عليه مالك بن نبي هو أن ثورة الشعب لا تستورد ولا تُتعلم من كتاب و لا تنشأ بمجرد اجتماع حزبي فهي محاولة تغيير للأوضاع السائدة السياسية والاجتماعية و الثقافية..."**إنها أطراد طويلة تحتوي ما قبل الثورة والثورة نفسها وما بعدها والمراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيه لمجرد إضافة زمنية بل تمثل فيه نموا عضويا وتطورا تاريخيا، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور قد تكون النتيجة زهيدة تخيب الآمال**".[1]

فالثورة تنطلق بشكل سلمي وسليم نحو الإصلاح والتغيير وإقلاع جذور الاستعمار ورواسبه، لكن الاستعمار إذ شعر بخطر العمل الثوري فسيبادر للقضاء عليها بشتى الوسائل القمعية والإجرامية وتوجيه العملاء أو الذين تخرجوا من الدراسة الفرنسية ليوجه عملهم إلى تخريب أهداف الثورة من الداخل وهذا ما عانت منه الثورة الجزائرية.[2]

---

[1] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، مصدر سابق، ص ص 11 ،12.

[2] مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، دار الفكر، دمشق، 1979، ص 33.

وما هو معروف عند مالك بن نبي أن انطلاق أي ثورة سيصاحبها ما عرفه بالثورة المضادة، ذلك ما دفع الثورة الجزائرية لمواجهة المضادات الداخلية والخارجية التي هي أخطر من قوة السلاح والعمل على البحث عن عملاء فرنسا الذين باعوا ذمتهم لأنهم يمثلون السوس الذين ينخر جسم الثورة من الداخل « **إن كل ثورة ملزمة بأن تحمي نفسها من سائر المحاولات التخريبية** »[1]، وقد تنشأ ثورة مضادة أثناء اندلاع ثورة أصلية وتتخذ إسم وصورة ووسائل لإجهاض هذه الثورة وحَل محَلها، ويبقى مصير الثورة متوقف على مدى محافظة الثورة على محتواها وضرورة اليقظة الثورية والرقابة لأن تتحول الثورة إلى لا ثورة أو ثورة مضادة،[2] "**نجاح ثورة ما أو فشلها هو بقدر ما تحفظ بمحتواها أو تضيعه في الطريق فهذا كله خاضع لقانون فالثورة لا ترتجل**". [3]

فقد لاحظ بن نبي الكثير من الثورات التي قامت بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولم تنجح في تحقيق التغيير بل وجدت نفسها في حالة مزرية أكثر مما كانت عليه، وبذلك تقع الفوضى في البلاد وتحدث الفتن وتتدخل الأيادي الأجنبية للاستفادة من سوء الأوضاع.[4]

ويؤكد مالك أن الثورة لا ترتبط بالعنف إلا في مرحلة ما قبل الاستقلال والعمل على تصفية الاستعمار من النفوس حتى بعد إخراج جيوشه وهي المعركة الأصعب لأن الاستقلال نسبي شكليا والأرض مهيأ له للعودة ما لم تحرر النفوس والعقول من القابلية للاستعمار،[5] والثورات الداخلية والفتن والفوضى ما هي إلا انحراف الثورة على مسارها وإطارها التاريخي، لأن زعمائها سعوا وراء السلطة والمناداة بالحقوق بدلا من الحرص على أداء الوجبات وتصفية مظاهر القابلية للاستعمار.

---

[1] مالك بن نبي، **الفكرة الأفريقية الأسيوية**، مصدر سابق ، ص93.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع تونس، 1985، ص120.

[3] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، مصدر سابق، ص124.

[4] عبد اللطيف عبادة، **فقه التغيير عند مالك بن نبي**، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص285.

[5] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 219.

ويدعوا بن نبي إلى صياغة فكرة الواجب ضمن مشروع تربوي تغرسه في ضمير كل مواطن وهو العنصر الذي يحقق التفاهم والوحدة بين الحاكم وشعبه،[1]وهو ما تراه فلسفته الثورية وكلامه الموجه إلى قادة الثورة الجزائرية بروح الخائف على انحراف مبادئها نتيجة الصراعات الداخلية بين المناضلين.

لقد وصف مالك بن نبي الثورة الجزائرية على أنها من صنع الجماهير الشعبية الواسعة وليس من صنع طبقة خاصة أو نخبة "ومهما يكن من الأمر، فإن الشعب الجزائري هو الذي صنع الثورة وكان الفلاح هو الذي تحمل عبئها".

وانطلقت الثورة الجزائرية بإيديولوجية بسيطة تتلخص في كلمة واحدة هي الاستقلال[2]، وقد ربط بين عالم الأشياء وعالم الأفكار من خلال الوصول على مرحلة "الفاعلية" التي تبناها جيل الشباب آمنوا بضرورة العمل الثوري، وتم نشر وثيقة أول نوفمبر لنشر الوعي داخل المجتمع الجزائر حيث يقول العربي بن مهيدي " **ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب** " فالهدف الذي كان مرسوم هو التغيير المرتبط بالأوضاع الاجتماعية و الثقافية،[3] هذا الجيل الذي تتلمذ على يد رواد الإصلاح في الجزائريين وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس "، إن رأس المال الذي كان متوفر عشية الواحد من نوفمبر 1954م، كان في الأساس ثمرة هذا التطور الذي قامت الحركة الإصلاحية فيه بدور رئيس"[4].

[1] بشير قلاتي، مرجع سابق، ص220.

[2] عبد اللطيف عبادة، **صفحات مشرفة في فكر مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص 94.

[3] عبد العزيز رأسمال، **مالك بن نبي وتصوره للثورة التحريرية**، مالك بن نبي و الفقه الحضاري.....، ص132.

[4] مالك بن نبي، **من أجل التغيير**، دار الفكر، دمشق، 1995، ص47.

المطلب الثـاني: الاستعمــار

لقد دخل الاستعمار في كل ميدان حتى لا يتركك فرصة لأي بعث إسلامي وهو يدَّعي نقل الحضارة إلى الشعوب المتخلفة ولكن في الواقع نجده قد أفقر المستعمرات بنهب الأموال واستغلال الخيرات، ولذلك من الضروري دراسة الحركة الاستعمارية من جذورها كعلماء اجتماع لا كرجال سياسة،[1] فالاستعمار ظاهرة من طبيعة العالم الأوربي، ولهذا فإن أي اتصال بين رجل أوروبي وغير أوربي خارج أوربا هناك موقف استعماري، حيث يقول أحد الكتاب المتخصصين بدراسة نفسية الاستعمار: أن الأوربي يحب عالما دون بشر، ولو قال: إن الأوروبي يحب عالما دون شهود على جرائمه لكان هو الصواب[2].

قام بن نبي بدراسة الظاهرة الاستعمارية من جذورها وتحليلها نفسيا واجتماعيا من أجل معرفة الاستعمار وتأثيره على الإنسان والمجتمع.

الاستعمار عند مالك بن نبي:

1. الاستعمار:

يُعرف بن نبي الاستعمار على أنه نكسة في التاريخ الإنساني، ويعود أصوله إلى روما، حيث وضعت طابعها الاستعماري من سجل التاريخ ولكننا نرى في العهد الإسلامي وفتوحاته نوع جديد من العلاقات بين الشعوب إذ لم يمارس المسلمون مفهوم الاستعمار على الدول التي سيطرت عليها بل لِضمها فقط داخل الحضارة الإسلامية في الشام والعراق مثل

[1] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامية**، مصدر سابق، ص 85.

[2] محمد العبدة، مرجع سابق، ص 92.

فتحها لجنوب فرنسا وإسبانيا وشمال إفريقيا، ولا يختلف المؤرخون في أن الحضارة الإسلامية كانت تنتشر كحضارة وليس كدين.[1]

2. معامل الاستعمار:

وهو كل ما يفرضه الاستعمار على حياة الفرد بحيث يعمل على تحطيمه بوسائل ظاهرة بوضع عراقيل أمام المُستعمَر وبذلك فهو تهديم لجوهر الفرد ومحو شخصية وعبقرية بالانتقاص من قيمته وامتصاص قواه الكامنة[2] وتحوله إلى كائن مغلوب على أمره، عاطل عن العمل، ومشلولا من التفكير والحركة وجاهلا لواقعه، كي يصبح خادما للاستعمار وجعله فردا متدني أخلاقي يساهم في انتشار الرذيلة لتشتيت المجتمع وتفريق أفراده، وتعريضهم للذل والمهانة والاحتقار حيث يقول مالك " **وبذلك تكون العلة مزدوجة فكلما شعر بالداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج ،فإننا في الوقت نفسه معاملا باطنيا للمعامل الخارجي ونحط من كرامتنا بأيدينا**"[3].

ويؤثر هذا المعامل على الفرد منذ صغره عندما لا يجد التعليم والدراسة ومن يؤمن له قوة عيشه فإنه سيلجئ إلى التسول أو العمل لدى الفرنسي أو اليهودي ويكبر وينمو تحت ظل المهانة والذل، أما الذي حالفه الحظ وأكمل دراسته الجامعية بشق، الأنفس في الأخير فإنه لا ينال إلا المناصب الحقيرة مثل ما جرى مع مالك بن نبي، فالمستعمر دائما حريص على قهر وإخماد الأفكار والنفوس وجعلها تابعة له في كل شيء.[4]

وقد وضع الجنرال الفرنسي بيجو[5] أساسا لتخطيط سياسة الفرنسية الرمية لدعم الاستيطان وإقرار التوازن بين المعمرين والجزائريين والعمل على الإنقاص من القيمة الأهالي

---

[1] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، مصدر سابق، ص 48.

[2] حسن موسى محمد ، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، جامعة إسلامية غزة، 2005م، ص79.

[3] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 126.

[4] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص 147.

[5] **بيجو**: (1784-1949)قائد فرنسي ومؤسس المكاتب العربية في الجزائر مارس سياسة القهر والاضطهاد والتدمير خلال فترة حكمه للجزائر1940.(المصدر:محمد سيف الاسلام، البصائر،www.albassair،2016/05/20، 00:10)

وتحطيم قواهم الداخلية بطرق فنية حيث يقول مالك " **كأنه معامل جبري وضع أمام قيمة كل فرد يقصد التنقيص من قيمته الإيجابية** ".[1]

3. القابلية للاستعمار:

وهو تأثُّر الفرد نفسيا بسياسة المستعمر والشعور بالهزيمة ووجوب التوجه لخدمة الغالب بحيث يصبح الإنسان قابلا للاستعمار وخادما له وهو من أشهر المفاهيم لدى مالك بن نبي فهذا المعامل ينبعث من داخل الفرد الذي يقبل على نفسه تلك الصورة ويسير وفق القانون الذي يضعه له المستعمر وحدد له حركته وأفكاره وحياته والدليل على ذلك قبول الجزائريين مصطلح الأهلي الذي ألصقته فرنسا على الجزائريين منذ استأهلتم على شؤونهم وظل هذا المصطلح متداولا بين رجال السياسة وحتى في الكتب التاريخية.[2]

تمثل القابلية للاستعمار عائقا حضاريا داخليا ويمثل الاستعمار عائقا حضاريا خارجيا يسعى كل منهما إلى إعاقة العالم الإسلامي، ومنع ظهور أي بعث حضاري من خلال السيطرة على العقول وشل الأفكار، حتى لا تستطيع تجاوز مصاعبها النفسية والاجتماعية إضافة إلى طمس قيمته وإمكانياته وممارسة سياسة الاستبداد والقهر كما هو الآن في شمال إفريقيا[3]

إن الاستعمار أخطر شيء ابتلي به الشعب الجزائر لفترة 130سنة، والعالم العربي الإسلامي حيث شلت الطاقات وخربت العقول واستنزاف الثروات لكن لم تكن الظاهرة الاستعمارية صدفة بل كانت نتيجة الانحطاط الحضاري الذي كانت تعيشه الأمة، حيث يقول مالك " **فإن جميع الظروف الاجتماعية التي تحيط بالفرد تدل على قابليته للاستعمار وفي هذه الحالة يصبح الاحتلال الأجنبي استعمارا وقدر محتوما**".

---

[1] المصدر نفسه، ص 146.

[2] حسن موسى محمد العقبي، مرجع سابق، ص 80.

[3] جيلالي بوبكر، مرجع سابق، ص 126.

ويصف مالك القابلية للاستعمار بأنه مرض يصيب الإنسان فيفقده مناعته الذاتية وهذا ما أصاب حضارتنا الإسلامية كما حدث مع الخلافة العباسية بعد غزو التتار للعالم الإسلامي وانتصار المسلمين وكما حدث للألمان واليابان في الحرب العالمية الثانية حيث سرعان ما استعاد كل منهما قوته بعد الحرب مباشرة إذ لم تكن لديهم هذه القابلية.[1]

فهناك فرق بين بلد مغزو وبلد مستعمر، فالأول كان فيه تركيب حضاري وتكامل بين عوالمه الاجتماعية فهو غير قابل للاستعمار، أما الثاني فتوجد فيه مجرد تجمعات إنسانية تتميز باختلال ثقافي فهو مجتمع مؤهلا نفسيا للاستعمار.

فلا سبيل إلى الحضارة أمام مجتمع سيطرت على عقله فكرة القابلية للاستعمار فهو يسير وفق ما يرسمه له الاستعمار ويشعر بأن كل ما يقوم به و يقوله هذا الأخير هو الصواب.

ولكي نتخلص من الاستعمار الآثم على قلوبنا علينا أن نتخلص أولاً من القابلية للاستعمار" أمام ضرورة ملحة ألا وهي تصفية الاستعمار من العقول قبل كل شيء، فتصفية الاستعمار من العقول تتطلب معرفة مفهوم الثقافة والحضارة، فهي لا تتحقق بمجرد انسحاب الجيوش الاستعمارية"[2].

فإن السبيل إلى تحقيق النهضة وتصفية الاستعمار إنما يتم من خلال تصفية القابلية له، إذ هي التي تهيئ للاستعمار و تدعوه، ففي الحركة التاريخية لا تبدأ الظاهرة بالاستعمار بل بالقابلية للاستعمار الناتجة عن عجز الناس وخمول عقولهم خاصة في بلاد الإسلام وما ينتج عنه من تخلف فكري وانحطاط أخلاقي والتبعية للعالم الغربي في كل شيء.[3]

[1] كمال لدرع، **مسيرة التغيير من الثورة إلى الاستقلال**، مالك بن نبي و الفقه الحضاري....، ص110.

[2] مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، مصدر سابق، ص33.

[3] عبد الله بن حمد العويسي، مرجع سابق، ص461.

المطلب الثالث: المجتمع

إن مشروع مالك بن نبي الحضاري ركز على الإنسان أولا كونه المؤثر على ما حوله، ومبرزا أن قوة الإنسان تكن في الجماعة وليس في الفرد، فقام بتقديم دراسة شاملة حول شبكة العلاقات الاجتماعية التي تؤسس لميلاد مجتمع في مسيرة التاريخ.

يعرف مالك بن نبي المجتمع الحقيقي على أنه الجماعة التي تغير دائما خصائصها بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير[1]، فالمجتمع لا يقصد به تجمع أفراد على أساس الاشتراك في العادات والتقاليد والمحيط الواحد والخضوع لقوانين مشتركة بل هو تحديد الأهداف والعمل الجماعي على تحقيقها وهو يشبه الفرق بين رأس المال والثروة(الرأس مال متحرك والثروة مكدسة وساكنة).[2]

وهنا يكمن الفرق بين مفهوم المجتمع وسائر أشكال الجماعات الإنسانية أي أن المجتمع يجب أن تخضع لمبدأ الحركة مع الالتزام بتغيير الذات للوصول إلى غايتها.[3]

ينقسم المجتمع حسب مالك بن نبي إلى قسمين:

1. المجتمع الطبيعي(البدائي):

وهو مجرد تجمع أفراد في مرحلة ما قبل الحضارة و يعرف بأنه لا يملك أهداف أو غايات واضحة سوى تلبية متطلبات العيش كالمجتمع الجاهلي وبعض المجتمعات في أدغال إفريقيا.

---

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص17.

[2] البشير قلاتي، مرجع سابق، ص 105.

[3] عمر كامل مسقاوي، **في صحبة مالك ب نبي**، ج1، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2013، ص 882.

2. المجتمع التاريخي:

وهو المجتمع الذي نشأ على أساس فكرة أو عقيدة كالمجتمع الإسلامي أو الأوروبي أو السوفيتي...، وهو المجتمع الذي ولد في ظروف معينة لذا قام بتعديل بعض صفاته البدائية في إطار عملية التغيير تأخذ الإنسان محور لها وهو تعديل قابل لفكرة الاجتماع والانخراط في شبكة علاقات اجتماعية متجاوز بذلك عالم الأشياء إلى عالم الأفكار في عملية خلق الفكر الذي يساهم في تحديد الأهداف والإبداع.

ويؤكد مالك بن نبي أن المجتمع التاريخي ينشأ بطريقتين:

- المجتمع الذي يولد عن طريق الظروف الطبيعية الخاصة بالوسط الذي يعيش فيه سواء تعرض لتنوع المفاجئ أو أن العناصر المكونة له قد واجهت ظروف وسط طبيعي جديد وهذا هو النموذج الجغرافي الذي ينتمي إليه المجتمع الأمريكي والذي تشكل من خلال الهجرات الأوربية التي شكلت إرهاصات مجتمع يتكيف مع الظروف الطبيعية في القارة الجديدة.
- المجتمع الذي يولد تلبية لأفكار (نموذج الإيديولوجي) وهو المجتمع الذي ينتمي إليه المجتمع الإسلامي والمجتمع الأوروبي والسوفيتي، فما أن يتشكل هذا المجتمع التاريخي حتى يكتسب خاصية الحرية والمسؤولية تجعله يدافع على كيانه الجديد[1] بحيث نجد هذا المجتمع في سعادة لأداءه الوظيفة الحضارية، ويقول مالك " **فإن دفاعه عن أسلوب حياته هو دفاع عن شخصية وعن مبدأ إدماج أفراد في نطاقه... كما يصبح المجتمع بمثابة المعرف بهم**"،[2] ومنه فإن وجود روابط اجتماعية قوية داخل المجتمعات الإسلامية أمر ضرورية في البناء الحضاري.

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 12.

[2] مالك بن نبي،**القضايا الكبرى**، مصدر سابق، ص 84.

إن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده،[1]وهو أننا نصنع التاريخ حينما نقوم بنشاط مشترك والذي يعني تقسم الأدوار من جهة وتكاملها من جهة أخرى أي بناء شبكة العلاقات متينة وقوية ولن تتحقق هذه الفكرة إلا بتغيير نفسية الأفكار للإنسان وتحول فكره من مجرد كائن طبيعي إلى كائن اجتماعي أي من حالة البدائية إلى حالة الاجتماعية، أن تحول الإنسان من فرد تسيطر عليه غرائزه المختلفة إلى شخص ملتزم بواجباته تجاه غيره من البشر،[2] وتنمية القدرة على الانسجام الاجتماعي وإدماج الفرد في جماعة والمشاركة في الأعمال الجماعية كل حسب طاقته من أجل ترقية المجتمع وتأسس شبكة اجتماعية قوية تتحكم في تطور المجتمع،[3]بشرط أن تضمن الجماعة حق الفرد "**فالبنية الاجتماعية لا تبلغ كمالها الخلقي والحضاري إلا بهذه العلاقة التبادلية بين طاقة حيوية مندفعة وضمانات اجتماعية يكفلها المجتمع لأبنائه** "[4]

فالروح الجماعية من المقومات الأساسية لبناء علاقات إجتماعية وهي أهم سمة فقدها المجتمع الإسلامي وغيابها كان السبب في نكسة المجتمع و حضارته وعودة هذه الروح الجماعية شرط جوهري لأية نهضة حضارية [5]

---

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر نفسه، ص28.

[2] محمد العطاف، مرجع سابق، ص 127.

[3] الطيب البرغوت، **موقع المسألة الثقافية من إستراجية التجديد الحضاري** عند مالك بن نبي، ط1، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر، 1993، ص 25.

[4] مولاي الخليفة مشيشي، **مالك بن نبي**، ط1، دار النايا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2012، ص 126.

[5] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، مصدر سابق، ص 225.

عوامل بناء المجـتمع:

تكون مجتمع و ظهوره لحظة انبثاق الحضارة كما يقول مالك وإذا حلت مشكلة الإنسان فإننا وجدنا الحل للمجتمع والحضارة، لأن بداية تكون أي مجتمع تأتي عن طريق تبني فكرة دينية كونها جوهر أي تغير فهي معتقد قوي يحرك الإنسان بها ولها، فيشكل التركيب العضوي التاريخي بين الإنسان والتراب والزمن تربط وتوجه هذا التركيب الفكرة الدينية فهي طاقة روحية قد تكون سلبية وإيجابية تعمل على التأثر على أشخاص وعالم الأشياء والأفكار وبذلك يشكل آليا عالم ثالث هو شبكة علاقات اجتماعية.

تتسابق هذه العوالم لتبني مجتمعا في إطار الحضارة، فالأشخاص بأهدافهم وغاياتهم والأفكار بتوجهها الإيديولوجي والأشياء بوسائلها التنفيذية وشبكة العلاقات الاجتماعية لتطوره و تحفظ كيانه وحركته،[1] ولذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية العالم الرابع ووجوب تضييق مبدأ المآخاة «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعض» وهو حديث يعطي الصورة الدقيقة التي كان عليها المجتمع الإسلامي في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فرغم قلة الإمكانيات المادية من الأشياء إلا أن الروح الإيمانية هي التي كانت تغذي النفوس فتحققت أعظم الفتوح والانتصارات نتيجة تأثير الفكرة الدينية في عقول الناس و نفوسهم.[2] وبتطور الفرد ستتطور الجماعة وإذا تطورت الجماعة سيظهر لنا مجتمع راق في جميع الميادين بفعل الأفكار التي تقوده إلى التحضر والبناء.[3]

فقد كانت الفكرة الدينية بمثابة الوقود، فليس المهم في تغيير الإنسان أن يغير نمط عيشه أو لباسها أو نوعية الأثاث بل المهم أن تحدد له إطاره الحضاري في مجال الثقافة والأخلاق والاقتصاد وكافة المجالات كي يكون مجتمع قوي.

---

[1] البشير قيلاتي، مرجع سابق، ص106.

[2] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص 10.

[3] مصدر نفسه، ص16.

المطلـب الرابع: المـرأة

اهتم مالك بن نبي بمشكلة المرآة ورفض دراستها منفردة عن الرجل لأنهما في الحقيقية يعيشان مشكلة واحدة مشكلة الفرد في المجتمع، ودرس هذه المشكلة من خلال النظرة والواقع الاجتماعي للمرأة في بلدان العالم الثالث انطلاقا من أنها لها دور أساسي في تكوين الفرد الفعال والغير فعال وتنسج برعايتها وعاطفتها شبكة العلاقات القومية بين أفراد الأسرة وأنها المؤشر على نجاح أو فشل أعداد الأشخاص[1] وتكوينهم التربوي.

ويدعو إلى الإستفادة من التجربة الأوربية التي قامت بتحرير المرأة ودخولها المجتمع دون تخطيط أو توجيه وقذف بها إلى المكاتب والإدارات في بيئة يمكن أن تكون خطيرة على أخلاقها وكرامتها وتركها في حرية مشئومة ليس لها ولا للمجتمع أي فائدة، مما انعكس سلبا على مستوى العلاقات الإجتماعية، وفقد المجتمع هذا العنصر المهم في بناء الأسرة وجنَت أوربا ثمار هذه الحرية في مشكلات أخلاقية من نوع جديد نتيجة الانحلال الأسري ، وأصبحت المرأة سلعة تجارية تستخدم في الدعايات والأفلام والمجلات من أجل جلب الزبائن.[2]

أما المرأة العربية المسلمة فقد عانت من تسَّلط المجتمع والرجل ومن العادات والتقاليد المجحفة لحقوق المرأة، كان هذا نتيجة لمجتمع سقط حضاريا وحصل فيه سوء فهم وتطبيق للشريعة الإسلامية التي أعطت للمرأة حقوقها ودورا أهم و أخطر من دور الرجل في بناء المجتمع.[3]

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص114، 115.

[2] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص231.

[3] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مصدر سابق، ص ص98، 99.

يقول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن بر الوالدين فقال" أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبيك" وقام بتكريم الأم على الأب لفضلها وتعظيما لدورها في تكوين المجتمع لأنها تتمتع بدور هام في مراحل بناء الحضارة.

وركز الاستعمار الجديد على إفساد المرأة بشتى الطرق والوسائل كمقدمة لإفساد المجتمع وذلك ما ساعدت عليه نفوس المجتمعات المتخلفة والمستضعفة من تقليد أعمى للمرأة الأوربية في مظهرها إذ أصبحت المرأة العربية المسلمة نموذج للمرأة الأوربية في ملبسها ومظهرها وطرق عيشها "**المغلوب دائما مولع بالغالب** "[1]، وبربط المرأة بقيم الجسد المستخدمة في الإعلام بهدف إغراء النفوس الضعيفة وهذا ما أدى إلى احتقار المرأة للعمل الأسري التربوي وتفضيل إمضاء الوقت في الشارع أو العمل بدل البيت، لذلك يرى مالك بن نبي أنه " **يجب أن نعيد للمرأة الكرامة التي وهبها لها الإسلام عندما أنفذها من عادات الجاهلية القاسية، ولكن فلنعد لها كرامتها لنجعل منها السيدة التي توحي إلى الرجل العواطف الشريفة لا الفارسة التي تسيطر عليه** "، فالمرأة هي رباط وحدة المجتمع ومخزن الحنان والحب والعواطف التي ينشأ عليها أي فرد في المجتمع.[2]

ولإصلاح التربية في العالم العربي الإسلامي يجب أولا أن تتغير نظرة المرأة إلى نفسها وتغير نظرة المجتمع لها، وتعطيل دورها في التربية والرعاية هو تعطيل لنهوض المجتمع وتعطيل لطاقة مهمة تساعد بشكل أساسي على البناء الحضاري كونها نصف المجتمع و نصف الرجل لقوله ص«النساء شقائق الرجال» وقوله تعالى« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثر ونساء »[3]

[1] أسعد السحمراني، مرجع سابق، ص232.

[2] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مصدر سابق، ص 100.

[3] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 1.

فهذه المرجعية الدينية تفيد بأن المرأة والرجل يشكلان قطبا الإنسانية، وأن لا معنى لأحدهما دون الأخر نظرا للدور الاجتماعي المنتظر من كل منهما فلاغني للمجتمع، ولا للحياة بدون شق منهما، فبن نبي يراعي مصالح المجتمع ويؤمن بدورهما، ويشرح لنا أن مسألة تحديد المرأة هو تحديد دورها الإجتماعي الطبيعي والوظيفي.[1]

كما دعى إلى دراسة مشكلة المرأة و تعين وسائل حلها في مؤتمر لتصبح قراراته دستورا يلتزم به لتكوين المرأة في العالم الإسلامي.[2]

وإن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات، فإن المرأة قد كونت نوابغ الرجال، ونحن نرى لزْامًا علينا أن يكون تناولنا للموضوع بعيدا عن تلك الأناشيد الشعرية، التي تدعو إلى تحرير المرأة، فالمشكلة لا تتحدد في الجنس اللطيف فحسب، أو في بنات المدن، أو بنات الأسر الراقية، بل هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبله وحضارته.

[1] جرامو لويزة، مرجع سابق، ص 120.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص 121.

المبحث الثالث: أثره في الجزائر بعد الاستقلال

المطلب الأول: مالك بن نبي والعمل الطلابي الجامعي

كان لجهود مالك بن نبي في الجزائر بعد الاستقلال 1962م أهمية كبيرة في نقل الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي والعمل على تطبيق منهجه الإصلاحي معتمدا على الجامعة والنخبة الطلابية في إنتاج تيار فكري إسلامي متميز وتأسيس حركة إسلامية منظمة في الجزائر.

بعد رجوعه من مصر 1963م واستقراره بالجزائر وكله أمل في تجسيد معالم مجتمع متحضر، عين مديرا للتعليم العالي وكلف بإنشاء مركز للتوجيه الثقافي وساهم في تجميع الفعاليات الطلابية وبدأ يمارس نشاطه الثقافي والتنويري بين صفوفها، فحسب الطيب برغوث[1] فإن الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال في حاجة إلى فكر وحماس و تضحية وهو ما لا يقدر عليه إلا النخبة المثقفة الجامعية.[2]

كان توجه المفكر مالك بن نبي الإصلاحي مميز ومختلفا عن خطابات العلماء وشيوخ الجمعية فهو يشترك معهم في الأهداف فقط، أما المنهج فهو نقطة الاختلاف بينهم، بحث أنه يركز على إعادة الفاعلية للعقيدة المسلمة لا أن يعلم المسلم عقيدة يملكها، بالإضافة إلى تصفية الاستعمار من العقول ونبذ التكديس للأشخاص والأشياء[3]، وسيبدأ

---

[1] **الطيب البرغوث:**من مواليد 1951م باتنة، أحد القيادات الفكرية والحركية في جماعة البناء الحضاري ، حاصل على شهادة الليسانس في علم الاجتماع الثقافي ودبلوم الدراسات المعمقة في"نظرية مالك بن نبي في الثقافة" والماجستير في مناهج الدعوة تقلد عدة مناصب في جامعة الأمير عبد القادر، (أنظر الطاهر سعود، مرجع سابق، ص618)

[2] نورة خالد السعد، مرجع سابق ، ص 29.

[3] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 417.

عمله الإصلاحي بتكوين نخبة من المثقفين لنشر الوعي وتثقيف المجتمع ومتخذا منها محور لنشاطه الإصلاحي.[1] إستهل نشاطه الفكري والثقافي في مسجد الكبير بالعاصمة، كما شكل مجموعة تضم نخبة من الجامعيين والباحثين في إطار تنظيم حلقات فكرية يطرح فيها نظرياته الفلسفية حول الحضارة ومشكلاتها، وفي 1967م قدم استقالته ليتفرغ إلى نشر الوعي الفكري الحضاري وبث الفعالية في العمل والسلوك وكذلك تنظيم حلقات أسبوعية في بيته حتى توفي 1973م.

آمن بن نبي بأن جوهر المشكلات الحضارية يكمن في الأفكار، لذلك اتخذ من النخبة المثقفة الجامعية محورا لمشروعه الإصلاحي، لأنها الفئة التي ستقود عملية إصلاح المجتمع وتصفية الاستعمار من عقولهم، بالإضافة إلى أن الجزائر في تلك المرحلة كانت بحاجة إلى إطارات جامعية مؤهلة لتغطية العجز في جميع القطاعات وكان حريص على انتقاء الشباب الجامعي بحسب سيرتهم والتزامهم الإسلامي لحضور حلقاته التي يقدمها في بيته، ولفترة وجيزة تحولت هذه الحلقات العلمية إلى ناد ثقافي رفيع المستوى حيث زادت نسبة الحضور من طلبة وأساتذة من داخل وخارج الجزائر ومسئولين في الدولة، في هذه الحلقات العلمية حرص بن نبي على تلقين طلابه تمارين التحليل والتفسير والمعالجة المنهجية للأفكار والأطروحات المعاصرة ونقد مختلف التيارات التغريبية الزاحفة على المجتمع، ولكن ما لاحظه الطلبة الجزائريين والمتفرنسين هو غياب بعض العناصر الإسلامية الرائدة عن هذه الحلقات أمثال عباس المداني[2] وعبد اللطيف سلطاني[3]

---

[1] مولود عويمر، مرجع سابق،ص 28.

[2] **عباس المدني:** من مواليد 1936م بسيدي عقبة ولاية بسكرة مجاهد ومناضل جزائري متحصل على شهادة الدكتوراه درجة ثالثة في علم النفس التربوي والحاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة انجلترا حول انظمة التعليم في فرنسا وانجلترا و الجزائر من مؤلفاته مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، (المصدر: الطاهر سعود، مرجع سابق، ص614.)

[3] **عبد اللطيف سلطاني:** ولد ببلدية القنطرة ولاية باتنة في 1902م درس في جامعة الزيتونة ومدرس وإمام وخطيب مؤسس مسجد الأرقم ابن الأرقم بالعاصمة، انتقد بشدة توجهات و مواقف بن بلة والشادلي اتجاه الإسلام، من مؤلفاته في سبيل العقيدة الإسلامية، (المرجع نفسه ص 602.)

وغيرهم من اصحاب الفكر التجديدي في الجزائر.[1]

استمرت هذه الحلقات من 1966م إلى 1973م أنار فيها بن نبي عقول النخبة الطلابية وغيرها وانعكست بالإيجاب على الفعاليات الطلابية المتجمعة حوله وكان من نتائجها،فتح أول مسجد بجامعة الجزائر والعالم العربي في سبتمبر 1968م وظهور الطالبات المتحجبات في 1969م [2] وبداية ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي في الجزائر، هذه الجهود التي قام بها المفكر مالك بن نبي لم تسلم من بعض العقبات والصعوبات بالنسبة للجامعة أو الدولة الجزائرية. [3]

[1] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 419. .

[2] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص ص419، 420.

[3] محمد الهادي الحسني، مالك بن نبي لمحات من حياته وقبسات من فكره، مجلة الموافقات، العدد3، الجزائر، ص 284.

المطلب الثاني: تأسيس مسجد الجامعة المركزية

يعد بناء مسجد الجامعة المركزية محطة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر، إذ يعتبر أول مسجد في جامعة الجزائر والعالم العربي الإسلامي، ولم يكن مسجد للذكر وللصلاة فقط بل فضاء يلتقي فيه الطلبة الجامعيين لمناقشة أفكار النهضة وشروطها، كما يعد هذا الانجاز نتيجة تلك الندوات والمحاضرات التي كان يلقيها مالك بن نبي في بيته وكذلك فرض الطلاب مكانتهم في صناعة القرار داخل الجامعة ليتحولوا إلى قوة ضغط على المجموعات اليسارية، وأصبح هذا المسجد يمثل المكان الذي نمت فيه الحركة الإسلامية ومكان يلتقي فيه الإسلاميون الجزائريون 1970م/1980م.

وتأكد الشهادات على أن هذا الفضاء الديني والثقافي هو مهد الحركات الإسلامية الجزائرية، فهو مصنع لإنتاج الشباب المسلم المتشبع بالأفكار الإصلاحية والمنجذب نحو مشروع المجتمع الإسلامي، وقد ظل حتى بعد وفاة مالك بن نبي مركز لمناقشة الفكر البنابوي[1] وإعادة إحيائه.

إن تأسيس هذا المسجد الجامعي كان بمبادرة من طلابه حيث يقول عبد الوهاب[2] حمودة احد تلامذة بن نبي "إننا طرحنا على مالك بن نبي في الحلقات الأسبوعية في داره ....وساهم بقوة في توجيهنا للحصول على هذا المصلى وبمبادرة من أربعة من الطلبة ممن كانوا يحضرون هذه الندوات تم افتتاح هذا المكان ليكون قاعة للصلاة خاصة بالأساتذة و الطلبة.

---

[1] نسبة إلي مالك بن نبي

[2] عبد الوهاب حمودة: من مواليد ولاية سطيف 1939م، درس بجامعة الجزائر تخرج منها بشهادة الليسانس في آداب واللغة العربية ثمّ درّس بها، من تلاميذ مالك بن نبي و كان من ابرز الفاعلين في تنشيط و تنظيم ملتقى الفكر الإسلامي. (أنظر الطاهر سعود، مرجع سابق ص608.)

وإذا كانت البداية بمسجد الطلبة بالجامعة المركزية فإن أبرز ما في جدول أعمال هؤلاء المناضلين هو إنشاء وفتح المساجد في الفضاء الجامعي والعمالي، فمند تأسيس المسجد في الجامعة المركزية 1968م توالت ظاهرت فتح المساجد والمصليات داخل الفضاء الجامعي وأصبح شعارهم " مسجد لكل جامعة، مسجد في كل حي ومكان عمل".[1]

ولم تكن تظهر أي مؤسسة إلا و بها مكان للصلاة، وظل مسجد الجامعة المركزية الذي أسس على ضوء الأفكار البنابوية لفترة طويلة رائدة في نشاطها وحركتها لتتوسع فيما بعد دوره بحسب العناصر الطلابية المتأثرة بحماسة وديناميكية التي أحدثتها ندوات بن نبي، وكذلك بداية عقد الملتقيات للتعريف بالفكر الإسلامي من 1968م إلى 1982م في عدة ولايات، وكذا استحداث وسائل العمل جديدة كي تكون للحركة فاعلية أكثر كالعمل النقابي الجامعي ومعارض الكتاب 1971م.

بعض خصائص المجموعة التي أسست مسجد الطلبة.[2] :

الاسم و اللقب	التخصص	لغة التكوين
عبد الوهاب حمودة	أدب و لغة عربية	مزدوج اللغة
عبد القادر حميتو	مهندس	فرنسية
عبد العزيز بوليفة	صيدلة	فرنسية
محمد جاب الله	طب	فرنسية

[1] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 423-425.

المطلب الثالث: تأسيس جماعة البناء الحضاري

تأسست هذه الحركة في الجامعة الجزائرية على يد الطلاب المتأثرين بفكر مالك بن نبي ومشروعه الإصلاحي حول النهضة والبناء الحضاري وتمثل الحركة ثمار الدروس والحلقات الأسبوعية التي كانت تعقد في بيته، حيث انه وفر المناخ النفسي والفكري والثقافي للطلبة لكي يتمكنوا من قيادة النهضة في الجزائر من بعده، وبث فيهم روح الإحساس بالواجب وأهمية دورهم كنخبة وطنية في إصلاح الأوضاع التي تركها الاستعمار، هذه العوامل لعبت دور كبير في تأسيس حركة البناء الحضاري التي تسعى إلى تجسيد الأفكار البنابوية التي آمنوا بها، وكان في قيادتها شخصيات عادوا من الجامعات الفرنسية والأمريكية بعد الاستقلال منهم عبد الحميد شيكو[1]ومحمد التيجاني بوجلخة [2] والطيب برغوث[3] انخرطوا في صفوف الطلبة الجزائريين واستفادوا من خبرتهم الإدارية والعلمية في مسجد الجامعة المركزية وتتلمذوا على يد مالك بن نبي، لتتأسس أولى الحركات الإسلامية المنظمة في الجزائر، وأصبح لها منذ 1972م كيان منظم واضح المعالم والأهداف والاتجاهات[4]، كما أن لها مؤسساتها وهياكلها الإدارية والقيادية وباشرت الحركة نشاطها و نضالها في الوسط الطلابي والاجتماعي في اغلب مناطق الجزائر وعقد ملتقيات

---

[1] **عبد الحميد تشيكو:** من تلاميذ مالك بن نبي، حاصل على شهادة الدكتوراه في الفيزياء من جامعة أمريكية، أسس رفقة بوجلخة " جماعة البناء الحضاري" ويعتبر من أعمدة تعريب العلوم الأساسية في الجزائر، (المصدر الطاهر سعود، مرجع سابق، ص619.)

[2] **محمد التيجاني بوجلخة:** ثاني زعيم لحركة جماعة البناء الحضاري ولد بواد سوف، سجن 1982م إثر تجمع الجامعة المركزية الذي دعا إليه عباس مدني، حاصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة الأمريكية وله نظريات رياضية سميت بإسمه، يتواجد الأن في الولايات الأمريكية كمدرس في معهد لعلوم الرياضيات،(مرجع نفسه، ص618.)

[3] **الطيب البرغوث:** من مواليد 1951م أحد القيادات الفكرية والحركية في جماعة البناء الحضاري، أصدر 20 كتاب حول الدعوة و أفكر من أهمها " نظرية مالك بن نبي في الثقافة، (مرجع نفسه، ص617.)

[4] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص444.

للتعريف بالفكر الإسلامي وإقامة معارض للكتاب ونشر أفكار النهضة في كل فضاء جامعي وفي المساجد، لم يقم مالك بن نبي بتأسيس أو لم يكن له دور في هذه الحركة حسب ما هو شائع، بل تمثل هذه الأخيرة نتائج أفكاره وأطروحاته الفكرية البناءة التي كان يبثها من خلال حلقاته الثقافية العلمية، وبذالك وفر المناخ الفكري والمعرفي للطلبة ومكنهم من استشعار مكانتهم كنخبة جامعية في عملية التغيير والإصلاح . [1]

[1] الطاهر سعود، مرجع سابق، ص ص 445.

خاتمة

إنّ المتصفح لفلسفة "مالك بن نبي" في الإصلاح ولنظريته في الحضارة والتجديد، يكتشف عالما فكرياً فلسفياً مليئاً بالمفاهيم وغنياً بالتصورات وفريداً في نوعه وجديداً في العديد من جوانبه، خاصة فيما يتعلق بالحضارة وعناصرها وشروطها وأطوارها، لأنه كان شاهد على عصر الإنحطاط والتخلف التي كانت تعيشه معظم البلاد العربية والإسلامية نتيجة سيطرة الإستعمار على العقول أولا ثم ثم توجيه المجتمع المستعمر إلى ما يخدم مصالحه، مما دفع المفكر الجزائري للتوجه إلى تحليل الواقع وتقصي التاريخ ومراجعة وتفسير ونقد كل ما كتب عن الحضارة والبحث عن أسباب قيامها وسقوطها من أجل إستئناف الإصلاح والتجديد والبناء الحضاري واسترجاع أمجاد الحضارة الإسلامية التي قادت العالم في وقت مضى، وبمنهج علمي استلهمه من إنتمائه الديني وتكوينه العلمي والتقني الذي ميزه عن غيره من المفكرين ومستخدما في ذلك منطق الرياضي وطريقة المؤرخ وتحليل الكيميائي وأسلوب عالم الإجتماع .... من أجل إيجاد حلول ناجعة تؤدي إلى حل المشكل من جذوره، والتنبؤ بمسار الأحداث التاريخية، وسن القوانين والمبادئ التي يقوم عليها بنيان المجتمع وتنظم على أساسها علاقات الأفراد وقطاعات المجتمع.

1. تعد مذكرة المفكر" شاهد للقرن" مصدر مهم في تايخ الجزائر ومن الضروري الاعتماد عليه في الدراسات التاريخية التي تعالج القضايا المعاصرة .
2. ساهمت رحلاته وتنقلاته للعمل أو طلب العلم في التعرف على الكثير من رواد الإصلاح في العالم العربي والغربي وسمحت له أيضا بالتعرف على خصائص والمميزات المختلفة بين المجتمعات وأثر في تكوينه الفكري.
3. تمكن بن نبي من وضع إستراتيجية للبناء الحضاري بعد أن أمضي ربع قرن في الدراسة والتحليل والإستنتاج.

4. كان يبحث عن القوانين والسنن التي تحكم الحركة الإجتماعية والحركة الانسانية من أجل توجيه الإنسان إلى ما يخدمه ويخدم أمته.
5. أعطى بن نبي مفهوم جديد للحضارة من حيث أنها تقوم على الإنسان والتراب والزمن عند تفاعل هذه العناصر تتكون شبكة من العلاقات الإجتماعية ويهتم العامل الديني بتنظيم العلاقة بين هذه العناصر.
6. يرى صاحب الترجمة أنه من واجبنا تأسيس المشروع الحضاري على أساس إنسان راق وفاهم لأفكاره وثقافته ومستقل بها من الإنبهار بالأجنبي ويجب أن يعرف التقدم بأنه الإلتزام بالهوية والسير وفق منظومة القيم التي صاغتها حضارتنا وديننا وثقافتنا.
7. لم يبتعد مالك بن نبي في منهجه وأفكاره عن الإسلام بل شكل من الشريعة الإسلامية قاعدة لأفكاره وأسسا لمؤلفاته.
8. لم يكن بن نبي ضد الإنفتاح على الشعوب الأخرى بل كان ضد الأفكار التي تعتقد أن نظريات وايديولوجيات العالم الغربي هي الحل لتدارك الحضارة وتحقيق التطور والتنمية في العالم العربي.
9. المشروع الحضاري يجب أن يصدر من أرض الأمة العقائدي والفكري والفني والأدبي لأن الحضارة تبيع أشيائها ولا تبيع نفسها.
10. الإستعمار هو نتيجة التخلف الفكري وليس سبب فيه وهو نتيجة لفترة طويلة من الإنهيار في عالم الأشخاص والأفكار.

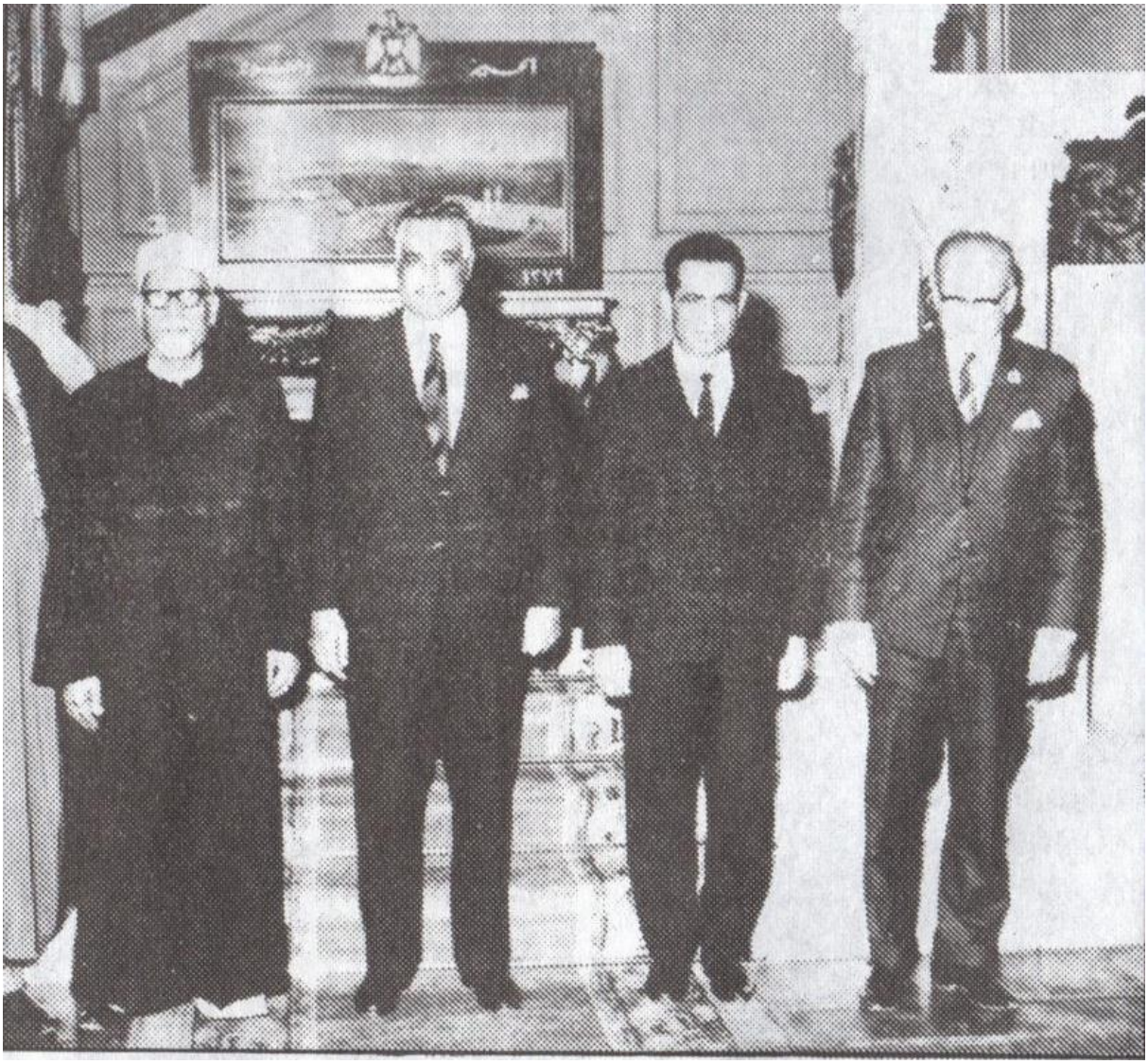

صورة يظهر فيها المفكر مالك بن نبي مع جمال عبد الناصر

المصدر: عبد الحميم، عويس،**الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي، مجلة الفيصل،** العدد 96، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 1993 م.

الملحق رقم 01

مالك بن نبي رفقة ماو تسيتونغ

المصدر: مولمو عويمر ، مالك بن نبي رجل الحضارة ، مرجع سابق ص01

الملحق رقم 02

صورة مالك بن نبي

المصدر: بلجدر بلال ،مفكرة تاريخ الجزائر ،سلسلة المفكرات التاريخية المصورة .2002

الملحق رقم 03

عائشة يوسف المناعي، **مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي**، مجلة المسلم المعاصر، عدد 100، 2003، ص 14.

الملحق رقم 04

مشاركة مالك بن نبي في مؤتمر باندونغ

المصدر: موقع انترنت :www.binnabi.net

الملحق رقم 05

قبر المرحوم مالك بن نبي

المصدر: https://ar.wikipedia.org

الملحق رقم 06

القاهرة في ١ سبتمبر ١٩٥٦

إلى السادة ممثلي جبهة التحرير الجزائري

بالقاهرة

إنني حضرت إلى القاهرة للقيام بواجبين :

أحدهما يخص مهمتي ككاتب يريد نشر كتابه «الفكرة الأفريقية ــ الآسيوية»، وقد يدلكم عنوانه عن صلته بالقضية الجزائرية سواء اعتبرناها من الناحية الداخلية (كتوجيهات تخص الكفاح) أو من الناحية الخارجية (كنشر هذه القضية في المجال الدولي) .

وبخصوص هذا الواجب فقد قمت به بالقدر المستطاع ، حيث أنني وضعت كتابي في أيدي من سيعنى بنشره ، حتى أنني أعتبر نفسي متحرراً في المستقبل من مسؤولية هذا النشر .

وأما الواجب الثاني الذي حضرت من أجله إلى القاهرة ، فهو يتعلق بشخصي كجزائري ساهم في الكفاح ضد الاستعمار منذ ربع قرن ، ويأتي الآن كي يواصل هذا الكفاح تحت راية الثورة الجزائرية .

وأعتقد أنني إذا وجهت داخل الجزائر كممرض عسكري في جبهة القتال ــ أستطيع في نفس الوقت أن أقوم بكتابة تاريخ الثورة الجزائرية على طريق المشاهدة تقريبا .

كما أعتقد أنه يفيد أن أوجه بهذه المناسبة خطاباً مفتوحاً إلى رئيس الوزراء الفرنسي [1] ، حتى يعلم ما هي الأسباب الإنسانية التي تدفع بكاتب جزائري في المعركة .

وتقبلوا تحياتي

مالك بن نبي

المصدر: مالك بن نبي، في مهب المعركة، مصدر سابق، 80، 81.

الملحق رقم 07

1. قائمـة الـمصـادر:

القرآن الكريم برواية ورش

1. مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ترجم عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، دمشق، 1986.
2. مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، ط3 ، دار الفكر، دمشق، 1988.
3. مالك بن نبي، **القضايا الكبرى**، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2000.
4. مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، ط4 ، دار الفكر، دمشق، 2000.
5. مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الحديث**، ط1 ، دار الإرشاد، بيروت، 1969.
6. مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه**، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002.
7. مالك بن نبي، **تأملات**، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002.
8. مالك بن نبي، **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**(دون طبعة)، دار الفكر، دمشق، 1986.
9. مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة :عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط4 ، دار الفكر، دمشق، 1987.
10. مالك بن نبي، **فكرة الإفريقية الأسيوية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط3 ،دار الفكر،دمشق،2001.
11 . مالك بن نبي، **فكرة كومنولث إسلامي**، ترجمة : الطيب الشريف، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2000.
12. مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، ط4، دار الفكر، دمشق، 2002.
13. مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن (الطفل، الطالب)**،ط2 ، دار الفكر، دمشق، 1984.

14. مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ترجمة :عبد الصبور شاهين، ط5، دار الفكر، دمشق، 2000.

15. مالك بن نبي، **من أجل التغيير**، ترجمة بسام بكة، عمر مسقاوي، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1995.

16. مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002.

17. مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، ط2، دار الفكر، دمشق،2002 .

2. قائمة المراجع:

1. الإبراهيمي، محمد بشير، **في قلب المعركة**، دار الأمة، الجزائر، 1994.

2. بن براهيم، الطيب، **مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون**، دون طبعة ،دارمداني، الجزائر، 2002.

3. البرغوث، الطيب، **موقع المسألة الثقافية من إستراجية التجديد الحضاري** عند مالك بن نبي، ط1، دار الينابيع للنشر والإعلام، الجزائر،1993.

4. بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في قرنين 19و 20،ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

5. بوعزيز، يحي، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية** من 1930 إلى 1954، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.

6. بلجدر بلال، مفكرة تاريخ الجزائر، سلسلة المفكرات التاريخية المصورة ،2002.

7. تركي، رابح،**ابن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر**، ط2، الجزائر،1981.

8. تشيكو، أمنة، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأولوند تونتي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

9.جامعة الامير عبد القادر، مالك بن نبي والفقه الحضاري، دار الهدى للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2006.

10. الجفائري، محمد عبد السلام، **مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984.

11. جمعية علماء المسلمين، **سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين**، دار الكتب الجزائرية، نادي الترقي، الجزائر.

12. جيلالي، بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**، دار المعرفة، الجزائر،2010.

رزاقي، عبد الرحمن، **سياسة التسلط و الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1995.

13. زرمان، محمد، **فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ بشير الابراهيمي)**، دار الصحوة، القاهرة،1999.

14. السحمراني، أسعد، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، دار النفائس، بيروت، 1984م .

15. سعد الله، ابو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

16. سعد الله، ابو القاسم،**الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983.

17. السعد، نورة خالد ،**التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الرياض،2007.

18. سعود، الطاهر، **الحركات الإسلامية في الجزائر**، ط1، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، 2012.

19. طالبي،عمار،**أثار ابن باديس**، ط1،مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والنشر والتوزيع، 1968.

20. عبادة، عبد اللطيف، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، ط1، دار الشهاب، باتنة، 1984.

21. عبادة، عبد اللطيف، **فقه التغيير عند مالك بن نبي**، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

22. العبدة، محمد، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد إصلاحي 1905-1973**، ط1، دار القلم، دمشق، 2006.

23. العسلي، بسام، عبد الحميد، **ابن باديس وبناء قاعدة الثورة** ، ط2، دار النفائس ،1983.

24. العطاف، محمد، **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي**، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

25. عويمر، مولود، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطائه الفكري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو ،2007.

26. العويسي بن حمد ، عبد الله، **مالك بن نبي حياته وفكره**، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، بيروت،2012.

27. عيسى الحسن، أعظم شخصيات التاريخ دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفية،ط1، الاهلية، الاردن، 2010م،

28. قلاتي، البشير،**هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي و البعث الحضاري**، ط 1، منشورات مكتبة اقرأ، الجزائر، 2007.

29. كاتب، كمال، **أوروبيون أهالي ويهود الجزائر 1830-1962**، ترجمة رمضان زيدي ، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر،2011 .

30. كلود، هنري، **الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ،ترجمة محمد عيتاني،** منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 2002 .

31. لحرش، موسى، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي، الجزائر، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.

32. المدني، توفيق أحمد،هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.

مراد،علي، **الحركة الإصلاحية الإسلامية،** بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد بحناني، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

33. مسقاوي، عمر كامل، **في صحبة مالك ب نبي،** ج1،ط 1، دار الفكر، دمشق،2013.

34. مشيشي، مولاي الخليفة، مالك بن نبي، ط1، دار النايا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2012.

35. ملوكي، سليمان، **إشكالية الثقافة والسياسة عند مالك بن نبي.** ط2، دار الفكر، دمشق، 1999.

36. مهساس، أحمد، **الحقائق الاستعمارية والمقاومة،** دار المعرفة، الجزائر، 2007،

37. مطبقاني، مازن صلاح، **جمعية علماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1939،** عالم الأفكار، الجزائر، 2011.

38. ميلاد، زكي، **بن نبي و مشكلات الحضارة** ، دار الفكر، سوريا، دمشق، 1998.

<u>قائمة الكتب باللغة الأجنبية</u> :

1. Abdallah laroui ،**l 'histoire du maghreb** ، tome II ، FRANCE ، 1970
2. Ali merad ،**les reformistes musulmans en algerie de 1925 à 1940** ، ed moution et co la haye ، paris 1967

3. Mahfoud kaddache، **histoire du nationalisme algèrienne questions national politique algèrienne 1919،19**51، cnzd ، alger ،1980
4. Fawzia Bariun, **Malik bennabi: His Life and Theory of Civilization** , Kuala Lumpur, Muslim Youth Movement of Malysia, 1993.

<u>الرسائل و الأطروحات الجامعية</u>:

1. الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد الفلسفة، الجزائر، 1988–1989.
2. حسن موسى محمد العقبي، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة إسلامية غزة،2005م.
3. جرامو لويزة، **الإشكالية الثقافية في فكر مالك بن نبي**، رسالة ماجستير، المركز الجامعي عباس لغرور، خنشلة، 2010،2011.
4. سامية جفال، **منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس**، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، جامعة قسنطينة، 2001.
5. عويس،عبد الحميم، الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي ، مجلة الفيصل، العدد 96 دار، الفيصل الثقافية، الرياض، 1993م.

المقالات:

1. عمار الطالبي، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة**، مجلة الثقافة، العدد 38، الجزائر، 1977.
2. عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي**، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد 18، 1973.
3. عبود العسكر، **مشكلات الحضارة بين مالك وخلدون**، مجلة رؤى فصلية، العدد 20،2003.
4. محمد الهادي الحسني، **مالك بن نبي لمحات من حياته وقبسات من فكره** ،مجلة الموافقات، العدد 3، الجزائر.
5. عمار طالبي، **مالك بن نبي والحضارة**، مجلة الثقافة، عدد 18، 1937.
6. عويس عبد الحميم، **الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي**، مجلة الفيصل، العدد 96، دار الفيصل الثقافية، الرياض،1993م.
7. بلجدر بلال، مفكرة تاريخ الجزائر، سلسلة المفكرات التاريخية المصورة ، 2002.

المواقع الالكترونية:

1. www.binbadis.net
2. http://www.youtube.com
3. www.albassair.com
4. www.djelfa.info

فهرس الموضوعات

الصفحات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: حياة مالك بن نبي وسمات عصره

المبحث الأول: الأوضاع في عصر مالك بن نبي

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية والسياسية.....02

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية والاجتماعية.....06

المطلب الثالث: بوادر الإصلاح في الجزائر.....11

المبحث الثاني: حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: مولده ونشأته.....15

المطلب الثاني: رحلاته.....19

المطلب الثالث: تكوينه وإنتاجه الفكري.....31

الفصل الثاني: الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي

المبحث الأول : المشروع الإصلاحي الحضاري عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مشكل الحضارة.....36

المطلب الثاني: مشكل الثقافة.....44

المطلب الثالث: أسس المشروع الإصلاحي.....47

المطلب الرابع: خطوات المنهج الإصلاحي.....55

المبحث الثاني : موقفه من قضايا عصره

المطلب الأول: الثورة.....62
المطلب الثاني: الاستعمار.....65
المطلب الثالث: المجتمع.....69
المطلب الرابع: المرأة.....73

المبحث الثالث : أثره في الجزائر بعد الإستقلال

المطلب الأول: مالك بن نبي و العمل الطلابي الجامعي.....76
المطلب الثاني: تأسيس مسجد الجامعة المركزية.....79
المطلب الثالث: تأسيس جماعة البناء الحضاري.....81

خاتمة.....83
قائمة المصادر والمراجع.....92
فهرس الموضوعات.....99